المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

الحجاز

٨٥٩ - ٩٢٣هـ / ١٤٥٤ - ١٥١٧م

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ

إعداد الطالب
محمد طه صلاح بكري

إشراف الدكتور
ناصر عبد الله البركاتي

١٤١٠هـ / ١٩٩٠م

٧٦-١

٤٣ ٢ - ٣ ٧٣ ٢

(ملخص البحث)

عنوان البحث : الحجاز ٨٥٩ - ٩٢٣هـ / ١٤٥٤ - ١٥١٧م .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي اشرف الانبياء والمرسلين وبعد /

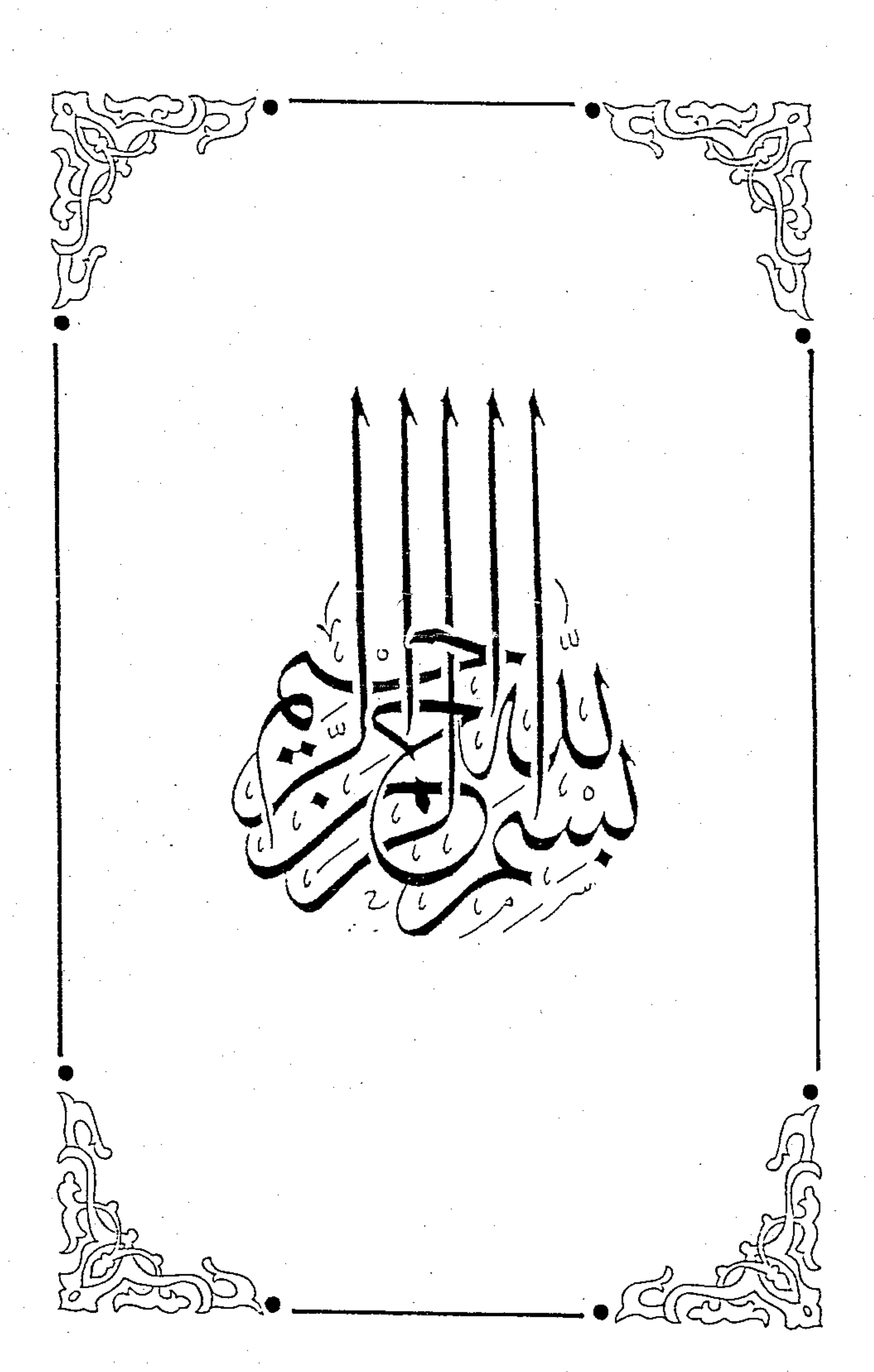
يحتوى هذا البحث علي مقدمة واربعة فصول وخاتمة وملاحق- الفصل الاول عنوانه الاوضاع السياسية في الحجاز في ذلك الوقت حيث يعطي وصفا عن الحالة السياسية في الحجاز بصفة عامة ومكة المكرمة بصفة خاصة في ذلك الوقت والمتمثلة في فترة سلطة الشريف محمد بن بركات ثم ابنه الشريف بركات بن محمد الذى خلف أباه علي حكم الحجاز والقاء الضوء علي مراحل الصراع الذى حدث بينه وبين أخوته علي السلطة . ثم اتناول علاقات الحجاز الخارجية والتي كانت تربطها باليمن وشرق الجزيرة العربية والعراق والعثمانيين في ذلك الوقت ، وفي الفصل الثاني وعنوانه التهديد الصليبي البرتغالي للحجاز ا ستعرض فيه اهداف البرتغاليين الصليبية في الالتفاف حول طريق رأس الرجاء الصالح وعلاقتهم بالحبشة في ذلك الوقت بالاضافة الى اطماع البرتغاليين في التجارة الشرقية وموقف كل من المماليك والعثمانيين واشراف الحجاز من ذلكالخطر الصليبي البرتغالي . ثم الفصل الثالث وعنوانه الاوضاع الاقتصادية في تلك الفترة فاتحدث عن الحج ومردوده الاقتصادى علي الحجاز اضافة الي دور الموانيء الحجازية في التجارة الدولية ثم اتطرق الي المنتجات الحجازية في ذلك الوقت . وفي الفصل الرابع وعنوانه الاوضاع الاجتماعية والعلمية في تلك الفترة فاتحدث عن الحالة الاجتماعية لسكان الحجاز واثره في العادات والتقاليد ، واثر المدارس في الناحية العلمية في ذلك الوقت اضافة لما كان يقوم بالحرمين الشريفين من حركة علمية والحديث عن الاربطة وشئون الحرمين الشريفين ودورهما .

وكان من اهم النتائج التي توصلت اليها :-

- هدوء الحالة السياسية والامنية في فترة تولي الشريف محمد بن بركات تلاها قلاقل واضطرابات نتيجة صراع ابنائه علي السلطة
- قيام علاقات اساسها الدين واللغة والمصالح المتبادلة بين الحجاز وبين كثير من بلاد العالم الاسلامي في ذلك الوقت .
- ان البرتغاليين حينما قاموا بمهاجمة جنوب العالم الاسلامي بعد وصولهم الي المحيط الهندى كان هدفهم النيل من الاماكن المقدسة مكة المكرمة والمدينة المنورة للحقد ضد الاسلام والمسلمين .
- عندما عجز البرتغاليون عن تحقيق اهدافهم العسكرية حولوا حربهم مع المسلمين الي حرب اقتصادية لتدمير اقتصاديات المسلمين .
- كانت هناك محاولات من المماليك لصد البرتغاليين ولكنهم لم ينجحوا لما وصلت اليه الدولة المملوكية من تدهور وضعف في ذلك تلاها محاولات من الدولة العثمانية .
- لقد كان للحج اثر كبير علي الاقتصاد الحجازى اضافة الي اثر الموانئ الحجازية وطرق التجارة البرية المارة بها .
- كان لكثرة الاجناس المتنوعة في المجاورين بالحجاز كبير الاثر في العادات والتقاليد السائدة في ذلك الوقت .
- ازدهار الناحية العلمية في الحرمين الشريفين بالاضافة الي المدارس والبيوت العلمية في ذلك الوقت .

عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية	المشرف	الطالب
د. سليمان بن واثل التويجرى	د. ناصر عبدالله البركاتي	الاسم / محمد طه صلاح بكرى
التوقيع ( )	التوقيع ( )	التوقيع ( )

٩٠/١٧


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقديـــــــر

أتقدم بالشكر لجامعة ام القرى ولكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ولقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ،ولقسم التاريخ الاسلامي على ماحظيت به وحظي به غيري من طلاب العلم من التعاون الصادق والارشاد السليم لكي تظهر هذه الرسالة بالمستوى المطلوب من التنسيق الذي يعتني بالشكل والمضمون فجزاهم الله خير الجزاء.

والشكر الجزيل لسعادة الدكتور المشرف ناصر عبد الله البركاتي على مابذله من الوقت والجهد والتوجيه والنصح في أرشادي وتوجيهي فجزاه الله خير الجزاء.

مع خالص شكري للمكتبة المركزية ومكتبة البحث العلمي بجامعة أم القرى ومكتبة الحرم المكي الشريف ومكتبة مكة المكرمة والمكتبة العامة بمكةالمكرمة والمراكز العلمية التي قدمت خدماتها في سبيل نشر العلم والمعرفة والى كل من أسهم برأي أو مشورة في اخراج هذا البحث ، وللاستاذ / حسن فؤاد طابع هذا البحث لما بذله من جهد فجزاه الله خيرا.

المقدمة

المقدمـــة

الحمد لله المستعان في كل الأمور ، والصلاة والسلام على الرسول الكريـــم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تعتبر منطقة الحجاز من أهم المناطق في العالم الاسلامي لدى المسلميـــن خاصة ، ولدى العالم عامة لما تضمه من مقدسات اسلامية في أطهر وأقدس بلدتيـــن على سطح المعمورة مكة المكرمة بلد الله ومهبط وحيه ومنزل رحماته وقبلة عباده فـــي صلاتهم ونسكهم في حجهم واعتمارهم قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريـــم : (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا)[١] .

والمدينة المنورة حيث كانت الانطلاقة الاسلامية من عاصمة الدولة الاسلاميـة الأولى والتي بها ثاني المساجد في الاسلام ، ولقد اختلف العلماء في تسميـــة الحجاز حجازا ، فقال بعضهم يجوز أن يكون مأخوذا من قول العرب حجز الرجـــل بعيره ، يحجزه اذا شده شدا يقيده به ، ويقال للجبل حجازا . ويجوز أن يكـــون سمي حجازا لأنه يحتجز بالجبال ، يقال احتجزت المرأة اذا شدت ثيابها علـــى وسطها واتزرت ، وفيه قيل حجزه السراويل .[٢] والذي أجمع عليه العلماء في قولهـــم حجزه يحجز حجزا أي منعه ، والحجاز جبال ممتدة حاليا بين غور تهامة ونجـــد .[٣] وقيل الحجاز حاجز بين اليمن والشام .[٤] وقيل انما سمي الحجاز حجازا لأنـــه يحجز بين نجد وتهامة .[٥]

---

(١) سورة البقرة ، آية (١٢٥) .

(٢) الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت : معجم البلدان ، ٢/٢١٨ .

(٣) المصدر السابق ، ٢/٢١٨ .

(٤) القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار النشر ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م ، ص ٨٤

(٥) أبي الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر : تقويم البلـــدان ، =

ويقع اقليم الحجاز حاليا ضمن المملكة العربية السعودية ، ويؤلف القسم الغربي منها [(١)] ، وحيث أن مكة المكرمة والمدينة المنورة تقعان في منطقة الحجاز ، كان لا بد على الباحث التاريخي أن يهتم بتاريخ هذا الجزء المهم من العالم الاسلامي .

ولقد كان الحجاز كغيره من مناطق العالم الاسلامي يتأثر بالأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت تتعرض لها الخلافة الاسلامية في عهودها المختلفة وتتأثر بصفة خاصة بتأثر الاحداث في الأراضي المصرية لما تأتيها من مساعدات غذائية من الاراضي المصرية الخصبة لأن أراضي الحجاز ليست اراضي زراعية لقلة المياه بها واعتمادها على ما تجود به السماء من امطار ، ولقد توالت على مصر عدة دول لها علاقات مميزة مع الحجاز ومنها الدولة المملوكية التي قامت سنة ٦٤٨هـ - ١٢٥٠م وأحيت الخلافة العباسية الاسلامية في مصر ، بعد سقوطها على أيدي الغزاة التتار سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م لكي تطفي على نفوذها الصفة الشرعية ، وسارعت الى مد سيطرتها على الحجاز .

ورأيت أنه من واجبي كمسلم البحث في تاريخ هذه البقعة المباركة ، حيث أنني وجدت أن الفترة من سنة ٨٥٩هـ - ١٤٥٤م الى ٩٢٣ هـ - ١٥١٧م من تاريخ الحجاز لم تدرس دراسة تاريخية منفردة ، وأن كان هناك معلومات متناثرة في كتب مطبوعة ومخطوطات متفرقة في أماكن مختلفة ، وغيرها ، لم يكشف عما حوت للراغب في معرفة تاريخ هذا البلد ، ولا شك أن هذه الفترة كانت مليئة بأحداث مهمة في تاريخ الحجاز بصفة خاصة ، والعالم الاسلامي بصفة عامة ، لما كان هناك من فترات تخللها صراع على السلطة داخل الحجاز بين أمرائه من الأشراف، جعل الحجاز يمر بفترات من الاضطراب السياسي . كما أن هناك غزو صليبي على الاسلام وأماكنه المقدسة ،وفقد سيطرته على مراكز التجارة التي كانت تعتبر الشريان الاساسي للاقتصاد الحجازي بصفة خاصة ، والاقتصاد الاسلامي بصفة عامة . قال تعالى :

= صححه وطبعه رينود والبارون ماك كوكين ديسلان دار النشر باريس المحروسة سنة ١٤٨٠ ، ص ٧٩ .

(١) السيد رجب ، د . عمر الفاروق ، المدينة المنوره اقتصاديات المكان ، السكان المورفولوجيه ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، دار الشروق ، جدة .

(ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)[1] حيث قامت الدولة المملوكية بواجب الدفاع عن الحرمين الشريفين ، بوصفها حامية الحرمين الشريفين فى ذلك الوقت ولكنها فى حالة لا تحسد عليها من التفكك والضعف والمشاكل الداخلية ، الأمر الذى جعل الحجاز مستهدفا من قبل الغزاة البرتغاليون للاستيلاء عليه ومن ثمه تخريبه الى أن قامت الدولة العثمانية بهذا الواجب بعد سقوط الدولة المملوكية سنة ٩٢٣هـ - ١٥١٧م .

هذا بالاضافة لما يشمله البحث من محاولة لالقاء الضوء على علاقات الحجاز الخارجية فى ذلك الوقت مع القوى الاسلامية ، والوضع الاقتصادى السائد فى ذلك الوقت والقاء نظرة على الناحية السياسية ودور الموانى الحجازية في التجارة الدولية . كذلك حاولنا القاء الضوء على الناحية الاجتماعية والعلمية فى تلك الفترة من ناحية التركيب الاجتماعي لسكان الحجاز وما كان سائدا من عادات وتقاليد بالاضافة الى الناحية العلمية في الحرمين الشريفين والمدارس فى ذلك الوقت ودور الأربطة والسبل فى تقديم الخدمات للمجاورين بالمدينتين المقدستين وطلاب العلم . وكان علينا قبل أن نبدأ بذكر أحداث الفترة المشار اليها فى هذا البحث أن نلقي بعض الضوء على أوضاع الحجاز العامة قبل الفترة المراد بحثها . حيث كان يتولى الامارة في مكة المكرمة الشريف بركات بن حسن بن عجلان ، الذى تولى بعد وفاة أبيه سنة ٨٢٩هـ - ١٤٢٥م .[2] ولكن الخصومات التى كانت بين الأشراف على السلطة فى الحجاز جعلت ولاية الشريف بركات بن حسن بن عجلان على الحجاز

---

(١) سورة الأنفال ، آية (٢٩) .

(٢) ابن فهد الهاشمى ، عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد : غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، الطبعة الاولى ، السنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م دار النشر جامعة أم القرى مركز احياء التراث الاسلامى ، جـ٢ ص ٤٠٠ .

تنقسم الى فترتين زمنيتين ، حيث نجد أنه سنة ٨٤٥هـ - ١٤٤١م ، أبعد الشريف بركات بن حسن عن الامارة بأخيه الشريف علي بن حسن ، الذى استمر على امـــرة مكة المكرمة الى سنة ٨٥٠هـ - ١٤٤٦م حيث أبعد هو الآخر وعاد الشريف بركات بـــن حسن الى أمرة مكة المكرمة مرة أخرى .(١)

ومن الواضح فى تاريخ الدولة المملوكية أن سياستها الخارجيـــة تجاه الحجاز كانت تقوم على منافعها المادية التى ظهرت بابتزازهـــا للأموال من الحجاز لخزانة الدولة المملوكية منذ حوالى سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م ، وكثيـــرا ما كانت الدولة المملوكية تساعد على قيام الخصومات بين أشـــراف الحجاز ، لتجعل لها السيطرة على الموقف السياسى والحربى فى الحجاز ، ولخشيتها من أن يستقل الحجاز عن التبعية الاسمية لها ، وكانت الدولة المملوكية فى ذلـــك الوقت قد بدأت تواجه صعوبات خارجية وداخلية تمس كيانها كدولة ، ومن تلـــك الصعوبات الخارجية ظهور الدولة العثمانية وما كان بينها وبين المماليك مـــن مناوشات على الحدود بينهما ومن الصعوبات الداخلية الثورات والمؤامرات التى كانـت بين المماليك أنفسهم والتى كانت لها أغراض متعددة مثل السيطرة على السلطة أو ثورات المماليك الجلبان لعدم اقتناعهم بما يقدمه لهم السلطان المملوكى من أموال أو اقطاعات.

وفى الحقيقة أن النظرة المملوكية التى كانت تقوم على جمع الأموال وعدم التفات قادتها الى أحوال البلاد التى كانت موالية لها قد أدت الى اهمال شئون البـــلاد الداخلية فى مصر والشام وجشعهم المتزايد فى دخل تجارة البحر الأحمر مما أثر علـــى النواحي الاقتصادية والتجارية والعلمية والاجتماعية فى تلك البلاد مما أثر أيضا علـــى الحجاز نفسه .

أما بالنسبة لأهم مصادر دراسة تلك الفترة الزمنية فى تاريخ الحجـــاز فتنحصر فى بعض الكتب المعاصرة أو شبه المعاصرة ومنها ، كتاب شفاء الغـــرام بأخبار البلد الحرام ، للمؤرخ الامام محمد بن أحمد بن على الفاسي المتوفى سنـــة ٨٣٢هـ - ١٤٢٨م ، والذى يعتبر من أهم مصادر تاريخ مكة المكرمة ، وكتاب الضـوء

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٤٢٢ .

اللامع لأهل القرن التاسع للمؤرخ محمد بن عبد الرحمن السخاوى ، المتوفى سنة ٩٠٢هـ - ١٤٩٦م ، ويعتبر كتابه من أهم المؤلفات التى اعتنت بالترجمة لمشاهير القرن التاسع الهجرى ، وكتاب أتحاف الورى بأخبار أم القرى للمؤرخ نجم الدين عمر بن فهد الهاشمى المكى نسبة الى مكة المكرمة ، كان ميلاده سنة ٨١٢هـ - ١٤٠٩م ولقد كتب ابن فهد الأحداث السياسية التى مرت بالحجاز فى عهده بالاضافة الى الناحية العلمية فى مكة المكرمة ، والناحية الاقتصادية والاجتماعية والدينية فى فترة عهده . ولقد اتبع فى كتابه طريقة الحوليات ، حيث رتب حوادث التاريخ على السنين، وقد توفى نجم الدين عمر بن فهد الهاشمى سنة ٨٨٥هـ - ١٤٨٠م.

وكتاب غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام للمؤرخ عز الدين عبد العزيز ابن عمر بن محمد بن فهد الهاشمى المولود سنة ٨٥٠هـ - ١٤٤٦م ، والذى اتبع طريقة التراجم لأمراء مكة المكرمة . ولقد توفى سنة ٩٢٢هـ - ١٥١٦م.

ويعتبر المصدران السابقان من أهم مصادر البحث التي تمد البحث بالمعلومات المتنوعة عن الحجاز ، اضافة الى مصادر أخرى منها :-

كتاب الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف للمؤرخ جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين أبى بكر علي بن ظهيرة القرشى المخزومى ، المتوفى سنة ٩٨٦هـ - ١٥٧٨م ، وكتاب الأعلام بأعلام بلد الله الحرام للمؤرخ محمد قطب الدين النهروالي المكي الحنفي ، المتوفى سنة ٩٨٨هـ - ١٥٨٢م ، وكتاب أعلام الأعلام ببناء المسجد الحرام للمؤرخ عبد الكريم بن محب الدين القطبي ، المتوفى سنة ١٠١٤هـ - ١٦٠٥م . والأرج المسكي فى التاريخ المكى للمؤرخ على بن عبد القادر بن يحيى الحسني الطبرى المتوفى سنة ١٠٧٠ - ١٦٥٩م الذى حققه د . محمد الطاسان ، ومنائح الكرم فى أخبار البيت وولاة الحرم للمؤرخ على بن تاج الدين المكي المعروف بالسنجارى ، المتوفى سنة

١١٢٥هـ - ١٧١٣م ، واتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن للمؤرخ محمد ابن علي بن فضل بن يحيى الحسيني المتوفي سنة ١١٧٣هـ - ١٧٥٩م الذى حققه د. ناصر عبدالله البركاتي ، وبدائع الزهور في وقائع الدهور للمؤرخ محمد بن أحمد ابن اياس المتوفى سنة ٩٣٠ هـ - ١٥٢٣م، وكتاب درر الفوائد المنظمة فى أخبار الحج ، وطريق مكة المعظمة لعبد القادر بن محمد الانصارى الجزيرى المتوفى سنة ٩٧٦هـ - ١٥٣٧م، الذى تحدث عن قافلة المحمل التى كانت تتجه الى الاراضي المقدسة وعن رياستها وتنظيمها ، بالاضافة الى تطرقه لبعض الاحداث السياسية التى كانت تتعرض لها مكة المكرمة فى تلك السنين ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة للمؤرخ ابن تغرى بردى الاتابكى المتوفى سنة ٨٧٤هـ - ١٤٦٩م ، بالاضافة لغيرها من المصادر التى تحدثت عن الحجاز والدولة المملوكية من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية فى فترة بحثنا هذا.

ولقد واجهت بعض الصعوبات أثناء اعدادى فى هذا البحث فيما يختص بجمع معلومات بعض نقاط هذا البحث ، ولكنني حاولت جاهدا عدم الغاء تلك النقاط من خطة البحث ، وتمكنت من جمع معلومات تفي بالقدر الكافى لاظهار تلك النقاط بصورة توضح أهدافها التاريخية قدر المستطاع . وخطة البحث المعدة لهذا الموضوع مقسمة الى أربعة فصول ، وكل فصل يحتوى على عدد من النقاط.

فالفصل الأول يتحدث عن الأوضاع السياسية فى الحجاز فى فترة بحثى هذا ويضم عددا من النقاط منها : سلطة الشريف محمد بن بركات على الحجاز والممتدة من سنة ٨٥٩هـ - ١٤٥٤م ، الى سنة ٩٠٣هـ - ١٤٩٧م وأهم الأحداث التاريخية التى مرت بامارة الحجاز فى عهده.

ثم يلى ذلك نقطة الصراع على السلطة بين أبناء الشريف محمد بن بركات وموقف الدولة المملوكية من ذلك الصراع ، حيث استعرض الفترة الزمنية التى دار

فيها ذلك الصراع وما سببه من اضطراب سياسى فى الحجاز بصفة عامة .

يلى ذلك موضوع سيطرة الشريف بركات بن محمد على الأوضاع فى الحجاز حيث تمكن من السيطرة على السلطة وأهم الأحداث التاريخية التى شهدتها الحجاز فى فترة توليه ، ثم أتطرق فى النقطة التي تلى ذلك الى العلاقة بين أشراف الحجاز وسلاطين المماليك بمصر والشام والتى كانت تمر فى بعض الأحيان بفترات من التوتر والهدوء السياسى.

اتطرق فى النقطة التى بعدها الى علاقات الحجاز الخارجية مع كل من اليمن وشرق الجزيرة العربية والعراق والدولة العثمانية قبل سقوط دولة المماليك .

أما الفصل الثانى الذى عنوانه : التهديد الصليبى البرتغالى للحجاز فيضم عددا من النقاط منها : هدف البرتغاليين من الالتفاف حول طريق رأس الرجاء الصالح ، والحبشة والبرتغال والتفكير الصليبى العدوانى على الأماكن المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والتجارة والأطماع البرتغالية ، وموقف أشراف الحجاز من الخطر البرتغالى فى البحر الأحمر ، والمماليك ودورهم فى صد العدوان الصليبى على الحجاز من ناحية وعن السواحل الاسلامية من ناحية أخرى وموقف العثمانيين من الخطر البرتغالى فى البحر الاحمر بعد سيطرتهم على الاراضى المملوكية بعد سقوطها سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م.

والفصل الثالث وعنوانه : الأوضاع الاقتصادية فى تلك الفترة فيشمل على نقاط منها الحج والمردود الاقتصادى على امارة الحجاز ، ودور الموانى الحجازية فى التجارة الدولية فى ذلك الوقت ومن تلك الموانى ميناء جدة ورابغ وينبع وغيرها من الموانى ، ثم أتطرق فى هذا الفصل الى الحديث عن المنتوجات الحجازية والطرق التجارية البرية المارة بالحجاز والتى كانت فى نفس الوقت طرق للحجيج ، ثم أتحدث عن الأثر الذى تركه تحول التجارة العالمية عن البحار الاسلامية الى طريق رأس الرجاء

الصالح على الاقتصاد الحجازى واقتصاد العالم الاسلامى فى ذلك الوقت ، اضافة الى التأثير الواضح للصراع الذى قام بين كل من الصفويين والمماليك والعثمانيين على الاقتصاد الحجازى .

أما فى الفصل الرابع الذى عنوانه : الاوضاع الاجتماعية والعلمية فى تلك الفترة فأتحدث عن التركيب الاجتماعى لسكان الحجاز وأثره فى العادات والتقاليد التى كانت سائدة فى ذلك الزمن ، ثم أتطرق الى الحديث عن الناحية العلمية فى الحرمين الشريفين وأثر المجاورين الذين جاوروا بمكة المكرمة والمدينة المنورة فى الناحية العلمية وغيرها ، ونتحدث عن المدارس والبيوت العلمية فى تلك الفترة اضافة الى الحج وأثره الدينى والاجتماعى وشئون الحرمين الشريفين والأربطة وأثرها الاجتماعى واقامة السبل لخدمة الحجيج وطلاب العلم . وسوف أخذ منطقة مكة المكرمة كمثال لهذه الدراسة نظرا لأن بها الثقل السياسى والاقتصادى فى ذلك الوقت.

ولا يفوتنى فى هذه المناسبة أن أتقدم بالشكر والعرفان الى كل من اسهم معى بمجهوده وتوجيهه فى اخراج هذا البحث ، وبخاصة سعادة الدكتور ناصر عبد الله البركاتى المشرف على الرسالة والذى بذل الكثير من الجهد والوقت والتوجيه المتواصل فجزاه الله خير الجزاء وكذلك المكتبة المركزية بجامعة أم القرى ، وقسم المخطوطات بمركز البحث العلمى ومكتبة الحرم المكي الشريف ، وشكرا خاصا الى جامعة أم القرى بمكة المكرمة بصفة عامة وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بصفة خاصة التى وفرت كل المساعدة للطلاب فى سبيل تحصيل العلم والمعرفة ، كما اشكر قسم التاريخ الاسلامى وكل من ساهم فى اخراج هذا البحث.

أسأل الله العلى القدير ان يوفقنى الى تقديم هذا البحث بصورة جيدة ، يتحقق من ورائها الغرض المنشود ، الا وهو توضيح بعض تاريخ هذه المنطقة المعززة على كل المسلمين وابراز أهم الأحداث التاريخية التى شهدتها تلك الفترة والتى كانت على قدر كبير من الأهمية فى تاريخ الحجاز ، وتاريخ العالم الاسلامى .

أسأل الله التوفيق انه على كل شىء قدير وهو حسبى ونعم الوكيل .

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الأوضاع السّياسية في الحجاز

الفصـــــل الأولـــــ

الأوضـاع السياسية فى الحجـــاز

١ - الشريف محمد بن بركات وسلطة الحجاز ٨٥٩-٩٠٣هـ/ ١٤٥٤ - ١٤٩٧م.

تعتبر فترة تولى الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان آل قتـــادة [١] انظر ملحق رقم (١) فيه النسب الكامل للشريف محمد بن بركات وغيره من طبقـــات الاشراف التى حكمت مكة المكرمة والحجاز بصفة عامة ، من أقوى وأطول الفترات بالنسبة لغيره من الأشراف الذين تولوا الحكم فى الحجاز ، وبخاصة من أبناء اسرته ، التـــى استطاعت الوصول لحكم الحجاز على يد الشريف قتادة بن ادريس بن مطاعن بـــن عبد الكريم الحسنى الذى استطاع السيطرة على مكة المكرمة ومعظم مدن الحجاز مـــن ايدى الأشراف الهواشم [٢] من بنى الحسن سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، ومن ثمة تعاقـــب بنوه على السلطة فى الحجاز. [٣]

وكانت تولية الشريف محمد بن بركات الحسنى حكم مكة المكرمة قد تمت عـــن

---

(١) أمير الحرمين والحجاز قاطبة جمال الدين أبوالفرج أمه الشريفه شقراء ابنـــة زهير بن سليمان بن زيان بن منصور بن جماز ولد سنة ٨٤٠هـ بمكة وأستجاز له جماعة من المشائخ .
- ابن فهد ، عبد العزيز : غاية لمرام بأخبار سلطنة البلد الحـــــرام ، جـ٢ ص ٥٠٦ .

(٢) الهواشم : هم الطبقة الثالثة من الأشراف التى حكمت الحجاز ، وتنسب الى الشريف محمد بن جعفر بن أبى هاشم ، تولى أمرة مكة سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م ودام حكمهم الى سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م.
الجزيرى ، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيـــــم الانصارى : درر الفوائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمـــــة ، المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة ، ١٣٨٤هـ ، ص ٢٨٥ .

(٣) ابن فهد الهاشمى ، نجم الدين عمر بن فهد بن محمد بن محمد بن محمد : اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق د . عبد الكريم على عبد الكريم البـــاز ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، جـ٢ ص ٢٤ . =

طريق والده الشريف بركات بن حسن بن عجلان، الذى شعر بكبر سنه، وعدم أستطاعته القيام بمهام الحكم كما ينبغي. فسأل جاني بك نائب السلطنة المملوكية فى جدة ، أن يكاتب السلطان المملوكي الأشرف اينال[١] فى القاهرة، ويسأله فى أمر تولية ابنه الشريف محمد بن بركات أمر مكة المكرمة بدلا عنه لعجزه.[٢]

هذا العجز الذى تجلى سنة ٨٥٧هـ - ١٥٤٣م ، حينما تحالف ضده القواد العمره[٣] التابعون لذوى حميضة[٤] والأشراف من ذوى أبي نمي الذين الذين ينادون بتولية الشريف أحمد بن ابراهيم بن حسن بن عجلان آل قتادة الحسني ، حيث لم يستطيع الشريف بركات بن حسن بن عجلان القضاء على هذه الحركة . واضطر لتهدئة الأمور بدفع مبلغ أربعة آلاف دينار للقواد ، وثلاثة

= الجاسر ، حمد : نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب بلاد ينبع لمحات تاريخية جغرافية ، وانطباعات خاصة ، دار اليمامة الرياض ، ص ٣٧.

(١) الأشرف اينال : هو اينال الأجرود العلائي الناصرى فرج .
تولى السلطة فى مصر سنة ٨٥٧هـ - ١٤٥٣م ودام ملكه الى أن توفى سنة ٨٦٥هـ - ١٤٦٠هـ.
ابن تغرى بردى ، جمال الدين أبي المحاسن : الدليل الشافي على المنهل الصافي : تحقيق فهيم محمد شلتوت. جامعة أم القرى ، جـ١ ص١٧٥ ترجمة رقم ٦٢٣.

(٢) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٣٠.
ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥٠٧
الحسينى ، محمد بن على بن فضل بن عبدالله بن يحيى الطبرى الشافعى المكي : اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن وولاية قتادة ، مخطوط جـ١ ص ١٠٨.

(٣) القواد العمرة : ينسبون الى عمر بن أبى مسعود مولى الشريف أبى سعيد بن على بن قتادة أمير مكة .
ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٥٢.

(٤) ذوى حميضة : موالى الشريف حميضة بن أبى نمي الأول ، والحميضيات =

آلاف دينار للشريف أحمد بن ابراهيم[١] وقد تمت موافقة السلطان المملوكي اينال على تولية الشريف محمد بن بركات حكم مكة المكرمة ، مقابل خمسين ألف دينار يدفعها للخزانة السلطانية ، اضافة لمبالغ أخرى يدفعها لكبار رجالات الدولة المملوكية في مصر ، ولولد السلطان وزوجته.[٢]

وهذا يبين لنا ما وصلت اليه الأوضاع السياسية في مصر ، ومدى تأثير ذلك على الحجاز ، وتدخل السلطان المملوكي في الأمور السياسية بالحجاز ، عن طريق فرض الأموال وتأييد الاضطرابات لهدف الطمع المادي ، لمحاولة مقاومة الضعف والتدهور في الدولة المملوكية نفسها ، في الوقت الذي لا تستطيع تلك الدولة التدخل العسكري لتغيير وضع ما في الحجاز أو غيرها ، لما كانت تواجهه الدولة المملوكية من مشاكل اقتصادية وسياسية واجتماعية ، محاولة اثارة المشاكل الداخلية في الحجاز ، لتحتفظ لنفسها بسلطة التأثير ، ولقد كانت المشاكل الداخلية والخارجية التي واجهت السلطنة

= والعمرة ظل أسمهم مرتبطا بمكة منذ حوالي القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي الى القرن العاشر الهجري الخامس عشر ، السادس عشر الميلادي .

ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٥٢ .

(١) المشيقح ، ابراهيم بن حمود : تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها من خلال "الدر الكمين" لابن فهد ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ص ٢٧ .

(٢) ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق جمال الدين الشيال ، أ. فهيم محمد شلتوت الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ، جـ١٦ ص ٩٢ .
المشيقح ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها ، ص ٢٨ .
مورتيل ، د . ريتشارد : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، الطبعة الاولى ، عمادة شئون المكتبات ، جامعة الملك سعود ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص ١٥١ .

المملوكية في أواخر عهدها ، قد انعكست على علاقاتها بسلطة الحجاز ، في الوقت التي أدت بها الى السقوط على يد الأتراك العثمانيين في سنة ٩٢٣هـ - ١٥١٧م.[(١)]

وعلى كل حال فقد التزم الشريف محمد بن بركات بدفع المبلغ الذى التزم به والده للسلطان المملوكي ، وذلك لأن والده الشريف بركات توفى في يوم الاثنين تاسع عشر شعبان سنة ٨٥٩هـ / ١٤٥٤م.[(٢)] قبل ورود الخبر من القاهرة بموافقة السلطان على طلبه . وكانت وفاته بأرض خالد بوادى مر.[(٣)] حيث وصل في اليوم التالى مبعوث من القاهرة بمرسوم يتضمن ولاية الشريف محمد بن بركات على مكة المكرمة ، مؤرخ بسادس عشر رجب من نفس العام المذكور.

وكان الشريف محمد بن بركات غائبا في بعض الجهات من نواحي اليمن لأمور تتعلق بشئون الحجاز ، فرجع الى مكة المكرمة ، وقرىء مرسوم توليته بالحطيم

---

(١) ابن ظهيرة القرشي ، جمال الدين محمد جار الله محمد نور الدين بن أبى بكر على : الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، الطبعة الثانية ، مطبعة عيسى البابى الحلبى بمصر ، ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م،ص٣٢٢

(٢) ابن تغرى بردى ، جمال الدين : الدليل الشافى جـ١ ص ١٨٨ .

ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى . جـ٤ ص ٢٦٠ .

ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٣١٧ .

الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٣ .

ابن ظهيرة ، محمد : الجامع اللطيف ، ص ٣٢١ .

(٣) أرض خالد بوادى مر : يقول أبى الفداء ، هي : بقعة فيها عدة قرى ومياه تجرى وهي عن مكة مسيرة يوم وتجلب منها ومن الطائف الخضار والثمار الى مكة .

أبى الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر : تقويم البلدان ،ص٩٥

ويزيد ياقوت الحموى : بأنه يسمى مر الظهران ويقول أنه بينه وبين مكة خمسة أميال .

الحموى ، شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت : معجم البلدان ،جـ٥ ص١٠٤

بالمسجد الحرام ، يوم الجمعة سابع رمضان من نفس عام ٨٥٩هـ - ١٤٥٤م ، كعادة الأشراف ، وفي يوم الأربعاء الرابع من شهر شوال من نفس العام ، ورد للشريف محمد بن بركات مرسوم من السلطان المملوكي ، يتضمن التعزية في وفاة والده وتأييد ولايته. (١)

ويذكر أن الشريف محمد بن بركات كان مشاركا لأبيه الشريف بركات في حكم الحجاز قبل وفاته. (٢) مما أظهره بالخبرة والحنكة في ادارة البلاد ، حيث كان الشريف محمد على جانب كبير من العدل والتصرف السليم الحسن في تدبير شئون البلاد فنراه منذ بداية حكمه يقوم بالمحافظة على هيبة تلك السلطة من الناحية السياسية لدى المناطق التي يصل نفوذ حكمه اليها ، بل ويقوم بتوسيع حدود بلاده مستفيدا من تلك الهيبة ، لكي يتسنى له الوفاء بالتزاماته كحاكم لمنطقة

---

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٣٦١.
ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥٠٨.
الطاهر ، عبدالهادي محمد صالح : الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر مخطوط ، ص ١٠.
الطبري ، محمد بن علي بن فضل : اتحاف فضلاء الزمن ، جـ١ ص ١٠٨.
السنجاري ، علي بن تاج الدين المكي : منائح الكرم في أخبار البيت وولاة الحرم ، مخطوط ، ص ١٠٥.
الصباغ ، محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المكي المالكي : تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام - مخطوط ، ص ١٩١.
الحضراوي ، أحمد بن محمد : تاج تواريخ البشر وتتمة جميع السير - مخطوط ، جـ٢ ص ٢٥٦.
دحلان ، أحمد زيني : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، الطبعة الاولى ، المطبعة الخيرية بمصر ، ١٣٠٥هـ ، ص ٤٤.

(٢) الشوكاني ، محمد بن علي : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الطبعة الاولى ، دار النشر الشيخ معروف عبدالله باسندوه التاجر بالجمالية بمصر ، ١٣٤٨هـ ، ص ١٤٠.

الحجاز ، بالاضافة الى التزاماته المالية تجاه الدولة المملوكية ، وقد كان نفـــوذ سلطة حكام الحجاز ممتدا على مساحة يمكن تحديدها شرقا بتربة [١] وحرة البقوم [٢] وما حولها ، واحيانا تشمل نجد وغربا البحر الأحمر ، وجنوبا حلى بني يعقوب [٣] وجيزان التى يسكنها فى تلك الفترة بنو الحراثي دريب ثم أخوه محمد ، وهى تتبع سلطة امارة الحجاز فى ذلك الوقت. أما الجهة الشمالية فيحدها ينبع وما حولها ، التى كان يتولى امارتها أحد الأسر الحسنيه ، ومنهم عقيل بن وبير بن مخبار الحسني ، وهي امارة تتبع سلطة امارة مكة فى معظم الأحيان ،وبخاصة عندما تكون الأوضاع هادئة فى الحجاز. وأما امارة المدينة المنورة ، والواقعة أيضا شمال سلطة امارة مكة المكرمة فهى وان كانت امارة مستقلة ، الا أنها فى معظم الأحيان تتبع حاكم مكة المكرمة فـى الأوقات التى يكون فيها حاكم مكة قوى ومؤيدا من الدولة المملوكية بمصر تخضع لـــه جميع أقاليم الحجاز وما حولها ، ومن ذلك كانت سلطة الحجاز تضم الى حكــم مكة المكرمة كلا من امارة ينبع والمدينة المنورة وحلى بني يعقوب وجيزان فى عهـــد

---

(١) تربة من مخاليف مكة بنجد .
- ابن خرداذبه ، أبي القاسم عبدالله : المسالك والممالك ، ص ١٣٣ .
ويقول الحموى : تربة ، واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها .
- الحموى ، شهاب الدين ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ص ٢٠ .
والأصح أن تربة على مسافة يومين من الطائف وليس مكة .

(٢) حرة البقوم : هى القسم الجنوبى من حرة بنى هلال القديمة وهى امتـــداد لحرة النواصب فى الجنوب .
- البلادى ، عاتق : معجم البلدان ، جـ٢ ص ٢٦٦ .

(٣) حلى بني يعقوب : من اطراف اليمن من جهة الحجاز .
- ابى الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن محمد : تقويم البلدان ، ص ٩٣

أمرائها الأقوياء . وفيما عدا ذلك كانت تقتصر على الحدود التي ذكرناها.[١]

ويذكر بعض المؤرخين أن سلطة حكام الحجاز كانت تصل أحيانا الى البحرين[٢] ولقد كان الشريف محمد بن بركات من حكام الحجاز الذين فوضت لهم السلطة المملوكية في مصر أمر الحجاز عامة ، حيث امتدت ولايته شمال المدينة المنورة وجنوبا الى منطقة جيزان ، وشرق الحجاز الى منطقة تربة وما حولها ، وصرح باسمه على منبر المدينة المنورة بعد السلطان ، وقبل أميرها.[٣] وتذكر بعض المراجع أن امارة المدينة المنورة وينبع ، كانت تتبع فرع آخر من سيطرة الأشراف وهم الأشراف الحسينيون[٤]، في حين تذكر لنا المصادر أن الشريف محمد بن بركات كانت تخضع لسلطته عامة الحجاز الى جيزان جنوبا[٥] ومنذ أن تولى الشريف محمد ابن بركات مقاليد السلطة في الحجاز ، نراه يوجه اهتمامه لعدة اتجاهات. ومن

---

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٥٠ .
الصباغ ، محمد بن أحمد المكي : تحصيل المرام ، ص ١٩٢ .

(٢) شاكر ، محمود : شبه جزيرة العرب نجد ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م . ص ١٥٥ .

(٣) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٣٠ .
العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي . المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، جـ٤ ص٣٧ .

(٤) البحراوي ، د . محمد عبد اللطيف : فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر الى البحر ، الطبعة الاولى ، دار التراث ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ص ٣٧ .

(٥) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥٣٨ (يقول المؤرخ انه في يوم الجمعة سادس عشر ربيع الثاني سنة ٨٨٧هـ - ١٤٨٢م قرئ مرسوم في الحطيم من ضمنه أن جميع ولايات الحجاز للشريف محمد بن بركات) .

هذه الاتجاهات الغزوات التأديبية والتوسع على حساب البلاد المجاورة ، للمحافظة على سلطته . ومن غزواته ، غزوته التي قام بها ضد عرب البقوم القاطنين شرق الطائف، وذلك في شهر شوال سنة ٨٦٣هـ/١٤٥٨م والتي عاد منها غانما .(١) وفي سنة ٨٦٥ هـ - ١٤٦٠م ، أو في السنة التي قبلها ٨٦٤هـ - ١٤٥٩م ، توجه الشريف محمد بن بركات الى ناحية شرق الحجاز غازيا بعض الجماعات من الأعراب لتأديبهم(٢) وفي الثامن عشر من شهر رجب سنة ٨٧١هـ - ١٤٦٦م ، قاد الشريف محمد حطة توجه بها من جدة الى ينبع ، وذلك لقتال الأشراف ذوي هجان وذوي ابراهيم في عسكر كثير ، وحاصر المذكورين ببلادهم السويق ،(٣) فاستشفعت عنده خاتون ابنة هجان بن محمد بن مسعود أخت سبع وزوجة خنافر بن عقيل بن وبير أمير البلاد ، التي نزلت اليه فشفعها وعاد لمكه(٤) وفي نفس العام ٨٧١هـ - ١٤٦٦م أيضا ، بعث الشريف محمد بن بركات بقوة الى حلي لقتال أهلها ، لاخراجهم الأمير محمد ابن دريب عن امارتهم ، بعد أن عينه الشريف محمد بن بركات أميرا عليهم، وأيضا

---

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٢٩٨.
- ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥٠٩.
- المشيقح ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها ، ص ٢٨
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٣.

(٢) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٣١٧.
- ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥١٠.
- المشيقح ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية منها ، ص٢٨
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٣.

(٣) السويق : سوق وعين في ينبع النخل .
- البلادي ، عاتق : معجم معالم الحجاز ، جـ٤ ص ٢٥٥.

(٤) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٣٥٩.
- ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥١١.
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٣.

لكي يعيدها الى تبعيته.[(١)]

وفي شهر شعبان سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨ - ١٤٦٩م ، سار الشريف محمد بن بركات على رأس عسكره لمقاتلة قبيلة زبيد ذوي مالك ، بالقرب من رابغ ، واستطاع الشريف محمد قتل شيخهم رومي ، وعددا من رجاله[(٢)] وفي محرم سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م ، قاد الشريف محمد بن بركات أيضا حملة ضد جماعة من عرب البقوم وبني لام ، واستطاع احراز بعض الغنائم ،[(٣)] وكان ذلك ناحية شرق الحجاز.

وفي شهر صفر سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م ، توجه الشريف محمد بن بركات لغزو بعض عرب عتيبة ، وذلك لامتناعهم عن دفع ما أقره عليهم الشريف ، ولقد استطاع الظفر ببعضا منهم[(٤)] وفي شعبان سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م ، تمكن الشريف محمد ابن بركات من الايقاع بجماعة من عرب زبيد عند جبل صبح قرب المدينة المنورة وقتل جماعة منهم. وفي شوال أو ذي القعدة من سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م ايضا ، حصل بين الشريف محمد وبين قبيلة زبيد الذين كان شيخهم رومي خلاف ، مما أدى الى حصول عصيان منهم ، فبعث الشريف محمد بن بركات خاله شامان بن زهير

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥١٢.
— مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٣.

(٢) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٣٧٩.
— ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥١٣.
— الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٦٦.
— العصامي ، عبد الملك : سمط النجوم العوالي ، جـ٤ ص ٢٧٦.
— دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٤.

(٣) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٣٨٨.
— ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥١٤.
— مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٣ ، ١٥٥.

(٤) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥١٤.

وأخوين له أحدهما الشريف علي وأخر أصغر منه لمقاتلتهم ، وذلك بعد أن وضع لهم مكيدة قتالية ، وهي أن يشاع أن هذه القوة العسكرية التي أعدها الشريف محمد انما هدفها ناحية الشرق ، في حين أن هدفها الحقيقي هو زبيد ، وتمكنت القوة من تحقيق الانتصار على زبيد[١] .

وفي رمضان سنة ٨٧٦هـ - ١٤٧١م ، توجه الشريف محمد بن بركات وقوته العسكرية ناحية شرق امارته غازيا ، وأغار على عرب البقوم ، واستطاع احراز نصرا عليهم.[٢] وفي شهر ربيع الأول سنة ٨٧٨ هـ - ١٤٧٣م ، توجه الشريف محمد ناحية الشرق للغزو أيضا . ومن أكبر الغزوات التي قادها الشريف محمد بن بركات الغزوة التي قام بها ضد جيزان جنوب سلطة الحجاز ، ويرجع سبب تلك المعركة لأمور عديدة منها ، غضب الشريف محمد على أمير جيزان أبو الغواير أحمد بن دريب بن خالد لاكرامه لأخيه علي لما ذهب اليه مغاضبا لأخيه محمد كما سيأتي ذكره وساعدته في تعديته بحرا الى سواكن ،[٣] بحيث استطاع الوصول الى السلطان المملوكي في مصر ، ومن الأمور التي أغضبت الشريف محمد أيضا ، ايواء أمير جيزان لمن ينفيهم الشريف محمد من جنده ، وفي الحقيقة لم يكن الشريف محمد ليترك امارة جيزان تنافسه أو تكون وكرا لثورة الخارجين عليه ، أو تهديدا لبلاده ، بمساعدة الدولة الطاهرية[٤] الصديقة لأمير جيزان الشريف أبو الغواير .

---

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٤١٠ .
ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥١٦ .

(٢) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٢ ص ٤٢٠ .

(٣) سواكن : بلد على ساحل بحر الجار - البحر الاحمر - قرب عيذاب .
- الحميري ، محمد عبدالمنعم : الروض المعطار في خبر الاقطار ، ص٣٣٢

(٤) الدولة الطاهرة : قامت في اليمن بعد دولة بني رسول وحكمت من ٨٥٠هـ الى ٩٢٣هـ ، ١٤٤٦ - ١٥١٧م .

ولقد وصل الشريف محمد بن بركات الى جيزان في شهر ربيع الأول سنة ٨٨٢هـ - ١٤٧٧م ومن ثمة أخذ في محاصرتها ، فجاء اليه المشايخ من جيزان طالبين منه الصلح ، فقال لهم : (بعد أن جئت الى هنا فلا بد أن أدخل من باب وأخرج من الثاني ولا أحدث شيئا)[١] فلم يوافق أمير جيزان ، عندئذ تقاتل الطرفان ، وكان النصر حليف الأمير محمد بن بركات ، واشتعلت النيران في مدينة جيزان من قبل جند الشريف محمد ، وقيل أنها اشتعلت بفعل ريح قوية . وسيطرت قوة الشريف محمد على جيزان.[٢]

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥٢٤ .

(٢) - ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٢٧٧ .
- الجزيري ، عبد القادر ، درر الفوائد ، ص ٣٣٨ .
- القاسم بن علي ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، مراجعة د . محمد مصطفى زيادة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م . جـ٢ ص ٦٠٩ .
- الحضراوي ، أحمد بن محمد : تاج تواريخ البشر ، جـ٢ ص ٢٦١ .
- الكبسي ، بدر الدين محمد بن اسماعيل بن محمد بن يحيى بن أحمد ابن علي بن محمد بن أحمد ، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، مخطوط ، ص ٥٥ . (يقول ان المعركة وقعت سنة ٨٨٣هـ - ١٤٧٨م)
- الوزير ، عبد الله بن علي بن محمد بن ابراهيم : جامع المتون في أخبار اليمن الميمون ، مخطوط ، ص ١١٤ . (يقول ان المعركة وقعت سنة ٨٨١هـ - ١٤٧٦م)
- العقيلي ، محمد بن أحمد : تاريخ المخلاف السليماني ، الطبعة الثانية ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، جـ١ ص ٢٦٢
- المشيقح ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها ، ص ٢٨
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٧ .

وكان من أهم نتائج هذه المعركة ، اعتراف الشريف أبي العوائر بالتبعية لأمير مكة المكرمة والتعهد بدفع مبلغ سنوي له . هذا وقد قام الشريف محمد بن بركات بالتوجه الى جيزان أيضا في سنة ٨٨٤هـ - ١٤٧٩م ، حيث هدم حصونها ، وأخذ من أميرها الأموال [١] ولم تكن غزوات الشريف محمد بن بركات على جيزان لتجعل علاقاته تقطع نهائيا مع الدولة الطاهرية في اليمن . بل نجد أن علاقاته بتلك الدولة تنمو . وكان أمير جيزان يهدى للدولة الطاهرية في كل عام ما يساوي ألف دينار على سبيل الهدية ، [٢] وربما تكون هذه المجاملة على سبيل جعل الدولة الطاهرية تصرف أنظارها عن غزو جيزان هي الأخرى حتى لا يثير صدام على أراضيه بين الحجاز واليمن .

وتذكر بعض المصادر أن الشريف محمد بن بركات في سنة ٨٩٢هـ - ١٤٨٦م حاول غزو عدن لمساعدة ملك اليمن محمد بن عبد الوهاب عندما وقعت له بعض المشكلات مع أهل البلاد ، [٣] ومن الغزوات التي قام بها الشريف محمد بن بركات خلال سلطته على الحجاز أيضا ، سيره الى ناحية شرق بلاده في شهر شوال سنة ٨٨٢هـ - ١٤٧٧م وذلك لغزو عرب الحنيشي [٤] ولقد استطاع احراز بعض الغنائم ثم عاد لمكة المكرمة . [٥] وفي جماد الآخرة سنة ٨٨٥هـ - ١٤٨٠م ، قام الشريف

---

(١) المشيقح ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها ، ص ٢٩

(٢) المدخلي ، محمد ربيع هادي عمير : الأحوال السياسية والظاهر الحضارية في عصر السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري ٨٩٤ - ٩٢٣هـ / ١٤٨٨ - ١٥١٧م ، رسالة جامعية ، ص ١٩٧ .

(٣) الحضراوي ، أحمد : تاج تواريخ البشر ، جـ٢ ص ٦٦١ .

(٤) هم فخذ من ناصرة عرب بجيلة .

- ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ٦٣ .

(٥) المرجع السابق ، جـ٢ ص ٥٣٠ .

محمد بحملة ضد عرب بيشة.[(١)] وفي سنة ٨٨٨ هـ - ١٤٨٣م ، بعث الشريف محمـــد ولد يه بركات - وهزاع لغزو عرب الحنيش ، ولقد أسفرت هذه الغزوة عن أخضاع عـــرب الحنيش وتأديبهم لحكم الشريف محمد بن بركات.[(٢)]

هذا وفي نفس العام ، بعث الشريف محمد بعسكر الى شرق الحجـــــاز لقتال بعض الأعراب هناك ، وفي سنة ٨٩١هـ - ١٤٨٦م ، توجه الشريف محمد وابنه بركات الى ينبع لمحاربة بني ابراهيم ، ولقد استطاع الحاق الهزيمة بهم.[(٣)]

وفي عام ٨٩٢ هـ - ١٤٨٦م ، خرج الشريف بركات بن محمد بن بركات مـــن الحجاز للغزو ناحية شرق الحجاز ، ومعه أمير ينبع دراج بن سبع بن هجان ، وحقق النصر في غزوته.[(٤)] وفي سنة ٨٩٣هـ - ١٤٨٧م ، سار الشريف محمد وعسكره غازيـــا ناحية شرق بلاده وكانت غزوته تستهدف عرب بني لام ، الذين كانوا يسكنون قـــرب المدينة المنورة ، وسبب ذلك أن بعضهم قد خرب حصون خاله شامان.[(٥)]

ولم تهدأ الحرب بينه وبينهم بذلك ، فلقد سير عسكرا لمحاربتهم مرة أخرى في شهر رجب سنة ٩٠٠ هـ - ١٤٩٤م ، واستطاعت هذه الحملة الحاق الهزيمـــة

---

(١) بيشة : وادي من أودية تهامة .
الحميري ، محمـــــــد : الروض المعطار ، ص ١٢٠ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيـــــــز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥٤١ .
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٩ .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيـــــــز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥٥١ .
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٩ .

(٤) ابن فهد ، عبد العزيـــــــز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥٥٤ .
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٩ .

(٥) ابن فهد ، عبد العزيـــــــز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥٥٥ .
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٠ .

بهم ، ثم سيرا عسكرا آخر لمحاربتهم أيضا في سنة ٩٠١هـ - ١٤٩٥م.[١] وما ذكر من غزوات قام بها الشريف محمد بن بركات حاكم الحجاز في ذلك الوقت ، استطاع أن يؤمن حدود سلطته ، ويضمن ولاء الأمراء المحيطين بالحجاز ، وينال بذلك رضى الدولة المملوكية ، حيث كان يهمها في المقام الأول المحافظة على سلطتها في منطقة الحرمين الشريفين ، بل نرى أن الشريف محمد ترك لمن تولى بعده سلطة قوية متسعة مهابة .

ولم تكن فترة تولى الشريف محمد بن بركات حكم الحجاز تخلوا من بعض فتن داخلية ، التي أحدثت بعض الاضطراب ضد حكمه للحجاز . ومن أهم تلك الفتن ، خروج وزيره القائد بديد ، وأسمه أحمد بن شكر وعرف ببديد . يقول المؤرخ عز الدين عبد العزيز بن عمر بن فهد في حوادث سنة ٨٦٤هـ - ١٤٥٩م " وفي شوال تنافر هو ووزيره بديد فخرج بديد الى جهة الشام في عسكر كثير فاحتاط على الشريف على بعض حواصله وجميع ابله وجمع عسكرا لغزوه "[٢] وتفصيل ذلك ، ان علاقة الشريف محمد مع وزيره بديد بلغت الأوج في تدهورها في شوال سنة ٨٦٤هـ-١٤٥٩م عندما أخذ بديد يستبد في ادارة شئون الحجاز ، ولقد علم بديد أن الشريف محمد يريد القبض عليه ، فخرج عن طاعته ، ولقد انضم الى بديد جماعة من الأشراف من ذوي أبي نمي وذوي عمر ، والقواد أتباع ذوي عجلان وذوي حميضه . هذا فضلا عن نائب الشريف محمد بن بركات بجده راجح بن شميله ، بالاضافة لطائفة من الأعراب من بني بشر . وحاول بديد أثارة الفتنة بين الشريف محمد وأخيه الشريف أبي سعد بن بركات ، وذلك حينما وعد بديد أبا سعد بالسعي له في الحصول على حكم الحجاز لدى السلطان المملوكي اذا قام أبو سعد بدوره بنصرته . ولكن

---

(١) موريتيل ، ريتشارد ، الأحوال السياسية ، ص ١٦٠ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥٠٩ .

الشريف أبا سعد لم يحبذ الفتنة ، وأطلع أخاه الشريف محمد بن بركات على ذلك الأمر . فكانت ثورة بديد ومن حالفه من الأمور التي هددت سلطة الشريف محمد بن بركات وأزعجته . فبعث أخاه علي بن بركات الى الأشراف والقواد الذين انضموا الى بديد لكي يقنعهم بالعودة الى طاعته ، ولقد استطاع اقناعهم ، ثم بعد ذلك سار الشريف محمد بقوة عسكرية الى جده وأقام هناك ، بهدف منع بديد من الاستيلاء على جده ، وذلك لما فيها من مصالح اقتصادية لسلطته . ومن هناك بعث بفرقة عسكرية لتستولي على ابل لبديد كانت جهة جنوب الحجاز ، وذلك لكي يستطيع الشريف محمد اضعاف قوة بديد الاقتصادية ، هذا فضلا عن مصادرته لكثير من الأموال والبضائع كانت لبديد في جده ، مما جعل مقاومة بديد تنهار بعد أن انفض عنه أتباعه فاجتمع بالشريف محمد بن بركات وحلف له يمين الطاعة فعفى عنه[1] ، هذا يبين لنا مدى تسامح الشريف محمد بن بركات مع رعيته لبعد نظره وسمو أخلاقه في عفوه عند المقدرة لهدف جمع شمل الرعية لاصلاح الأمور بالروية . ومن الجدير بالذكر أن بديد توفي بعد ذلك في جمادى الأولى سنة ٨٦٩هـ - ١٤٦٤م ، بوادي الأبار.[2] وهو وادي جنوب مكة المكرمة ويقال له الأبيار.

ومن الصعوبات الداخلية التي واجهت الشريف محمد بن بركات، مطالبة المماليك المرابطين في مكة المكرمة من طرف الدولة المملوكية بأن يصرف لهم راتبا شهريا مثلما كان والده الشريف بركات يفعل ، فرفض الشريف محمد ذلك ، وساند في موقفه السلطان المملوكي خشقدم ، خوفا من تذمر حاكم الحجاز على سلطة الدولة المملوكية التي بدأه بعدم دفع راتب لجنودها ، فبعث مرسوما الى مكة المكرمة سنة ٨٦٦هـ - ١٤٦١م تضمن أن الشريف بركات بن حسن كان يصرف رواتبا باختياره

---

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٣٠٣ .

(٢) ابن تغرى بردى ، جمال الدين أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ١٦ ص ٣٣٨ .

وأن الشريف محمد ليس ملتزما بذلك ، مما جعل هؤلاء المماليك يسيئون المعاملة في مكة المكرمة . فبعث السلطان خشقدم أيضا مرسوما آخر الى مكة سنة ٨٧١هـ - ١٤٦٦م ، يتضمن الأمر بابعاد أمير العسكر المملوكي المقيم بمكة الى الهند[١] . وكذلك في عهد السلطان قايتباي في سنة ٨٧٦هـ - ١٤٧١م وصل مرسوم آخر الى المماليك بمكة أيضا تضمن أهانة للأتراك المقيمين بمكة المكرمة بسبب ايذائهم لأهل مكة[٢] ، وهذا يبين لنا مدى حرص الدولة المملوكية على علاقتها بالحجاز ومحاولتها ارضاء أهله ، خوفا من سخطهم الذى قد يؤدى الى ثورتهم ضد السيادة المملوكية

على الحجاز ، خاصة اذا انعكس سخطهم هذا على حاكم الحجاز الذى كان يهمه حياة سكان الحجاز في أمن وطمأنينة ، ومن الأمور الداخلية أيضا التى أخذت الكثير من جهد ووقت الشريف محمد ، خروج الشريف علي بن بركات عليه ، وذهابه الى القاهرة سنة ٨٧٢هـ - ١٤٦٨م عن طريق جيزان والتقائه بالسلطان المملوكى قايتباى ، وسعيه فى الحصول على حكم مكة ، ولكن السلطان قايتباى رأى أنه من الصالح للمماليك استمرارية تأييدهم للشريف محمد على الحجاز فبعث برسول من طرفه الى الشريف محمد يطلب منه مصالحة أخيه ، وعدم المساس به مع تأييده وتدعيم سلطته[٣] . ولم يكن ذلك ليحدث لولا معرفة الشريف محمد بن بركات التصرف في مثل هذه الأمور ، وبخاصة مع الدولة المملوكية ، فحينما علم الشريف محمد بخروج أخيه عليه ، بعث برسول من طرفه للسلطان المملوكى قايتباى يطلب منه تقليدا باقراره والاعتراف بسلطته ، وذلك كمقابل ستين ألف دينار للخزانة السلطانية[٤] . مما جعل السلطان قايتباى يسعى بالصلح بين الأخوين .

---

(١) مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥١٣ .
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٣ ، ١٥٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥٣ ، ١٥٥ .

هذا وقد اتهم الشريف محمد بن بركات القائد محمد بن بديد بن شكر الحسني وخاله أحمد بن قفيف بمواطئة أخيه الشريف علي ، وأنهما حرضاه على الخروج عليه ، وأمر بقتلهما بين أبي عروة والجموم [١] من وادي مر ، ونفى الشريف محمد بن بركات جماعة بديد وذوي عمر [٢]

ولم يكن خروج الشريف علي بن بركات على الشريف محمد هو الخروج الوحيد في فترة تولي الشريف محمد بن بركات سلطة الحجاز ، ففي سنة ٨٧٦هـ - ١٤٧١م خرج الشريف رميثه بن أبي القاسم بن حسن بن عجلان على الشريف محمد ، وفيها يقول المؤرخ عز الدين عبد العزيز بن عمر بن فهد " وفيها في النصف الاول من شعبان أمر الشريف بتخريج ذوي عجلان فخرجوا ليلة السبت رابع عشر الشهر الى جدة ليتجهزوا مع من هناك ويركبوا جميعا في خلية الى اليمن ولم يتحقق السبب لذلك لكن يقال أن سببه توجه الشريف رميثه بن أبي القاسم بن حسن بن عجلان من جهة اليمن الى جهة الشرق ثم الى المدينة وأن ذلك بمواطئة منهم أو محالفته" [٣]. فلما عجز عن نزع السلطة من الشريف محمد ، توجه الى اليمن ، وأقام بها حتى سنة ٨٧٦ هـ - ١٤٧١م [٤] وقد وصل مرسوم من السلطان قايتباي الى الشريف محمد

---

(١) الجموم : كانت عينا في مر الظهران على طريق مكة الى المدينة ومحطة للحجاج .
أما ابى عروة فتقع في الشمال الشرقي للجموم - وتبعد عنها بمسافة كيلين تقريبا .
- البلادي ، عاتق : معجم معالم الحجاز ، جـ٢ ص ١٧٦ .

(٢) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٣٧٧ .
- ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥١٢ .
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٣ - ١٥٥ .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥١٧ .

(٤) مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٥ .

سنة ٨٧٨هـ - ١٤٧٣م ، يخبره فيه أن الشريف رميثه تكلم معه - أى مع السلطان - فى أمر الحجاز فرفض قايتباى طلبه ذلك . هذا وفى سنة ٨٧٩هـ - ١٤٧٤م توفى الشريف رميثه[1] بمصر واستراح الشريف محمد منه ومن الأمور التى أزعجت الشريف محمد ابن بركات ، بل والسلطان المملوكي الاعتداء الذى قام به أمير المدينة المنورة حسن بن زبيرى من آل نعير[2] على المسجد النبوى الشريف وعلى قدسية مسجد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . وقد حدث ذلك فى سادس ربيع الأول سنة ٩٠١ هـ - ١٤٩٥م حينما دخل المسجد النبوى الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام مع أعوانه ، وقفل أبوابه وطلب من الخازندار أيدى الرومي مفتاح القبة فامتنع ، فأخذ أعوانه بضربه حتى أغمي عليه وكاد أن يقتل ، لولا تدخل شريف من آل طفيل يقال له مشارى بن ذياب . عندئذ كسر الشريف حسن بن زبيرى باب القبة وأخذ جميع ما فيها من النقد والقناديل وتألم الناس لذلك كثيرا ، وعطلت صلاة الظهر يومئذ فى المسجد النبوى ، وأحس الناس بالخوف ، وخافوا من النهب والسلب بالبلاد ، فلما وصل الأمير حسن بن زبيرى الى حصنه ، نادى بالأمان وقال أن ما فعله لم يكن ينوى به التعرض لأحد . انما أخذ نذر جده ، وأمر بعض الفقهاء أن يقول الشريف محمد هو الملجيء له لفعلته التى قام بها . حيث أخذ من جده كل سنة ألف دينار ، وشاطره فى الميراث ، ولم يكن قوله ذلك مبررا يبرر به فعلته الاعتدائية .[3] وحينما علم السلطان المملوكى بذلك طلب من الشريف محمد بن

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥١٩ .

(٢) الشريف حسن بن زبيرى من آل نعير : هو حسن بن زبير بن قيس بن ثابت بن نعير ابن منصور البدر الحسينى أمير المدينة وليها بعد أبيه فى سنة ثمان وثمانين بأمر الشريف محمد بن بركات حاكم الحجاز .
- السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن : الضوء اللامع ، جـ٣ ص ١٠٠ .

(٣) الجاسر ، حمد : رسائل فى تاريخ المدينة ، الطبعة الاولى ، دار اليمامة الرياض ، ١٣٩٢ - ١٩٧٢م مأخوذ عن مخطوطة الوفاء : لنور الدين =

بركات القبض على الشريف حسن بن زبيرى أمير المدينة المنورة .

وقد بادر أحد الأشراف من الظوالم ، وهو الشريف شهوان الحسيني بالتوجه لأمير ينبع ، الشريف دراج ، فأخبره بما حدث وأخبره أن أهل المدينة المنورة انتدبوا عليهم الشريف سرداح الحميضي لحفظ الحصن ، وعلى الفور وفي الرابع عشر من ربيع الأول من نفس العام وصل الشريف دراج أمير ينبع في قوة عسكرية للمدينة المنورة ، فاطمأن الناس ، ثم وصلت بعد ذلك قوة عسكرية أخرى تابعة لحاكم الحجاز الشريف محمد بن بركات(١) ثم ولى الشريف محمد بن بركات ابن خاله أمر المدينة المنورة . السابق ويدعى الشريف فارس بن شامان الحسيني أمر المدينة المنورة .(٢) بعد ما قام به أميرها من اعتداء على المسجد النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام . ولقد عمل أمير المدينة المنورة الجديد بعد استقراره في السلطة على تتبع ما أخذ من ألقبه ، وذلك عن طريق أسماء أشخاص كان أمير المدينة السابق يرفع ودائعه لديهم حتى استخلص الشيء الكثير مما أخذ . كان هذا من أهم الأحداث الداخلية في عهد الشريف محمد بن بركات ، وقد استعرضنا قبلها الغزوات والمعارك الخارجية التي قام بها ، وكان جميعها تهدف الى ترسيخ سلطة الشريف محمد بن بركات وتقويتها وتعتبر علاقاته بالدولة المملوكية علاقات تميزت بالهدوء والتوازن نتيجة لحسن تصرف الشريف محمد في علاقاته الداخلية والخارجية والخاصة بالدولة المملوكية وفي عهده قام السلطان المملوكي قايتباى بأداء فريضة الحج ، وذلك في سنة ٨٨٤هـ - ١٤٧٩م ، فاستقبله الشريف محمد استقبالا حسنا ، ثم قام السلطان بزيارة للمسجد النبوى الكريم على صاحبه أفضل السلام .(٣) وقام السلطان المملوكي قايتباى بابطال الكثير من

= السمهودى ص ١٨٣ - ١٨٤ .

- الجاسر ، حمد ، بلاد ينبع ، ص ٥١ .

(١) الجاسر ، حمد : رسائل في تاريخ المدينة المنورة ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

(٣) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٥٠٤ .

(يعتبر السلطان قايتباى ثالث سلطان مملوكي يقوم باداء فريضة الحج حيث سبقه باداء تلك الفريضة السلطان المملوكي الظاهر بيبرس سنة ٦٦٧هـ والسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢هـ ، ٧١٩هـ ، ٧٣٢هـ) =

المكوس ، وعم أهل الحرمين الشريفين بالخيرات وهذا مما قوى العلاقات الحجازية المملوكية الأمر الذى جعل السلطان المملوكي يعترف بسلطة الشريف محمد على الحجاز عامة وبعث بذلك رسميا من القاهرة سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م ، كذلك فى عهد الشريف محمد بن بركات سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م حج الامير جم بن السلطان العثمانى محمد الثانى الفاتح .(١) كما حج السلطان العثمانى بايزيد الثانى واحسن الشريف محمد استقباله الامر الذى زاد فى حسن العلاقة بين الدولة العثمانية والحجاز حيث تبادلا الوفود فيما بينهما (٢) ولقد اشرك الشريف محمد ابن بركات معه فى الامارة على الحجاز ابنه الشريف بركات منذ عام ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م وظلا معا حتى توفى الشريف محمد بن بركات ،(٣) الذى كانت وفاته فى يوم الثلاثاء حادى عشر محرم سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٨٧م ، بوادى الآبار جنوب مكة . وتولى الامارة ابنه الشريف بركات بن محمد بن بركات سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٨٧م.(٤) وكانت فترة امارة الشريف محمد للحجاز من أطول الفترات ساد فيها الأمن والطمأنينة .

ـ السيوطى ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر : تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ، مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ، ص ٥١٥ .

ـ النهروالي ، قطب الدين : الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ٢٣٠ .

ـ الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٩ .

ـ العصامى ، عبد الملك : سمط النجوم العوالى ، جـ٤ ص ٥٥ .

ـ الشيبانى ، وجيه الدين عبد الرحمن بن على الديبع : الفضل المزيد على بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد ، تحقيق د . يوسف شلحد ، دار النشر ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص ١٥٧ .

(١) الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٤١ .

(٢) السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ،

ـ دراسات فى السياسة والعلم والاجتماع والعمران ، الطبعة السادسة ، نادى مكة الثقافى ، ١٤٠٤هـ ، جـ٢ ص ٣٤٣ .

(لم اجد عن حج السلطان بايزيد الثانى العثمانى سوى ماذكره المرجع السابق) .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥٢٠ .

ـ الحضراوى ، احمد تاج : تواريخ البشر ، جـ٢ ص ٢٦٢ .

(يقول سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م) .

(٤) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥٩٨ .

٢ - الصراع على السلطة بين أبناء الشريف محمد بن بركات وموقف الدولة المملوكية من الصراع.

أشرنا فيما سبق (صفحة رقم ٢٨) ، ان الشريف بركات بن محمد كان مشاركا لأبيه فى حكم مكة المكرمة منذ سنة ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م ،[١] ثم تولى زمام الأمور فى سلطة الحجاز بعد وفاة والده الشريف محمد بن بركات وذلك فى سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م وقد قام السلطان المملوكى محمد بن قايتباى باشراك أخيه هزاع بن محمد معه فى السلطة.[٢] ولكن لم يدم الاستقرار والطمأنينة التى كان ينعم بها الحجاز فى عهد حاكمها الشريف محمد بن بركات طويلا ، ويرجع سبب ذلك الى الفتن والخصومات والمعارك التى دارت بين حاكم الحجاز الشريف محمد بن بركات الثانى بن محمد وأخوته على السلطة.

ويمكن أن نقول أن للدولة المملوكية فى مصر يدا فى اثارة هذه الفتنة بين

= - الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٤٨.
- الطبرى ، محمد بن على الحسينى : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ٢٣٨.
- السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص ٣٠٨.

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ٦٣.
بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان ولد بمكة سنة ٨٦١هـ وامه الشريفة عمره ابنه محمد بن على بن ثقبه استجاز له جماعة من العلماء كان مشاركا لأبيه فى أمرة الحجاز وتولى بعد وفاة أبيه سنة ٩٠٣هـ .
- ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ٣٥.

(٢) الطاهر ، عبد الهادى بن محمد : الدر الفاخر ، ص ١٠.
- السنجارى ، على بن تاج الدين المكى : منائح الكرم ، ص ١٥٣.
- الطبرى ، محمد بن علي بن فضل المكي : اتحاف فضلاء الزمن ، جـ١ ص ١٣٤.
- دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٦.
- طلس ، محمد أسعد : عصر الانحدار يشتمل على تاريخ العراق والشام والجزيرة العربية والمغرب العربى منذ سقوط بغداد سنة ٦٥٦ =

أبناء محمد بن بركات ، وذلك لخوفها من استقلال الحجاز عن التبعية وسيادة الدولة المملوكية وبخاصة بعد ازدهار التجارة الشرقية المارة بالموانى الحجازية وما تدره من أرباح ، فى الوقت الذى تدهورت الأوضاع الاقتصادية فى الدولة المملوكية ، مما ينعكس على النواحي السياسية ، فعمل المماليك على جلب أكثر قدر من المال حتى يستطيعوا فرض سلطانهم على الدولة سواء من الأراضي المصرية والشامية ومن التجارة الشرقية المارة بالبحر الأحمر والأراضي الحجازية حتى توصل بهم الأمر الى سلب الأموال من التجار المارين بالمدن الحجازية حتى العلماء والتجار الحجازيين لم يسلموا من هذا الطمع المملوكي، فعندما رأوا بعض التضجر من حكام الحجاز وخاصة الشريف بركات الثانى بن محمد قاموا بتحريض أخوته عليه ليضمنوا لأنفسهم الأرباح الاقتصادية والسياسية من جراء الاضطرابات بين الأخوة على سلطة الحجاز مما سبب الكثير من القلاقل والاضطرابات داخل مكة المكرمة والحجاز عامة بإيعاز من الدولة المملوكية التى لم ترى من مصلحتها تولي الشريف بركات سلطة الحجاز ، لما رأته من ميوله الاستقلالية بالحجاز ، وعدم ارتياحه للضرائب التى بالغت الدولة المملوكية فى فرضها على التجارة الشرقية المارة بموانى البحر الأحمر الحجازية،وكان على هؤلاء الأخوة النظر فى مصلحة البلاد قبل كل شىء ، وتقديمها على مصلحتهم الذاتية ، والمحافظة على بلادهم ومصالحها ، بدلا من اثارة الصراع فى مكة المكرمة وغيرها من المناطق ، وكان عليهم أيضا أن يولوا السلطة من يرون جدارته للحفاظ على مصلحة البلاد والتمسك بالشرعية وبخاصة أن أخيهم تولى السلطة مشاركا لوالده لبعد نظر والدهم الشريف محمد لاكسابه الخبرة ،

= الى فجر عصر النهضة فى القرن الثالث عشر ، الطبعة الاولى ، دار النشر دار الاندلس للطباعة والنشر بيروت ، ١٩٦٣م ، ص١٢٩ .

- السباعى ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص٤٦ .

- تاريخ مكة ، جـ١ ص٣٠٩ .

لولاية العهد ، ويمكن تقسيم ذلك الصراع الذى قام بين الشريف بركات بن محمد وأخوته الى مرحلتين مهمتين هما ، مرحلة الصراع بينه وبين الشريف هزاع الذى حدث في سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م ، عندما خرج الشريف هزاع على أخيه الشريف بركات [١] وخرج معه أخوه الشريف أحمد الملقب بالجازاني [٢] ورحلا الى ينبع .

وفى شهر شعبان سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م ، وصل هزاع الى عسفان [٣] بالقرب من مكة المكرمة وكان قد اتصل بسلطان المماليك فى مصر لكي يوليه على الحجاز ، وذلك مقابل مائة ألف دينار ، وكان أعيان الدولة المملوكية منقسمين فرقتين ، فرقة تؤيد الشريف بركات على حكم الحجاز ، وفرقة تحبذ اقامة أخاه الشريف هزاع بدلا عنه [٤] لكن السلطان المملوكى رأى أنه من الصالح اطفاء هذه الفتنة

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص٨٣ .
- ابن اياس ، محمد بن أحمد الحنفي : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، الطبعة الثانية ، الناشر فرار شتايز فيسبادن ، جـ٢ ص٣٨٦
- العصامي ، عبد الملك : سمط النجوم العوالي ، جـ٤ ص٢٧٩
- الطاهر ، عبد الهادى : الدر الفاخر ، ص١٠ .
- الشيلى ، محمد : السنا الباهر بتكميل النور السافر فى أخبار القرن العاشر ، مخطوط ، ص٥٩ . (يقول المؤرخ نافر هزاع أخاه بركات سنة ٩٠٦هـ وليس سنة ٩٠٤هـ) .
- السنجارى ، على بن تاج الدين المكي : منائح الكرم ، ص١٥٣ .
- دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص٤٦ .

(٢) الجازانى : يقال جازان للشخص الذى يكون مغاضبا لأخيه .
- السنجارى ، على بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص١٥٣ .

(٣) عسفان : قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلا من مكة وهى حد تهامة .
- الحموى ، شهاب الدين ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ص١٢١ .

(٤) الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص٣٤٨ .

فى تلك الظروف وترك الشريف بركات حاكما على الحجاز ، وبعث الى كاتب السر بدر الدين بن مزهر بالتوسط للاصلاح بين الأخوين المتصارعين ، وأسفرت جهوده عن صلح مؤقت بينهما ، وأخذ منها المواثيق والعهود على ألا يتعرض كل منهما للآخر ، وألا يتعرضا للحجاج ، وأن يصرف بركات لأخيه هزاع راتبا ، ومن ثمة نزل هزاع بخليص عند عرب زبيد ، ولقد انتظمت الأمور بعد ذلك بعض الشيء ، حيث نجد أنه فى شهر ذى القعدة سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م نجد الشريفين بركات وهزاع يلبسا الخلع الواردة من السلطان المملوكي جان بلاط ،(١) وهى خلعة حاكم على الحجاز للشريف بركات ، وخلعه المشاركة فى السلطة للشريف هزاع ، وفى سنة ٩٠٦/ ١٥٠٠م عادت الأمور الى الاضطراب السياسي مرة أخرى ، وعاد النزاع بين الأخوين من جديد ، والسبب فى ذلك كما يقال أن سلطان المماليك طومان باى ، حينما تولى بعد السلطان جان بلاط طرد رجلا من أنصار السلطان جان بلاط يسمى قانصوه المحمدى وشهرته البرج ، فجاء الى مكة فلم يقم حاكم مكة المكرمة الشريف بركات ولا أعيان بلاده باكرامه ، أو الالتفات اليه خوفا من غضب السلطان طومان باى عليهم .

فلما تولى السلطنة المملوكية قانصوة الغورى بعده فى شهر شوال سنة ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠م ، بعث الى قانصوه المحمدى فى مكة المكرمة بتعيينه على الشام فعند ذلك جاء الشريف بركات بن محمد وأعيان حكومته مثل القاضى ابى السعود بن ظهيرة

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ٩٠ .
- الصباغ ، محمد بن أحمد المكي : تحصيل المرام ، ص١٩٢ .
(يقول المؤرخ أن المقر البدرى بن مزهر صاحب ديوان الانشاء بمصر حضر للحج عام ٩٠٤هـ/١٤٩٨م وحصل منه ما أوجب الفتنة بين الاخوين بركات وهزاع وليس الصلح) .
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ٦١٢ .

ظهيرة لتهنئته فلم يغفر ما مضى منهم وأصر حقدا منه عليهم لعدم استقبالهم لـــه بما يراه لائقا به أول الأمر ، ثم أخذ فى اثارة الفتنة بين الشريف بركات وأخيـــه الشريف هزاع ، فعامل هزاع معاملة أمير مكة المكرمة .

وكان الشريف هزاع حينئذ بمكة ووعده أن يجعل حكم مكة المكرمة اليـــه ، كذلك نجد أن للشريف هزاع محاولات قام بها مع السلطان قانصوه الغورى لكـــى يؤيده كحاكما على مكة المكرمة ، وبذل له الكثير من العطايا ، ولقد كتب للشريـــف هزاع النجاح فى هذه المرة ، حيث نجده يخرج من مكة الى ينبع مع قوة عسكرية مـــن أتباعه وأنصاره ، فى حين بعث قانصوة المحمدى برسول الى أمير الحاج المصـــرى سودون العجمى ودولات بأى أمير أول ، يأمرهم أن يعطوا المراسيم والخلع للشريف هزاع بدلا من الشريف بركات فمالا الى رأيه (١) كتأييد من السلطان المملوكى لـــه

وفى الحقيقة ماكان ذلك ليتم لولا موافقة السلطان قانصوه الغورى ، فلقـــد بعث اليه الشريف هزاع يطلب منه تأييده على حكم مكة المكرمة مقابل مائة ألف دينـــار وفى الظاهر أن السلطان الغورى رفض هذا العرض وعين المعز البدرى من مزعـــر لكى يكون مبعوثا من طرفه لاخماد هذه الفتنة . ولكن بدلا من ذلك نجد الشريف هزاع يلبس الخلع بدلا من أخيه الشريف بركات . فكيف يتم ذلك دون موافقـــــة

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيـــــز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١٠٣ .
- العصامى ، عبد الملك بن حسين : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٨٢ .
- السنجارى ، على بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٤ .
- الشيلي ، محمد : السنا الباهر ، ص ٥٩ .
- ابن على ، يحيى بن الحسين بن القاسم : غاية الامانى فى أخبـــار القطر اليمانى ، جـ٢ ص ٦٢٦ .
- الشيبانى ، وجيه الدين عبد الرحمن بن على بن محمد بن عمر الديبع : قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون ، مخطوط ، ص ١٠٧ .

السلطان المملوكي ؟ وتذكر لنا بعض المصادر أن السلطان الغوري قد أنعم على الشريف هزاع بالتأييد بولاية مكة صراحة.(١)

وقد يكون الغوري قام بذلك لكي يجعل حالة عدم الاستقرار تسود في منطقة الحجاز ، خوفا أو احساسا منه بأن الشريف بركات بن محمد كان ينوى الاستقلال عن السلطنة المملوكية ، أو نتيجة للعروض المالية التي بذلها الشريف هزاع للسلطان الغوري ولكبار دولته ، وبخاصة أمراء الحج ، وعلى العموم لم يرضخ الشريف بركات لذلك واستعد لملاقاة أخيه هزاع . وجمع الجموع وأتته مساعدات من ناحية شرق أمارته ، من بني حسين وعدوان وبنى سعد وغيرهم .

ونزل عند الجموم بوادى مر الظهران في حين انضم كثير من أهالى الحجاز وأعيانها الى جانب الشريف هزاع بالاضافة الى مناصرة أخوته أحمد وحميضه له ، وكذلك أمير الحاج المصرى سودون بن جاني بك العجمي ، والتقى الجمعان بالجموم فى شهر ذى القعدة سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م ، واستطاع هزاع أن يحقق النصر على أخيه بركات ، وكان ذلك بمساعدة المماليك الذين كانوا فى ركب الحاج المصرى ، الذين بذل لهم الشريف هزاع الكثير من المال لكي يقوموا بمساعدته ضد أخيه الشريف بركات . ولقد استطاع الشريف بركات الانسحاب الى جدة ، وقام بنهبها لكى لا يستفيد الشريف هزاع منها ، ثم أتى الى حده(٢) تحديا لسلطة أخيه الشريف هزاع ، وكان الشريف بركات قبل فعلته هذه قد طلب من نائب جدة مالا

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١٠٣ .
- الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٤٩ .

(٢) حده : أصلها حداء ، حصن ونخل بين مكة وجدة يسمونه اليوم حدة .
- الحموى ، شهاب الدين : معجم البلدان ، جـ٢ ص ٢٢٦ .

ولو على سبيل القرض فامتنع ، فقام بركات بنهبها [١]. وهذه تعتبر بداية الاشتباكات الحربية بين الشريف بركات وأخيه هزاع.

وبعد استيلاء الشريف هزاع على السلطة في مكة المكرمة ، لم يستطيع السيطرة على الأمور كما يجب . فكما ذكرنا قام الشريف بركات بغارات على جدة وحدة ، وقام أنصاره بمهاجمة التجارة والحجاج في الطرق البرية . هذا بالاضافة للخوف والنهب الذى حدث بمكة المكرمة لهدف زعزعة سلطة الشريف هزاع ، بالاضافه لما قام به عسكر الشريف هزاع من نهب لبعض أسواق مكة ، وقتلهم بعض الأهالى ، وتخلف الكثير عن الحج ورجع حجاج البحر الى بلادهم من الطريق . وهذا يدل على عجز الشريف هزاع عن أحكام سيطرته على الأمور ، بالاضافة لسخط قنصوة المحمدى عليه ، لأنه لم ينل كل مطالبه التي اشترطها على الشريف هزاع لو سعى له فى الحصول على حكم مكة المكرمة [٢] .
وعند ما شدد الشريف بركات الحصار على أخيه من كل الجهات وزعزع سلطته وخاصة وقت موسم الحج المصدر الأساسي لاقتصاد البلاد ، عند ئذ تدخل الشريف

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١٠٦ .
- ابن ظهيرة ، جمال الدين محمد جار الله : الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، الطبعة الثانية ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر ، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م ، ص ٣٢٢ .
- العصامى ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٨٢ .
- السنجارى ، على بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٤ .
- الشيلى ، محمد : السنا الباهر ، ص ٦٠
- طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ١٢٩ .
(يذكر المؤرخ أن هذه الوقعة وقعت سنة ٩٠٤هـ) .
- السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص ٣٠٩
(يذكر المؤرخ أن هذه الوقعة وقعت سنة ٩٠٤هـ)
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٢ .
(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١٠٨ .

ابراهيم بن بركات للتوسط بين أبناء أخيه بركات وهزاع . بشرط أن يتعهد هزاع بدفع مبلغ ثلاثة آلاف دينار للشريف بركات مقابل هدنة تقام بينهما حتى انقضاء موسم الحج (١) . والتزم الشريف بركات بتلك الهدنة .ولقد أيقن هزاع بعد انقضاء موسم الحج مدى عجزه عن مقاومة أخيه بركات عقب رحيل الحاج المصرى ، فتوجه صحبة الحاج الى ينبع فى شهر ذى الحجة سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م وأقام بها . وعاد الشريف بركات الى مكة المكرمة (٢) بعد أن جعل فى جدة بعضا من رجاله لحفظها وفى شهر صفر سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م ، جاءت المراسيم من عند السلطان المملوكى قانصوة الغورى للشريف بركات للاعتراف به ومعها اعتذار من السلطان لبركات قائلا ان أمراء الحاج افتعلوا ما أرادوا ولم يكن عند السلطان علم بذلك (٣) .

وفى الحقيقة لم يكن أمراء الحاج ليساندوا الشريف هزاع على أخذ سلطة مكة المكرمة بدلا من أخيه الشريف بركات ، الا بايحاء من قانصوة الغورى ، لاستفادته من حدوث صراع بين الأخوين على المستوى السياسي بجعل حالة عدم الاستقرار تسود بلاد الحجاز ، لكي لايفكر حكامها من ابداء عدم رضاهم عن تزايد الضرائب المملوكية على التجارة الشرقية المارة بالأراضي الحجازية وبخاصة فى الوقت الذى ازدهرت فيه الموانى الحجازية بالتجارة الشرقية،ويحتفظ المماليك بما يأتيهم من بذل الأموال فى مقابل التأييد ،ويستفيد كبار رجالاتها فى مقابل ترجيح كفة الدولة لجانب من يدفع أكثر من الأموال والهدايا بغض النظر عن أيهم أصلح وأحب الى

= السنجارى ، على بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص١٥٤ .

(١) المصدر السابق ، ص١٥٤ .
مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص١٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص١٦٣ .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١١٠ .

الناس ويستطيع المحافظة على الأمن والطمأنينة . ولم ينته الحال بالشريف هزاع عند هذا الحد ، بل نجد أنه في شهر جمادى الأولى سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م ، خرج هزاع من ينبع في عسكر كثير العدد قاصدا الاستيلاء على مكة المكرمة فتحرك الشريف بركات لملاقاته مع قواته العسكرية والترك المرابطين بمكة وتلاقي العسكران في مكان يقال له البرقاء من وادي مر ، واستطاع الشريف هزاع أن يحقق نصرا جديدا على أخيه الشريف بركات ، الذي استطاع الانسحاب الى الليث (١) واستطاع هزاع أن يوطد مركزه في السلطة وأقام في جدة محمد بن راجح بن شميلة وزيرا بها ، وعبدا من قواده حاكما عليها ، ويقال أنه جعل على مكة المكرمة أخاه الشريف أحمد (٢).

ووصلته المراسيم والخلع السلطانية عن طريق البحر من السلطان الغوري في جمادى الأولى سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م ، على يد أمير يقال له الياس ، فأكرمه الشريف هزاع ، وبعث اليه بستين جملا ، وثلاثين راحلة ، وطلب منه القدوم الى

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١١٣ .
- ابن ظهيرة ، جمال الدين محمد : الجامع اللطيف ، ص ٣٢٢ .
- العصامي ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٨٤ .
- ابن القاسم ، الحسين بن يحيى : غاية الاماني ، ص ٢٨ .
- السنجاري ، علي بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٤ .
- الصباغ ، محمد بن أحمد المكي : تحصيل المرام ، ص ١٩٢ .
- طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ١٢٩ .
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٣ .

(٢) العصامي ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٨٤ .
- ابن القاسم ، الحسين بن يحيى : غاية الأماني ، ص ٦٢٨ .

مكة ليقرأ مراسيم توليته ويلبسه الخلعة ففعل[(١)] ولعل هذا يوضح لنا ماوصلت اليه السياسة المملوكية تجاه بلاد الحجاز ، حيث نراها تبعث بالتأييد للشريف الذى يستطيع الاستيلاء على السلطة ويدفع لها الأكثر فى وقت لم تكن هذه السلطنة تستطيع التدخل المباشر عسكريا لتأييد من ترى تأييده فى حكم الحجاز ، وانما تكتفى بارسال المراسيم لمن يستطيع الاستيلاء على السلطة ، شريطة أن يظهر الولاء لها ، ولم يدم حكم الشريف هزاع لامارة الحجاز طويلا . فلقد وافاه الأجل المحتوم فى رجب سنة ٩٠٧هـ / ١٥٠١م ، بوادى الأبار ، فتولى مكانه الامارة أخاه الشريف أحمد بن محمد بن بركات[(٢)] . وكانت توليته بمساعدة من قاضي مكة الشافعي أبى السعود ابراهيم بن ظهيره ، بعد اجتماع حضره القاضى المذكور والحكام والأمرا من العرب والترك ، والشريف أحمد ومالك بن رومي شيخ طائفة زبيد ، وأعيان الشرفاء ، وبنو ابراهيم برياسة الشريف يحيى بن سبع[(٣)] .

الشريف بركات وأخيه الشريف أحمد :-

وبتولية الشريف أحمد أمرة الحجاز بعد الشريف هزاع تبدأ المرحلة الثانية من الصراع بين الشريف بركات وأخوته على السلطة ، وهي صراعه مع أخيه الشريف أحمد ، فحينما علم الشريف بركات بوفاة أخيه هزاع توجه ومن معه من عسكره الى

---

(١) العصامي ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ، ص ٢٨٤ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١١٧ .
- السنجارى ، على بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٤ .
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٣ .

(٣) العصامي ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٨٤ .
- السنجارى ، على بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٥ .
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٣ .

مكة المكرمة في شهر شعبان من نفس العام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م فرأى الشريف أحمد أنه لا طاقة له بمقاومة أخيه الشريف بركات فانسحب الى ينبع ، ودخل الشريف بركات مكة ، ووردت اليه المراسيم والخلع من مصر كعادة السلاطين المماليك، وفيها أيضا الاعتذار عما حدث ، وأن ماحدث انما هو فعل الامراء ، وانهم فعلوا ذلك لمخافتهم من الشريف يحيى بن سبع أمير ينبع على الحجاج ، لما جمعه من جموع لمناصرة الشريف أحمد . (١)

ومهما تكن الاسباب والاعتذارات فلا بد للشريف بركات اظهار قبول ذلك مقابل عودته حاكما على مكة المكرمة مرة أخرى ، ثم بعد حين بدأت فترة صراع رهيب بينه وبين أخيه الشريف أحمد لم يقتصر تأثيرها على الأخوين فقط ، بل نراه يمتد الى سكان مكة المكرمة ، وغيرها من المناطق ، مما جعلهم يعيشون في اضطراب نتيجة لصراع الأخوين على السلطة ، وانعكاس ذلك على من يقدم المساعدة للطرف الاخر ، ظنا منه ميلهم للطرف الاخر عن طيب خاطر ، أو عن أرغام لهم فيها . ولقد مر الصراع بين الأخوين بركات وأحمد بالعديد من المعارك ، سوف نقوم باستعراضها حسب حدوثها التاريخي ، لكي نصل في النهاية الى النتائج التي ترتبت عليها ، على الصعيد السياسي الداخلي والخارجي .

فبعد أن وطد بركات نفسه في سلطة البلاد ، قبض على القاضي ابوالسعود

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص١١٨ .
- الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص٣٤٩ .
- العصامي ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص٢٨٤ .
(تقول المراسيم أن ماحدث كان نتيجة مباطنة أمير الحاج لأخويه)
- السنجاري ، علي بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص١٥٥ .
(يقول أن ماحدث كان نتيجة مباطنة أمير الحاج لأخويه) .

ابراهيم بن ظهيرة فى شهر رمضان سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م ، وذلك لأن رجـــال الشريف بركات استطاعوا الظفر ببعض الرسائل التى بعثها القاضي المذكور الـــى الشريف أحمد ، يستحثه فيها على الاستيلاء على مكة بعد وفاة أخيه الشريف هـزاع. فعقد له الشريف بركات مجلسا فيه القضاة والأعيان وقائد العسكر التركى ، وعــرض بركات الرسائل التي ظفر بها فأنكرها . وحاول الحاضرون أن ينالوا له العفو مــن بركات ولكنه رفض. وأمر الشريف بركات نائبه على القنفذه أن يغرقه فى البحر، ففعــل ذلك (١) فى شهر ذى الحجة من السنة نفسها . وكان القاضي المذكور قد حاول هـو والشريف أحمد القبض على الشريف بركات. ومن ثمة يبعثون الى السلطان قانصــوة الغورى فى مصر ، يطالبونه بالاعتراف بولاية أحمد ، وذلك مقابل مبلغ مناسب مــن المال ، يقوم الشريف أحمد بدفعه للخزانة السلطانية، ولكن المؤامرة كشفت كمـا ذكرنا (٢) ، هذا ولم تمض فترة قصيرة على استيلاء الشريف بركات على مكة المكرمـة ، حتى قامت المناوشات بينه وبين أخيه الشريف أحمد . فقد تكلم الشريف أحمـــد مع أمير الحاج المصرى أصطمر بن ولي الدين فى شهر ذى القعدة سنـــة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م لمؤازرته ضد الشريف بركات فقال له اصطمر ، (روحوا قاتلـــوه وحدكم ونحن ما لنا دخل بينكم ومن غلب وليناه) (٣) .

---

(١) الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص٣٤٩ .
(يقول المؤرخ أغرق فى جزيرة الصبايا)
- العصامى ، عبد الملـــك : سمط النجوم ، جـ٤ ص٢٨٤ .
- الديبع ، عبد الرحمن : الفضل المزيد على بغية المستفيد فى أخبـار مدينة زبيد . تحقيق د . يوسف شلحد ، مركز الدراسات والبحـوث ، اليمن ، صنعاء ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص٢٦٩ .
- السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص٣١٠ .
(يقول المؤرخ أغرق فى جزيرة بركوت) .

(٢) مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص١٦٣ .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيـــز : غاية المرام ، جـ٣ ص١٣٧

=

وهذا القول يبين لنا مفهوم السياسة المملوكية في الحجاز ، والتي سبق وأن أشرنا اليها ، وهي تولية الشريف الذى يستطيع الاستيلاء على السلطة بالقوة ويدفع أكبر قدرا من الأموال للخزانة السلطانية ، بغض النظر عن معاملته للرعية وحفظه للأمن . وعندما يئس الشريف أحمد من تلبية أمير الحاج طلبه ، لعدم دفعه مايوجب التأييد والمساعدة ، قام بالاغارة على حجاج الشام ، وقتل منهم جماعة ، وقام بالنهب والسلب ، فلم يرى الأمير اصطمر الا أن يهادن الشريف أحمد ، ويطلب منه مبلغ خمسين ألف دينار يدفعها للخزانة السلطانية ، اذا قام بمساعدته ضد أخيه الشريف بركات ، وكان غير راضيا عن عصيان الشريف أحمد .

وحينما وصل الركب المصرى الى وادى مر بالظهران بعث اصطمر الى الشريف بركات يطلب منه المساعدة على الشريف أحمد.[1] فلما أحس الشريف أحمد بخدعة الأمير اصطمر انسحب ودخل اصطمر بالركب الى مكة المكرمة وكان مع الشريف أحمد أمير ينبع الشريف يحيى بن سبع ، وأمير خليص مالك بن رومي الزبيدى ، وعرب بنى ابراهيم . وبعد انقضاء شعيرة الحج طلب الأمير اصطمر من الشريف بركات الخروج مع الركب لمساعدتهم اذا ما تعرضوا لهجوم من الشريف أحمد . فسار معهم الشريف بركات ، وعند وصولهم الى مكان يسمى الدهنه ،[2] برز اليهم الشريف أحمد ، وطلب من أمير الركب اصطمر عدم التدخل فيما بينه وبين أخيه الشريف بركات ، ولكن اصطمر لم يسمع لذلك ودارت معركة بين الشريفين أحمد وبركات ، وحضر الشريف يحيى بن سبع أمير ينبع لمساعدة الشريف أحمد ، فطلب أمير الركب

= - مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٤ .

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١٢١ .
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٤ .

(٢) الدهنه : قرية من نواحي ينبع كان يسكنها بنو ابراهيم الاشراف
- البلادى ، عاتق : معجم معالم الحجاز ، جـ٣ ص ٢٤١ .

اصطر من رجال الركب حمل السلاح ضد الشريف أحمد ، ولكن الهزيمة حلت بالشريف بركات وأمير الركب ، وقتل الكثير من رجال الشريف بركات والركب . ونهبت أطراف الركب المصرى .[1] وكانت هذه المعركة أولى المعارك التى دارت بين الشريف أحمد والشريف بركات . ولقد غضب السلطان الغورى لما حصل كثيرا ، وبعد المعركة عاد الشريف بركات الى مكة المكرمة مريضا . وفى شهر صفر سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م ، علم الشريف بركات أن جماعة أخيه الشريف أحمد واصلون الى مكة المكرمة بنية الصلح فأدرك الشريف بركات أن تلك مكيدة منهم للقبض عليه . وحيث أنه لم تكن لديه المقدرة على مواجهة الجمع المرافق لأخيه الشريف أحمد ومن معه ، ترك مكة المكرمة وتوجه الى ساحل القنفذه فارا من أخيه .[2] ودخل الشريف أحمد ورجاله مكة ،

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١٢٣ .
- ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، جـ٤ ص ٣٦ .
- الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٤٩ .
- العصامى ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٨٥ .
- ابن طولون ، شمس الدين محمد : مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان (تاريخ مصر والشام) تحقيق محمد مصطفى ، وزارة الثقافة والارشاد القوى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر دار احياء الكتب العربية ، مصر ، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م ، جـ١ ص ٢٦١ .
- الطبرى ، محمد : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٢٦ .
- السنجارى ، على : منائح الكرم ، ص ١٥٥ .
- السليمان ، على بن حسين : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير مطبوعة ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ، ص ٥٢ .
- الجاسر ، حمد : بلاد ينبع ، ص ٥٦ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١٢٤ .
- الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٥٢ .
- الحسيني ، ابن يحيى : غاية الامانى ، ص ٦٣٢ .
- السنجارى ، على بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٥ .
- السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص ٣١١ .

وتجرأ على العلماء والقضاة ، ولقد قاومته بعض القبائل الموالية لأخيه الشريف بركات مثل هذيل .[١]

ولقد قدم الأمير يحيى بن سبع الكثير من المعونة للشريف أحمد ، لما يقال أن السلطان الغوري بعث برسول الى الشريف يحيى بن سبع يأمره أن يقوم بتولية الشريف أحمد مكة المكرمة ، مقابل أن يتعهد الشريف أحمد بدفع دية المماليك الذين لقوا مصرعهم في المعركة التي دارت ، بينه وبين أخيه الشريف بركات والركب بقيادة اصطمر السابق ذكره ، ودفع المبلغ الذى عادة يدفعه الشريف لنيل وظيفة أمرة مكة المكرمة .[٢] وبسبب الظلم والفساد لم ينعم الشريف أحمد بالاستقرار فى مكة ، فلقد عاد الشريف بركات مرة أخرى الى مكة المكرمة فى رجب سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م ، وتلاقى مع أخيه فى منطقة المنحنى[٣] ووقعت الخيانة فى صفوف عسكر الشريف بركات ، حينما فر جماعة من الأشراف الذين كانوا معه الى جهة حراء .[٤] وفى الحقيقة كانوا مباطنين الولاء لأخيه الشريف أحمد ، فهزم بركات مرة ثانية ، وتوجه الى اليمن . وهذه هى المعركة الثانية بينه وبين الشريف أحمد . وفى أوائل شهر رمضان من نفس العام ، استطاع الشريف بركات بخديعة

---

(١) مورتيل ، ريتشارد : الاحوال السياسية ، ص ١٦٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(٣) المنحنى : مكان يقع انحاء وادى المحصب عند ما يدفع فى الابطح . المكان المعروف بمكة المكرمة قريب من حي الششة فى هذا الوقت .
- البلادى ، عاتق : معجم معالم الحجاز ، جـ٨ ص ٢٨٢ .

(٤) حرا : جبل من جبال مكة المكرمة على بعد ثلاثة أميال بالشمال الشرقى منها . وكان النبى الكريم صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتيه الوحي يتعبد فى غار من هذا الجبل .
- الحموى ، شهاب الدين ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ص ٢٣٣ .

أن يضلل الشريف أحمد ، ويتمكن من الدخول الى مكة المكرمة عن طريق أخــــر .(١)
حينئذ تجلى الموقف المؤيد للشريف بركات من أهالى مكة من اشراف وغيرهم والمجاورون بها والترك المقيمين فيها ، وذلك حينما بذلوا له كل العون والمساعدة ضد أخيه الشريف أحمد ، فحفر الشريف بركات خندقا من ناحية شمال مكة وجنوبها لتحصينها ضد هجمات الشريف أحمد وفى الثالث عشر من نفس الشهر والعام ، وقع اشتباك بين الشريفين من ناحية جنوب مكة المكرمة ، وتمكن الشريف بركات من احراز النصر علــى أخيه الشريف أحمد ، الذى توجه الى جده . وهذه هى المعركة الثالثة بين الشريفين ، واستنجد الشريف أحمد بأمير ينبع الشريف يحيى بن سبع فأعانه بجيش ، سار بــه الى مكة المكرمة لمقاتلة الشريف بركات فى شهر شوال سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م . وحاول دخول مكة من ناحية الشمال . ولقد أظهر أهل مكة من اشراف وغيرهم والمجاورون بها الصدق فى حربهم مع الشريف بركات ضد الشريف أحمد بتدعيمهم لعسكره فانهــزم الشريف أحمد مرة أخرى لما لاقاه من مقاومة وشجاعة أخيه الشريف بركات وثبات مــن معه فعاد الى ينبع ، وهذه هى المعركة الرابعة بين الشريفين بركات وأخيه أحمــد(٢)

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١٢٦ .
- العصامى ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٨٥ .
- الطبرى ، محمد : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٣٦ .
- السنجارى ، على : منائح الكرم ، ص ١٥٦ .
- دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٧ .
- طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ١٢٩ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١٢٨ .
- العصامى ، عبد الملــــك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٨٥ .
- الطبرى ، محمد بن على : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٣٦ .
- السنجارى ، على بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٦ .
- دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٧ .
- طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ١٢٩ .

=

وبعد انتصار الشريف بركات ، وربما لعجزه في الاستمرار في مقاومة أخيه الشريف أحمد انسحب الى جنوب مكة جهة عرب بني سليم . ويقال أنه خرج من مكة المكرمة لقضاء بعض مصالحه في جنوب امارته ،(١) فاستغل ذلك أحمد ودخل مكة، وفعل فيها الأفاعيل من قتل ونهب وهتك للحرمات وفساد كبير وأذية لأهل مكة المكرمة .(٢)

ومن المحتمل أن السلطنة المملوكية في مصر ضاقت ذرعا ، من استمرار الاضطرابات في الحجاز ، اثر الصراع بين الشريف بركات والشريف أحمد ، وكثرة المعارك والقتل الذي حدث لفترة طويلة وما سبب من أذى كبير لمصالحهم وللحجاج والأهالي ، مما

= - السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص ٣١١ .
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٧ .

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١٢٥ .
- العصامي ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٨٦ .
- الديبع ، عبد الرحمن : الفضل المزيد ، ص ٢٧٦ .
(يقول المؤرخ فر بركات وخرج الى طريق اليمن)
- الطبري ، محمد بن علي بن فضل : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٣٦ .
- السنجاري ، علي بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٦ .
(يقول المؤرخ انتهز أحمد فرصة غياب بركات عن مكة جهة اليمن فدخلها) .
- طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ١٢٩ .
(يقول المؤرخ أنتهز أحمد فرصة غياب بركات عن مكة جهة اليمن فدخلها)
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٧ .
(يقول المؤرخ فر بركات الى اليمن) .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١٢٥ .
- العصامي ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٨٦ .
- السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص ٣١١ .

قد يؤثر على مصالح المماليك المادية والمعنوية وسمعة الدولة المملوكية بوصفها حامية الحرمين الشريفين في ذلك الوقت ، عندئذ قام السلطان الغوري بارسال فرقة عسكرية بقيادة الأمير قيت الرجبي مع ركب المحمل ، وذلك لوضع حد لهذه الاضطرابات في مكة المكرمة.(١) وحينما علم الشريف أحمد بقدوم تلك القوة العسكرية انسحب من مكة في شهر ذي القعدة سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م فدخلها الشريف بركات.(٢) وحينما وصل الأمير قيت الى الحجاز ، عزل أمير ينبع الشريف يحيى بن سبع وولى عليها الشريف هجان بن دراج بأمر السلطان المملوكي(٣) الغوري ، وخرج الشريف أحمد متجها الى حيث مناصريه من قبائل زبيد وبني ابراهيم القاطنين بين مكة والمدينة وعلى طريق المحمل، حيث كان خروجه من مكة فائدة له ، لأنه تلاقى مع الأمير قيت الرجبي واتفق معه على خلع أخيه بركات وتوليته هو مكانه ، وذلك مقابل ستين ألف دينار(٤) ولقد استعمل الأمير قيت الرجبي الخديعة مع الشريف بركات الذي اعتقد ان القوة المملوكية أتت لمساندة الحكومة الشرعية ولبعض الخارجين عليها ، فعند وصوله الى مكة أخذ الشريف بركات بالملاطفة ، فألبسه خلعته المعتادة ، وعند وصوله معه الى مدرسة السلطان قايتباي بمكة ، أظهر قيت الرجبي

---

(١) سليم ، محمود رزق : عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، الطبعة الثانية ، دار مكتبة الاداب ومطبعتها ، القاهرة ، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م ، ص ١٧٥ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١٣٨ .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز ، المصدر السابق ، جـ٣ ص ١٤٤

(٤) العصامي ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٨٦ .

- الطبري ، محمد بن علي : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٣٦ .
- طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ١٢٩ .
- السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ١ ، ص ٣١١ .

الغدر ، وقبض على الشريف بركات وبعض أخوته[١] بعيدا عن رجاله وقوته ، ويقال أن الأمير قيت كان ينوى القبض على الشريفين بركات وأحمد ، ولكن الشريف أحمد استطاع الفرار ، ووقع بركات في يده ،[٢] والأمر الأقرب للحقيقة ماذكره المؤلف عز الدين عبد العزيز بن عمر بن فهد ، أن الأمير قيت الرحبي بعد القبض على الشريف بركات بعث الى أحمد الجازاني ليتفاوض معه في امرة مكة . وولاه الامارة في مكة ، وأخذ أخيه الشريف بركات أسيرا الى مصر . فيقول في يوم حادى عشر شهر ذى الحجة من عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م (أرسل الأمير الكبير للشريف جازان أن يحضر فجاء الى قرب الوادى (وادى فاطمة) وكتب الأمير صورة حلف يحلفه الشريف جازان ، وأرسل به الى الوادى مع القاضيين الحنفي والمالكي والأميرين الياسين بكباى وشاهين الجمالي فواجهوا الشريف جازان في الوادى ليلة الجمعة ثامن عشر الشهر وحلفوا وألبسوه الخلعة ، وجعلوا عليه ستين ألفا ، منها للسلطان عشرة آلاف قيمة الفلفل وغيره الذى أخذ للسلطان ، ويأخذون حصته في هذه السنة من العشور وما بقى يؤخذ من العشور من كل سنة ثلث مايحصل له حتى يكمل الستين ، وللأمير الكبير عشرة آلاف يعطى ثلاثة والباقي في كل سنة ثلاثة . وللأمير الأول ستة آلاف يعطى ألفان والباقي أربعة في كل سنة ألفان ، ثم عادوا في ليلتهم فوصلوا مكة أخرها) .[٣]

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ١٤٦ .
- العصامي ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٨٦ .
- السنجارى ، على بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ٦٥٧ .

(٢) الديبع ، عبد الرحمن : الفضل المزيد ، ص ٢٧٧ .
- سليم ، محمود رزق : عصر سلاطين المماليك ، ص ١٧٥ .
- السليمان ، على بن حسين : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٥٢ .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١٤٨ .

وعليه فان اتفاق الشريف أحمد الجازاني وقيت ثم بعد القبض على الشريف بركات حيث أن الأمير المذكور لم يكن في نيته القبض على الشريفين معا ، لما كان يتمتع به الشريف أحمد من مؤازرة من الأمير يحيى بن سبع ومالك بن روس شيخ قبائل زبيد وغيرهم من القبائل القاطنة في طريق الحج المصري والشامي؟فاتفق معهم على أن يقوموا بتولية الشريف أحمد الامارة مقابل مايدفعه من الأموال ، وبذلك يكون قد حقق فائدتين معا ، الأولى أن يكتفي شر الشريف أحمد وما قد يسببه من مشاكل للسلطنة المملوكية في الحجاز ، والثانية تحقيق الفائدة المالية التي جناها للسلطان المملوكي ولنفسه ولغيره من الأمراء المماليك وأمن جانب الشريف بركات الذي لوحظ عليه تضجره من السياسة المملوكية في الحجاز .

بعد ذلك سار الأمير قيت الرجبي بالشريف بركات الى مصر أسيرا لدى الدولة المملوكية فأنكر الناس في مصر ذلك على قيت الرجبي ،والسياسة التي انتهجتها الدولة المملوكية،ولهذا أظهر السلطان الغوري غضبه لذلك لكي يداري فعلته أمام الشريف بركات وأمام الناس في مصر لاستيائهم من تلك الفعلة المملوكية وأمر بفك القيود التي على الشريف بركات ، وأنزله منزلا خاصا به ، ورتب له ولجماعته النفقات (١) وأبقاهم تحت المراقبة لكي لايغادروا مصر الى الحجاز ، ولعل الغوري كان قد أمر بالقبض

---

(١) ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، جـ٤ ص٤ ٥ ـ٦ ٥
(يشير ابن اياس الى أن الغوري كان فرحا بالقبض على الشريف بركات)
ـ العصامي ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٨٦ .
ـ الحسين بن يحيى : غاية الأماني ، ص ٦٣٢ .
(يقول المؤرخ أن قيت الرجبي قبض على الشريف أحمد وبركات ولكن أحمد رجع الى مكة أميرا عليها) .
ـ السنجاري ، على بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٧
ـ دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٧ .
ـ سليم ، محمود رزق : عصر سلاطين المماليك ، ص ١٧٥ .
(يقول المؤرخ أبقى السلطان بركات سجينا في بيت قيت الرجبي نفسه) =

على الشريفين بركات وأحمد ، وكان ينوى تولية أمرة الحجاز لشريف آخر ، قد يكون أحد أخوة الشريفين المذكورين ، وكان القبض على الشريف بركات فقط هو تصرف واجتهاد شخصي من الامير قيت الرجبي ، حيث لم تمض فترة بسيطة على تولية الشريف أحمد لمكة حتى نراه يقتل في المسجد الحرام وهو يطوف ، في اليوم التاسع من شهر رجب سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م على أيدى جماعة من الترك المقيمين بمكة . وقد يكون قتله بايحاء من السلطان المملوكي[١] لتولية امرة مكة المكرمة لأخيه الشريف حميضه لتضمن الدولة المملوكية مصالحها المادية والمعنوية ، وقيل ان للشريف حميضه يدا في قتل أخيه ،[٢] فتولى بعد مقتل أخيه أحمد حيث ولاه الباش بكباى وألبسه الخلعة .[٣] وكانت سيرته مثل الشريف أحمد في السياسة التي انتهجها ومعه بني ابراهيم بقيادة الشريف يحيى بن سبع ، وامتنع أمير خليص بن روس عن

= - السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص ٣١١ .

(١) - ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١٦٦ .
- الشيلي ، محمد : السنا الباهر ، ص ٦٩ .
- المليمان ، على بن حسين : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٥٣ .
(يقول المؤرخ أن الغورى قبض على الجازاني وقتله سنة ٩١٠هـ وهذا ينافي المصادر)

(٢) العصامى ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٨٨ .
- الديبع ، عبد الرحمن : الفضل المزيد ، ص ٢٨٠ .
- الطبرى ، محمد بن على بن فضل : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٢٦ .
- السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص ٣١١ .
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦٨ .
(يقول المؤرخ أن الشريف أحمد اختلف مع أخيه الشريف حميضة الذى تآمر مع الامير بك باى أمير الجماعة المملوكية بمكة على اغتيال الشريف أحمد)

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١٦٦ .
- العصامى ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٨٨ .

الدخول فى طاعته . أما الشريف بركات فقد استطاع أن يفر من اعتقاله وحجزه فى مصر بعد أن أشار عليه بعض رجالات الدولة المملوكية بذلك ، فى الوقت الذى كان بنو ابراهيم أوعدوا الأمير الكبير بطال ، اذا ماهو سعى فى ارسال بركات الى الاسكندرية لابعاده وكان فراره فى شوال سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م ، وسار الى بنى عقبة وبقى عندهم .[١] ولقد أنزعج السلطان المملوكى قانصوة الغورى كثيرا لفرار الشريف بركات من مصر ، وخاف من قيامه بأعمال انتقامية ضد المماليك . ولقد استطاع الشريف بركات أن يتعرض ركب الحجيج المصرى قرب العقبة ، ولكنه طمأن الحجيج ، وطلب من أمير الحاج اسنباى أن يبعث الى السلطان الغورى يطلب منه توليته أمرة مكة المكرمة ، هو وأخوه قايتباى مع ولائه التام للسلطان المملوكى الغورى .[٢]

وبعد ذلك تقدم الى مكة المكرمة فى يوم التروية من سنة ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م ، ومعه قواته العسكرية من العرب من بنى عقبة وبنى لام وعتيبة وهذيل ، فلما سمع الأمراء ارتبكوا ، وأرسلوا للشريف بركات يطيبون خاطره ، ويسألونه أن يتم الحج دونما

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص١٦٦ .
- الديبع ، عبد الرحمن : الفضل المزيد ، ص٢٨٣ .
(يقول المؤرخ فى شهر ذى الحجة سنة ٩٠٩ هـ/١٥٠٣م)
- السنجارى ، على بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص١٥٦ .
(يقول المؤرخ هرب فى أواخر سنة ٩٠٨هـ / ١٥٠٢م)
- دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص٤٧ .
(يقول المؤرخ ان بركات سار من مصر الى ينبع ثم المدينة ومنها الى ناحية الشرق ونزل عند السيد حمدان بن شامان الحسيني)
- طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص١٢٩ .
(يقول المؤرخ فى أواخر سنة ٩٠٨هـ /١٥٠٢م)
- السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص٣١٢ .
(يقول المؤرخ فر بركات الى ينبع وليس بني عقبه) .
(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص١٦٧ .

قتال مقابل ثلاثة آلاف دينار جمعوها له من أخيه الشريف حميضه ، ومن الأموال الواصلة لأهل مكة المكرمة من الترك بمصر.[1] وبعد انقضاء موسم الحج دخل الشريف بركات مكة ، وخرج منها الشريف حميضه ، ثم بعث السلطان الغورى بمرسوم توليه للشريف بركات، أو من يشير به ، وأنه المعمول عليه فى الأمور كلها ، وقد أقام الشريف بركات أخيه الشريف قايتباى حاكما على مكة وما على الشريف يحيى بن سبع الا الموافقة والاعتراف بتولية الشريف قايتباى أمرة الحجاز فى شهر صفر سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م بعد اظهار العصيان ولكنه اجبر على ذلك ، الا أن المعمول عليه فى الأمور كلها هو الشريف بركات.[2] وأشرك بركات أبنه الشريف على بن بركات مع أخيه قايتباى بن محمد فى أمرة مكة المكرمة ، وكان لكل منهما خلعه ، وينفرد عنهما بركات بالدعاء فى خطبة الجمعة.[3]

ولقد توفى قايتباى سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م[4] وأصبح الشريف بركات متوليا كامل سلطة الحجاز وأشرك معه السلطان الغورى ابنه الشريف أبا نمى فى تلك السلطة.

وبهذا التعيين الأخير تنتهي فترة صراع رهيبة بين الأخوة أبناء الشريف محمد بن بركات لاقى خلالها أهل مكة والمجاورون بها ومناطق الحجاز عامة، الكثير من الجهد والعناء والمعارك المتبادلة.

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١٧٠.
- السنجارى ، على بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٦.
(يقول المؤرخ أن المبلغ خمسة آلاف دينار)
- دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٨.

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١٧٢.

(٣) العصامى ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٨٩.
- دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٨.

(٤) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ٢٤٧.

٣ - الشريف بركات بن محمد وسيطرته على الأوضاع في الحجاز :-

بعد استعراضنا لأحداث النزاع والصراع بين الشريف بركات بن محمد وأخوته على السلطة كان لابد أن نلقى الضوء على فترة تولي الشريف بركات بن محمد السلطة في الحجاز ، ذاكرين أهم الأحداث التي مرت بها تلك الفترة على الصعيد الداخلي في بلاد الحجاز ، والمتمثلة في غزوات الشريف بركات بن محمد الحربية ضد بعض المناطق في الحجاز ، وعلى الصعيد الخارجي والمتمثلة في علاقات الشريف بركات بن محمد بالدولة المملوكية . وما صاحب ذلك من تطورات عالمية تتمثل في سقوط الدولة المملوكية على أيدي الأتراك العثمانيين بادئين بذكر غزواته ومعاركه التي خاضها ، وهي غير التي كانت بينه وبين أخوته . ولما كانت فترة تولي الشريف بركات الحكم في الحجاز غير مستقرة خلال سنوات حكمه الأولى ، ولما كان هذا البحث يتوقف عند سقوط الدولة المملوكية بعد استيلاء العثمانيين على الشام ومصر ومن ثمة الحجاز في سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧م ، فان ذكرنا لأهم الأحداث في عهد الشريف بركات بن محمد على الحجاز سوف يقتصر على ذكر الأحداث التي كان لها تأثيرها منذ سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧م. وهي السنة التي تولى فيها الشريف بركات الى سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م ، وهي السنة التي تنتهي فيها أحداث هذا البحث . فلقد كان للشريف بركات بعض الغزوات الخارجية ومنها أنه في سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م توجه وأخوه الشريف هزاع غازيين ناحية شرق الحجاز.(١) وفي محرم سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م ، بعث الشريف بركات قوة عسكرية لغزو حلي بني يعقوب ، ولقد هزمت قواته في هذه المعركة.(٢) ولكن في شهر شوال سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩م ، استطاع الشريف بركات أن ينزل الهزيمة بحلي وذلك بعد

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ٨٣.

(٢) المصدر السابق ، جـ٣ ص ٩١ .

ـ الشبلي ، محمد : السنا الباهر ، ص ٤٠.

ـ مورتيل ، رتيشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٦١ .

أن سار اليها بنفسه أمسك بعض زعمائهم ، مثل قيس بن محمد بن دريب الذى ولوه عليهم دون موافقة الشريف بركات[١] وفى شهر ربيع الثانى سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م ، استطاع الشريف ابراهيم بن بركات بن محمد ان يحرز انتصارا على القرب ، وأن يقتل جماعة منهم.[٢] وفى شهر شوال من نفس العام ، توجه الشريف بركات نحو شرق بلاد مغازيا غرب مطير واستطاع الانتصار عليهم.[٣] وفى سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م، غزا الشريف بركات قبيلة عتيبة شرق الحجاز[٤] وفى شهر محرم سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م بعث الشريف بركات بقوة عسكرية بقيادة ابنه الشريف على وعمه الشريف ابراهيم بن بركات الى بني خالد عرب اليمن ، ولقد استطاعت قواته العسكرية الانتصار عليهم.[٥] ومن الأمور التي أزعجت الشريف بركات بن محمد خروج بنى ابراهيم وعربان زبيد عليه دائما حتى بعد مقتل أخيه الشريف أحمد الجازانى وما يقومون به من النهب والسلب لجدة ولغيرها من مناطق الحجاز ، ولقد قبض رزمك الجنلاطى العادلى[٦] على الخواجه محمد بن يوسف القارى ، وهو من كبار التجار بجدة ، وتوجه به الى زبيد مستغلا غياب الشريف بركات بن محمد باليمن وعند سماعه بالخبر أتى الى جدة وأخذ يطارد قبائل زبيد الذين هربوا من بلادهم من منطقة الى أخرى حتى وصلوا المدينة والشريف بركات يتابعهم،حتى اخبر امراء المناطق بالقبض عليهم فما زال بهم حتى اطلقوا سراحه بمبلغ دفع لهم من اهله ساعدهم فيه الشريف بركات بن محمد وكان هذا العمل لزبيد بتحريض من الشريف يحيى بن سبع وبنى ابراهيم.[٧]

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ٩١.

(٢) المصدر السابق ، جـ٣ ص ٩٩.

(٣) المصدر السابق ، جـ٣ ص ١٠١.

(٤) المصدر السابق ، جـ٣ ص ١٧٣.

(٥) المصدر السابق ، جـ٣ ص ١٨٣.

(٦) هو رزمك الجنبلاطى قاتل العادل طومان باى سلطان مصر المملوكى قبل قانصوه الغورى.
— ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، جـ٤ ص ١٠

(٧) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١٨٣.
— ابن فرج الشافعى ، عبد القادر : السلاح والعدة فى تاريخ جدة ، مخطوط ص ١٠٧.

عندئذ بعث قانصوة الغوري فرقة عسكرية مملوكية في شهر شعبان سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م بقيادة الأمير خاير بك الكاشف ، والأمير قاني بك للقضاء على الشريف يحيى بن سبع أمير ينبع وزعيم قبيلة بني ابراهيم ، وتعيين الأمير هجار بن دراج بدلا عنه ، والقضاء أيضا على مالك بن رومي شيخ قبيلة زبيد ، وعلى الشريف حميضة أخو الشريف بركات ، لما كانوا يقومون به من السلب والنهب وقطع الطريق على الحجاج ، ولقد انضم الشريف بركات الى القوات المملوكية بقواته العسكرية.(١) ولقد استطاعت هذه القوات احراز النصر على اعدائها .

وفي الحقيقة ربما يرجع سبب ارسال السلطان الغوري لمثل هذه القوات لخوفه من تجمع قوات الشريف يحيى بن سبع ، ومالك بن رومي والشريف حميضة ولتعرضهم للحجيج المصري والشامي، وتعرضهم للمصالح المملوكية، اضافة الى اظهار حسن علاقتهم بالسلطة الشرعية بالحجاز وخاصة بعد تمكن الشريف بركات من اعادة سيطرته على مكة ، وخوف الدولة المملوكية على ميناء ينبع الذي كانت تجنى منه القدر الكبير من أرباح التجارة الشرقية . وفي سنة ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م ، خرج الشريف بركات غازيا عرب زبيد حيث هربوا الى أن وصلوا ابيار على قرب المدينة المنورة واستطاع الظفر بهم عند الروحاء(٢) ، وتمكن من قتل شيخهم مالك بن رومي ، وأبنائه الثلاثة

= — ابن يعقوب ، أحمد بن محمد الامام بمقام الحنفي المكي : السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة ، مخطوط ، ص ٨.

— الحضراوي ، أحمد بن محمد بن أحمد الشافعي المكي : الجواهر المعدة في فضائل جدة . مخطوط ، ص ٤٨.

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ١٨٨.

— الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٥٦.

— السليمان ، علي بن حسين : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٥٣.

(٢) الروحاء قرية من عمل الفرع بين مكة والمدينة وهي الى المدينة أقرب.

انظر : الحموي ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٣ ص ٧٦.

— البلادي ، عاتق : معجم معالم الحجاز ، جـ٤ ص ٨٥.

مقرظ ، وقادم وذاعر ، وأخيه مشهور ، وابنه بازان ، وابن أخيهما زين بن شهوان بن رومي وغيرهم ، وبعث برؤوسهم الى السلطان الغوري في مصر.[١] ومن معارك الشريف بركات معركته ضد عرب ناصرة في جنوب الطائف ، وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م ، ولقد غنم كثيرا من تلك المعركة.[٢]

وفي سنة ٩١٧هـ/١٥١١م ، استطاع الشريف بركات أن يحرز انتصارا على بني عقبة والمفارحه ، الذين فر عندهم جماعة يحيى بن سبع .[٣] ولقد قام السلطان المملوكي بعد ذلك بالعفو عن الشريف يحيى بن سبع ، مقابل مائة ألف دينار[٤] هذا بالنسبة لأهم معارك وغزوات الشريف بركات . أما بالنسبة لأهم الأحداث الداخلية الأخرى فكما ذكرنا فيما سبق عن الصراع الذي حدث بينه وبين أخوته الشريف هزاع والشريف أحمد ، ثم الشريف حميضه ، وموقف الدولة المملوكية المتناقض في ذلك الصراع .

وقد يكون للدولة المملوكية اليد الكبرى في اثارة هذا الصراع ، لما تحققه من جعل منطقة الحجاز في حالة عدم استقرار سياسي ، لكي لا يفكر أشراف الحجاز بالاستقلال المطلق عن الدولة المملوكية ، لما كانت تجنيه تلك الدولة من أرباح التجارة التي كانت تمر بموانى الحجاز ، ولقد استطاع الشريف بركات في آخر الأمر

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ٢٠٠ .
— السنجاري ، علي بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٩
— الطبري ، محمد بن علي بن فضل : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٥٦ .
(يقول المؤرخ وقعت هذه المعركة سنة ٩١١هـ)

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ٢١٢ .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ٢١٩ .

(٤) المصدر السابق ، جـ٣ ص ٢٢٠ .

الاستيلاء على السلطة في الحجاز ، ولكنه وضع أخاه الشريف قايتباى بن محمد أميرا على الحجاز ، وأشرك معه ابنه علي بن بركات ، ولقد احتفظ لنفسه بالسلطة المطلقة فى الامور كلها ، ليس فى حكم مكة المكرمة فقط ، وانما على الحجاز عامة ، ولقد توفي ابنه علي فى شهر ذى القعدة سنة ٩١٣هـ/١٥٠٧م ، فجعل بدلا منه ابنه الشريف محمد بن بركات (١) المعروف بأبى نمي .

وفى شهر ربيع الأول سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م ، توفى الشريف قايتباى بن محمد ، فلما علم بذلك السلطان الغورى ، بعث الى الشريف بركات أن يقدم عليه فى مصر وربما لانشغال الشريف بركات بأمور البلاد ، ومحبة منه فى توثيق عرى الود بين الحجاز والمماليك فبعث بدلا عنه ابنه الشريف محمد أبا نمى ، فاكرمه السلطان الغورى ، وجعل أمر الحجاز للشريف بركات وأشرك معه ابنه الشريف محمد أبا نمى فى حكم الحجاز .(٢) ولم تكن تلك العلاقات الحسنة بين الشريف بركات والسلطان الغورى الا ليفتحوا صفحة جديدة للعلاقات تنسيهم ما حدث من سوء العلاقة السابقة لاظهار حسن النية وصدق العلاقات فبرهن كل منهما ببذل الهدايا وتبادل

---

(١) السنجارى ، على بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٩ .
دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٩ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٢٤٨ .
- الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٥٨ .
- العصامى ، عبد الملك بن حسين : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٨٩ .
- الديبع ، عبد الرحمن : الفضل المزيد ، ص ٣٣٨ .
- السنجارى ، على بن تاج الدين ، منائح الكرم ، ص ١٦١ .
- الطبرى ، محمد بن على بن فضل : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٦٠ .
- الصباغ ، محمد بن أحمد المكي : تحصيل المرام ، ص ١٩٢ .
- البتنوني ، محمد لبيب : الرحلة الحجازية ، الطبعة الثالثة ، مكتبة المعارف ، محمد سعيد كمال ، الطائف ، ص ٧٦ .

الزيارات بين مصر والحجاز ، فمن ذلك مثلا فى سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م بعث الشريف بركات السيد عوار ابن عجل النمرى الى السلطان الغورى بهدية من جملتها عشرون عبدا حبشيا ، وعشرون ألف دينار ذهبا ، وعشرون فرسا ، وثلاثة آلاف دينار للدويدار ، وذلك مقابل أن يفوض اليه السلطان جميع الأمور فى الأقطار الحجازية ،(١) وهذا بدوره كان له اكبير الأثر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الحجاز ، وذلك حينما تقدم الولاية الحجازية الى الدولة المملوكية الأموال ، بدلا من أن تقدمها الدولة المملوكية للحجاز .

وكذلك عندما بعث الشريف بركات ابنه أبا نمى الى مصر يلتمس أن يكون شريكا لأبيه فى امارة الحجاز ، بعث معه الشريف بركات هدايا منها ، عشرون عبدا حبشيا وعشرون ألف دينار ، وعشرون فرسا ، وثلاثة آلاف دينار للدويدار.(٢) ولقد قدم الغورى للشريف أبى نمى بعض الهدايا الذهبية والمال على سبيل التكريم ،(٣) وفى سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م حجت زوجة السلطان الغورى وولده ، فأكرمهم الشريف بركات غاية الاكرام فسألاه أن يتوجه معهم الى مصر ليجازونه فوافقهم ، وسار الى مصر وقابل السلطان الغورى الذى أكرمه كثيرا (٤) وأهداه مبلغ ثلاث آلاف من النقد وعشرين مملوكا وخيل (٥) ولقد قدم الشريف بركات بعض الهدايا للسلطان ، واستمر الوضع فى الحجاز مستتبا للشريف بركات الى أن سقطت الدولة المملوكية على أيدى العثمانيين

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ٢١٦ .
- الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٥٧ .
- السنجارى ، على بن تاج الدين : منائح الكرم ، ص ١٥٩ .
- السباعى ، احمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص ٣١٥ .

(٢) الطبرى ، محمد بن على بن فضل : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٦٠ .

(٣) الجزيرى ، عبد القادر بن محمد الأنصارى : درر الفوائد ، ص ٣٥٩

(٤) المصدر السابق ، ص ١٦٥ .

(٥) الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٦٠ .

سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م. فبعث الشريف ابنه أبا نمى الى القاهرة مهنئا السلطان العثمانى سليم الأول بالانتصار على المماليك فأقرهما السلطان العثمانى على حكم الحرمين الشريفين امـــرة مكة المكرمة. (١)

ولقد كان الشريف بركات يهدف من هذه التهنئة اعترافه بالتبعية للدولة العثمانية لكى تقوم بدورها فى صد الهجوم الصليبى البرتغالى على الحجاز.

واستمر الشريف بركات فى أمرة مكة الى أن توفي سنة ٩٣١ هـ / ١٥٢٤م وتولى مكانه ولده الشريف محمد أبو نمى. (٢)

---

(١) ابن ظهيرة، جمال الدين محمد جار الله : الجامع اللطيف، ص ٣٢٢.
- العصامى، عبد الملك : سمط النجوم، جـ٤ ص ٢٩٢.
- ابن الحسين، يحيى : غاية الامانى، ص ٦٥٥.

(٢) الغزى، نجم الدين : الكواكب السائرة، ص ١٦٤.

٤ - العلاقات بين أشراف الحجاز وسلاطين المماليك :-

لكى نتعرف على أبعاد السياسة المملوكية الخارجية تجاه الحجاز فى ذلـــك الوقت كان لا بد أن نلقى الضوء على الحاجة السياسية داخل الدولة المملوكية ، فـــان الفترة التى بدأت باعتلاء قايتباى سلطة المماليك ، ظهرت فيها جميع مظاهر التدهور الاقتصادى الذى برز فى أواخر حكم الدولة المملوكية التى كانت تحكم أجزاء من العالـــم الاسلامى واتضحت معه الوسائل التى تحايلت بها الدولة المملوكية للحصول علـــى الأموال ، وذلك لاشباع خزائن للدولة المملوكية للمحافظة على بقائها .

وكان نظام المماليك قبل تلك الفترة محكما ، يقوم على أساس الطاعة للسلطـــان من جهة المملوك ، والقناعة بما يخصص له من نفقة أو قطاع . لكن هذا النظام تداعـى فى أواخر عصر الدولة المملوكية بحيث أصبح المماليك الجلبان أداة للعبث والعـــدوان على أهالى البلاد الآمنين ، ونهب أموالهم ، والثورة من حين لآخر على السلطـــان لعدم رضائهم عما خصص لهم من نفقة ، فى حين أن السلاطين المماليك لم يقتصـــدوا فى نفقاتهم ، ولم يكفوا عن شراء أعداد كبيرة من المماليك بكثير من الأموال ، ويعتبـــر العامل الاساسى فى تدهور الحياة الاقتصادية فى أواخر عصر المماليك هو كساد تجارة الدولة ، بعد أن استطاع البرتغاليون الوصول الى مراكز التجارة الشرقية عن طريـــق رأس الرجاء الصالح ، مما جعل تجارة الشرق تتحول الى هذه الطريق ، بعـــــد أن كان المماليك هم الوسيط بين تجارة الشرق والغرب . ولقد حاول المماليك تقويـــة قوتهم العسكرية بتطبيق سياسة الاحتكار ، ومصادرة أموال الناس ، وامتدت أيديهـــم الى الأوقاف ، وزادوا الضرائب والمكوس على الرعية (١) ومع أن سلاطين المماليك هـــم

---

(١) عاشور ، د . سعيد عبد الفتاح : التدهور الاقتصادى فى دولة سلاطيـــن المماليك (١٤٦٨ - ١٥١٧) من كتاب ابن ايـــاس
محاضرات ألقيت فى الندوة التى نظمتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالاشتراك مع المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

الباسطون نفوذهم على الحجاز ، الا أنه كان نفوذا اسميا ، فكثيرا ما كان أشراف الحجاز يستقلون باتخاذ مايرونه من التصرفات دون الرجوع الى السلطنة فى مصر.(١) ولكن يبدو أن النزاع الذى يحدث من حين الى آخر بين ابناء البيت الحاكم من الاشراف سواء بتأثير داخلى أو خارجى اضعف من استقلالهم التام عن التأثير المملوكى .

ولقد احتفظ المماليك بقوة عسكرية بسيطة فى مكة المكرمة مع نشرهم النفوذ المملوكى فى المدينة المنورة وينبع وذلك اظهارا لسلطتهم على الحجاز ، الا أن القلاقل والفتن ثارت بسبب الخصومات والاضطرابات بين ابناء الشريف محمد بن بركات بعد وفاته وذلك منذ حوالى سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م ، الى أن استقر الحكم فى الحجاز للشريف بركات بن محمد حوالى سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م حيث فى تلك الفترة ساد المدن الحجازية بعض الاضطرابات السياسية مما انعكس اثره السلبى على قوافل الحج التى تؤثر على الناحية الاقتصادية فى البلاد .

ثم تلى ذلك ما قام به أمير ينبع الشريف يحيى بن سبع ، وأمير خليص مالك بن رومي ، والشريف حميضة بن محمد بن بركات ، بالاضافة لأمير المدينة المنورة.(٢) من قلاقل داخل الحجاز ، مما اضطر السلطان قانصوه الغورى أن يبعث فى شهر رجب سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م بقوة عسكرية من مصر الى الحجاز بقيادة الأمير خاير بك . كما ذكرنا سابقا للقضاء على تلك الفتنة وتدعيما للشريف بركات بن محمد الذى تحسنت

= اشراف د . أحمد عزت عبد الكريم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧م ص ٦٦ .

(١) ابن فهد ، نجم الدين عمر : اتحاف الورى : جـ٤ ص ٣٤ .

(٢) صالح ، محمد امين : تجارة البحر الأحمر فى عصر المماليك الجراكسة ، الداره ، العدد الثانى ، السنة السادسة ، ربيع أول ١٤٠١ - يناير ١٩٨١م ، ص ١٣١ .

— الجاسر ، حمد : بلاد ينبع ، ص ٦٠ .

العلاقة بينه وبين السلطان المملوكي قانصوة الغوري بعد الاحداث السابقة التي جرت من المماليك ضده .

ولقد عني المماليك كثيرا ببسط حمايتهم على الأماكن المقدسة ، وساعدهم في ذلك كثيرا تنازع أشراف الحجاز فيما بينهم ، وحاجة كل منهم الى تأييد من مصر لتثبيت سلطته وأصبح الشريف يهتم أول مايهتم بجمع الاتباع من الاشراف لتأييدهم وتأييد السلطان المملوكي ، والحصول منه على تقليد التأييد لتوليه الحكم في الحجاز ، وكانت ترسل الهدايا والأموال الى مصر للحصول على التأييد من السلطان المملوكي له ولمن يختاره شريكا له في الحكم.(١)

ولقد امتازت فترة تولي الشريف محمد بن بركات لحكم الحجاز باستقرار العلاقة بينه وبين المماليك في مصر ، فلم يحدث في عهده أنه أبعد من قبل أحد أفراد اسرته من قبل الدولة المملوكية .(٢) التي كان حكامها يراقبون أحوال الحجاز بصفة دائمة ونلاحظ أنهم لا يسمحوا بوجود حاكم قوي فيه . الا أن يكون دائما مظهر الولاء والطاعة لهم ، ونجد أنهم يقمعوا أية محاولة من أي حاكم على الحجاز يحاول ان يستغل ظروف الدولة المملوكية الداخلية ، لكي يقوم بالاستقلال بالحكم أو الاخلال بالأمن .(٣) ولكن الشريف محمد بن بركات بما اشتهر به من حنكة سياسية وبعد نظر وقوة شخصية استطاع موازنة الامور بين تحقيق مصالح بلاده وحسن علاقته بالدولة المملوكية ولهذا نال تأييد سلاطين المماليك .

---

(١) البحراوي ، د . محمد : فتح العثمانيين عدن ، ص ٤٣ .

(٢) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٣٨ .

(٣) حماده ، د . محمد ماهر : سلسلة وثائق الاسلام (٦) الوثائق السياسية والادارية للعصر المملوكي ٦٥٦ - ٩٢٢هـ / ١٢٥٨ - ١٥١٦م دراسة ونصوص ، الطبعة الاولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، جـ ٦ ص ٣٥ .

ومما لا شك فيه أن تأييد السلطان قايتباى للشريف محمد بن بركات ، كان من العوامل التى ساعدت على هزيمة خصومه داخل البلاد وفشل محاولتهم ، فكثيرا ماكان يبعث بالمراسيم اليه ، متضمنا شكره للشريف محمد لتوفيره الأمن للحجاج ، والحفاظ على أموالهم ، ولرعايته الدائمة لأهل مكة [١] بالاضافة لما كان يقوم به الشريف محمد من ارسال الهدايا والأموال للسلطان قايتباى ، وأعيان دولته ، مما جعل السلطان يرفض طلب الشريف رميثه بن أبى القسم بن حسين بن عجلان ابن عم الشريف محمد ابن بركات ، أن يساعده فى تولى حكم مكة المكرمة فى سنة ٨٧٨هـ / ١٤٧٤م ، وقال للشريف محمد فلتقر عينا فانا لا نغير عليك ما دمنا من تحت الملك [٢] وكذلك حاول قايتباى الاصلاح بين الشريف محمد بن بركات وأخيه الشريف علي ، سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م فتم الصلح بينهما [٣].

وحينما اختلفا مرة أخرى توجه الشريف علي الى القاهرة ، وأقام بها الى أن توفي [٤] وقد توطدت الصداقة والمصالح المتبادلة بين قايتباى والشريف محمد بن بركات ، عندما قام قايتباى فى سنة ٨٨٤هـ / ١٤٨٠م بأداء فريضة الحج . فقد حرص الشريف محمد على اكرام السلطان منذ وصوله الى أرض الحجاز حتى عاد الى مصر [٥].

---

(١) مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٥ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥٢٠ .
— مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٦ .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥٢٠ .
— مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٦ .

(٤) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥٢٠ .
— مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٦ .

(٥) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥٣٣ .
— مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٧ .

ولكن الاشراف بعد وفاة الشريف محمد بن بركات لم يكونوا يتقيدون كثيرا بمراسيم التأييد من السلطان المملوكي ، فكان بعضهم يطرد الأمير على مكة المكرمة المؤيد من الدولة المملوكية بقوة السلاح وبقوة المؤيدين له من عربان الحجاز ويتولى مكانه فيبعث له السلطان بتأييد آخر حتى يضمن المصالح المملوكية مثلما كان الحال في الخصومات التي حدثت بعد وفاة الشريف محمد بن بركات ، وقيام الصراع بين أبنائه.[1]

وقد يكون للدولة المملوكية دور كبير في اثارة ذلك الصراع ، لجعل حالة عدم الاستقرار تسود منطقة الحجاز ، لكي لا يتمكن أحد هؤلاء الاشراف من الاستقلال عن التبعية للدولة المملوكية . وفي الحقيقة ما كان السلطان المملوكي يؤيد تولي أحد الأشراف اميرا على مكة المكرمة ، الا بالقدر الذي يبعثه ذلك الشريف من الأموال الى السلطان المملوكي في مصر ليضمن عدم تأييدهم لخصومه من ابناء عمومته من الاشراف الطامعين في الحكم ، ولذلك فاننا نجد ان الشريف محمد بن بركات حينما نال تأييد السلطان أبو السعادات فخر الدين عثمان بن جقمق لتوليه حكم مكة المكرمة كان ذلك مقابل خمسين ألف دينار غير ما يدفعه لكبار رجالات الدولة المملوكية ، ولولد السلطان ولزوجته[2] اضافة الى ما قام به الشريف محمد بن بركات باهدائه للسلطان قايتباى عند حجه سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٤٠م ، فلقد أهداه الكثير من الخيل والابل .[3] وكذلك نجد أن الشريف هزاع بن محمد في فترة الصراع على السلطة في الحجاز ، يطلب التأييد من الدولة المملوكية في ولايته على الحجاز ،

---

(١) السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص ٣٢٠ .

(٢) أبو المحاسن ، جمال الدين : النجوم الزاهرة ، جـ١٦ ص ٩٢ .
— العصامي ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٧٥ .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥٣٣ .
ـ السليمان ، علي : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٣٣ .

مقابل مائة ألف دينار ، فوافاه التأييد ضد أخيه الشريف بركات ، الذى كان فى ذلك الوقت حاكما على الحجاز مؤيدا من جهة الدولة المملوكية.(١) ولذلك نجد أن الشريف أحمد اتفق مع أمير الحاج المصرى على أن يقبض على أخيه الشريف بركات وأن يأخذه الى مصر فى سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م مقابل ستين ألف دينار.(٢) وهذا جعل أشراف مكة المكرمة لا يأمنون على أنفسهم غدر السلاطين بهم ، فنجد أنه حينما يطلب السلطان المملوكي رؤية الشريف ويستدعيه الى القاهرة ، لا يذهب هو شخصيا انما يعتذر لأى سبب من الأسباب ، ويبعث بدلا عنه ابنه حتى يطمئن ويبقى حسن العلاقة ، مثل ما حدث فى عهد قايتباى حينما بعث الى الشريف محمد بن بركات فى سنة ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م يستدعيه الى مصر فبعث بدلا عنه ابنه الشريف بركات بن محمد.(٣) ولقد أكرمه السلطان قايتباى غاية الاكرام ، وقدم الشريف بركات بن محمد لقايتباى الكثير من الهدايا ومنها برقع الكعبة المشرفه وخمس حجورات نجديات ، وحبات لؤلؤ ، وذهب ، وتحف(٤) وسر السلطان قايتباى كثيرا لزيارته تلك وأنعم على المبشرين بقدومه.(٥)

وكذلك عندما استدعى السلطان الغورى الشريف بركات بن محمد حاكم الحجاز الى القاهرة ، فبعث بدلا عنه ابنه الشريف أبا نمى فى سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م(٦) فأكرمه الغورى كثيرا واجلسه بين يديه والبسه كثيرا من الخلع والهدايا ، وقدم له

---

(١) السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص ٣٠٩

(٢) المرجع السابق ، جـ١ ص ٣١٢.

(٣) العصامى ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٧٩.
- ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، جـ٣ ص ٩٠.

(٤) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ٥٠.

(٥) المصدر السابق ، جـ٣ ص ٥١.

(٦) دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٤٩.

الشريف أبا نمي الهدايا كذلك.[١] وفي الحقيقة أن هذه السياسة اتبعت كثيرا من الاشراف حيث أوصاهم بها الشريف قتادة مؤسس اسرة الأشراف الأخيرة المنسوبه له (آل قتادة) بمكة المكرمة سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م فقد أوصاهم بأن يعتذروا عن قبول أية دعوة توجه اليهم من سادة القاهرة أو من غيرها ، فوجودهم بمكة المكرمة هو سر قوتهم ، ويدفع الدول الى خطب ودهم[٢] ولم يكن اهتمام المماليك بالحجاز وبسط سيادتهم عليه ، الا لكونه يضم الحرمين الشريفين ، فلقد كانت تطفى على الدولة المملوكية الصفة الدينية ، وتعتز بكونها حامية الحرمين الشريفين في ذلك الوقت ، وأيضا لما كانت تجنيه هذه الدولة من الربح المادى عن طريق الموانئ الحجازية التي كانت تمر بها تجارة البحر الأحمر الواردة من الهند وجنوب شرق آسيا بما تسمى بالتجارة الشرقية بالاضافة الى الطرق التجارية البرية والربح الذى كان يجنى من رسوم البضائع[٣] هذا ولم تكن الأموال التي يبعثها السلطان المملوكي الى الحجاز في موسم الحج ، لتوزع على الفقراء والمجاورين أو لغيرها من الأغراض ، الا أموال أوقاف موقوفه على الحرمين الشريفين في مصر وغيرها من البلدان[٤] ، في حين لم تكن الدولة المملوكية لديها القدرة على الاهتمام بشئون الحجاز السياسية أو الاجتماعية لما واجهته من عبث البرتغاليين في البحار

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ٢٥٠.

(٢) دراج ، د . أحمد السيد : ايضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن التاسع الهجرى ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المحاضرات العامة ، الموسم الثقافي ٦٧/١٩٦٨م ، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٦٨م ، محاضرات القيت بدار الجمعية سنة ١٩٦٨م ص ١٩٧.

(٣) السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص ٣٢٠.

— مؤنس ، حسن : الشرق الاسلامي في العصر الحديث ، الطبعة الثانية ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ١٩٣٨م ، ص ٣٧.

(٤) عبد الرحيم ، د . عبد الرحيم عبد الرحمن : الحجازيون في مصر في القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى ، الداره ، العدد الاول ، السنة الحادية عشرة ، شوال ١٤٠٥هـ / يونيو ١٩٨٥م ، ص ١٤١.

الاسلامية فى المحيط الهندى ، وغارات سلطان الصفويين الشاه اسماعيل الصفوى على أطراف دولتهم ، وطمع العثمانيين فى الاستيلاء على المشرق الاسلامى .[(١)]

ولقد حافظ الأشراف على حسن العلاقة بالدولة المملوكية فى كثير من الأوقات ويتجلى ذلك بوضوح عندما كانوا يتربصون بالمحمل العراقى ، ويقبضون على رؤسائه ، ويبعثون بهم الى مصر ، كما حدث سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م ، وذلك عندما قبض الشريف محمد على أمير المحمل العراقى ، لأن الملك العادل حسن الطويل ملك العراق كان يطمع فى أن يبنى علاقات مميزة مع الحجاز ليظهر اسمه على منابر الحرمين الشريفين ولهذا فقد بعث مع الحجاج العراقيين اميرا للحج وقاضيا وهذا ينافى للعلاقة القائمة بين الحجاز والدولة المملوكية بمصر .[(٢)]

هذا ولقد استخدم بعض السلاطين المماليك الحجاز كمنفى ، ينفون فيه الذين غضبوا عليهم وكان لهم اجلال ومعزه لدى السلاطين لبعده عن مناطق النفوذ والصراع المملوكى فى مصر ولجعل هؤلاء المنفيين ينعمون بفترة روحية بالقرب من الحرمين الشريفين ، ففى سنة ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م ، نفى السلطان قايتباى الأمير سودون المؤيدى الى مكة المكرمة ، لاتهامه فى فتنة المماليك الجلبان .[(٣)]

---

(١) سليم ، محمود رزق : عصر سلاطين المماليك ، ص ٥٩ .

(٢) ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، جـ٣ ص ٩ .
يقول المؤرخ فى سنة ٨٧٨هـ.
- العصامى ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٧٦ .
- الصباغ ، محمد بن أحمد : تحصيل المرام ، ص ١٩٢ .
- الحضراوى ، أحمد محمد : تاج تواريخ البشر ، جـ٢ ص ٢٦١ .

(٣) السليمان ، علي : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٥٧ .

وفى سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م توفى الأمير خاير بك بمكة المكرمة وكان السلطان المملوكى قد نفاه اليها .[1] ومما سبق يتضح لنا مفهوم العلاقات بين أشراف الحجاز والدولة المملوكية ، والقائمة على المصلحة المادية المشتركة بين أشراف الحجاز والدولة المملوكية .

٥ - العلاقات الحجازية الخارجية :

لم تكن علاقة الحجاز فى ذلك الوقت تقتصر على علاقاته بالدولة المملوكية فى مصر فقط ، بل له علاقة مع جيرانه من الدول والامارات الأخرى ، ولكى نقوم باستعراض لتلك العلاقة كان لابد أن نذكر بعض أهم القوى والدول التى كان للحجاز علاقة معها فى ذلك الوقت ، ومن أهمها الدولة الطاهرية فى اليمن ، والتى قامت بعد سقوط الدولة الرسولية سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م ، وكان ملكها يسمى عامر بن طاهر والذى قتل فى احدى المعارك سنة ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م فتولى مكانه الملك على ابن طاهر . هذا ولقد وجد فى اليمن نظامين للحكم ، أحدهما الملكى ، الذى ذكرناه فى جنوب اليمن ، والآخر هو نظام الامامة شمال اليمن وكان لكل منهما مناطق نفوذه ، وكان بينهما الكثير من العراك .[2] أما شرق امارة الحجاز ، ففى تلك الفترة حكم البحرين والحسا آل جبر بن زامل ، ويعود أصلهم الى قبائل نجد ، التى نزحت الى الاحساء سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م .

واستأثر بحكم الاحساء ، سيف بن زامل بن حسين العقيلى الجبرى ، بعد أن انتصر على آخر ولاة الجراونه بقايا القرامطة فى الاحساء ، ولما مات سيف بن زامل تولى الحكم فى الاحساء أخوه أجود بن زامل بن حسين الجبرى ، الذى أمتد حكمه الى القطيف والبحرين وبعد وفاة أجود ، تولى ابنه سيف بن زامل ، الذى وسع

---

(١) السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٥٧ .
(٢) البحراوى ، د . محمد : فتح العثمانيين عدن ، ص ٤٠ .

اطراف امارته ، فاستولى على عمان من أميرها سليمان بن سليمان بن نبهان سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٧م ، وأما الابن الآخر لأجود بن زامل واسمه مقرن ، فقد حكم البحرين وعمان فى النصف الأول من القرن العاشر الهجرى ، وفى عهده استولى البرتغاليون على البحرين سنة ٩٢٨هـ/١٥٢١م.[(١)] وكانت العراق فى ذلك الوقت خاضعة لحكم سلطان العجم شاه رخ ميرزا ، الذى كان على خلاف مع الدولة المملوكية.[(٢)]

وكانت أكبر القوى الاسلامية فى ذلك الوقت هى الدولة العثمانية ، التى استطاعت بحماسها الدينى نشر الاسلام فى كثير من مناطق اوروبا ، بالاضافة الى حماية البلدان الاسلامية فى المشرق الاسلامى من العدوان الصليبى البرتغالى . وبعد القاء الضوء على أهم القوى المعاصرة لحكومة الحجاز فى تلك الفترة ، نستطيع أن نلقى الضوء على علاقة الحجاز بكل منها .

أ - الحجاز واليمن :-

كان لموقع الحجاز المتميز على البحر الأحمر ، واتصاله ببلاد الشام شمالا واليمن جنوبا وبمصر برا وبحرا ، أثره العظيم فى النشاط التجارى داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها . فمنذ أقدم العصور سارت القوافل التجارية من اليمن عبر أراضى الحجاز حتى وصلت الشام ، وكانت المراكب تأخذ طريقها الى مصر واليمن عبر ثغور الحجاز على البحر الاحمر[(٣)] حيث كانت شواطىء الحجاز وبعض شواطىء

---

(١) الصيرفى ، نوال حمزة يوسف : النفوذ البرتغالى فى الخليج العربى فى القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر الميلادى ، دار الملك عبد العزيز الرياض ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص ٥٣.

(٢) الطبرى ، محمد بن على بن فضل : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٠٥.

(٣) أبى الفداء ، اسماعيل : تقويم البلدان ، ص ٧٦.

— المشيقح ، ابراهيم ، تاريخ أم القرى ، ص ٣١.

اليمن تقعان على البحر الأحمر وكانت امارة مكةالمكرمة تقيم علاقات خارجية مع البلدان الاسلامية لكي تستطيع سد حاجاتها خاصة فى موسم الحج ، ولذلك نراها تقيم علاقات خارجية مع العراق والدولة العثمانية ، واليمن التى كانت أقرب اليها من غيرها ، ولعل قرب اليمن اليها يفسر لنا قيام صداقة فيما بينهما .(١) وحرص الاشراف فى الحجاز على المدى السياسي أن يقيموا علاقات حسنة مع اليمن ، لاقامة التوازن السياسي والعسكرى فى المنطقة بين القوى التى كانت تطمع الى تحقيق سيادتها على الحرمين الشريفين ، ولكي يحتفظوا لأنفسهم بمكان يلجئون اليه اذا دعت الضرورة فى حربهم مع القوى التى تريد السيطرة على الحجاز .(٢) ولم تكن تلك العلاقة مع اليمن تخلو فى بعض الاحيان من المنازعات على المناطق الحدودية ، كما حدث سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م ، عندما سار الشريف محمد بن بركات لمحاربة أمير جيزان الشريف أبى الفوائر أحمد بن دريب بن خالد ، عندما أحس منه العصيان لايوائه من ينفيهم الشريف محمد ، ومساعدته لأخيه الشريف علي عندما قدم اليه غاضبا على أخيه الشريف بركات ، وتيسيره ذهابه الى مصر ، لكي يطلب من السلطان المملوكي تدعيمه لتولى سلطة الحجاز بدلا من أخيه الشريف محمد ، وكذلك لاحساسه أن الشريف أبى الفوائر كان ينوى الانضمام الى الدولة الطاهرية ، والخروج عن طاعة حكام الحجاز .(٣) ولقد استمرت علاقة امير جيزان بالدولة الطاهرية بعد ذلك ، فنجد أنه فى ذى القعدة سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م ، قدم الشريف أبى الفواير أحمد بن دريب على الملك المنصور الطاهرى بمدينة زبيد ، فاحتفل به الملك المنصور(٤) وكانت جيزان لوقوعها

---

(١) البحراوى ، د. محمد : فتح العثمانيين عدن ، ص ٣٧.

(٢) دراج ، د. أحمد السيد : ايضاحات جديدة عن التحول فى تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن التاسع الهجرى ، ص ١٩٧.

(٣) الديبع ، عبد الرحمن : بغية المستفيد ، ص ١٤٨.

(٤) الديبع ، عبد الرحمن : الفضل المزيد ، ص ١٦٠.

بين اليمن والحجاز تعتبر محل خلاف بين الدولة الطاهرية والحجاز ، فحينما ترى حكومة الحجاز تعاطفها مع الدولة الطاهريه تقوم بغزوها ، وحينما يخشى منها حكام الدولة الطاهرية ، عندما تكون موالية للحجاز كما حدث سنة ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م يناصبونها العداء ، فلقد قبض الملك المجاهد الطاهرى على أحد أعيان دولته واسمه اسماعيل بن أبى بكر الجبرتى ، بتهمة مكاتبة أمير جيزان وتحريضه على محاربة الدولة الطاهرية .(١) وثبتت براءته من ذلك ، فكانت الدولة الطاهرية تخشى من امارة جيزان اذا كانت تابعة لسلطة الحجاز ، مثلما حدث فى عهد الشريف محمد بن بركات ، وكانت قبل ذلك فى عهد أميرها دريب بن خالد بن قطب الدين الذى تولى عام ٨٤٢هـ/ ١٤٢٨م تبعث الى الحكومة الطاهرية فى اليمن بألف دينار سنويا .(٢)

ولقد كان لأشراف الحجاز علاقة برؤساء الدولة الطاهرية ، وبخاصة الذين يخرجون على طاعة سلطان اليمن ، فنجد أنه عندما تولى الملك المنصور تاج الدين عبد الوهاب بن داود بن طاهر سنة ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م ، خالعة ابن عمه يوسف ابن عامر ، فخرج الى مكة المكرمة وتقابل مع الشريف محمد بن بركات ، فأكرمه غاية الكرم ثم توجه من عنده الى أمير جيزان الشريف أبى الغوائر والذى أكرمه هو أيضا (٣) ربما بايعاز من حاكم الحجاز دون التدخل المباشر فى امور اليمن الداخلية .

وكذلك كانت الدولة الطاهرية تكرم من يلتجىء اليها من أشراف الحجاز ، دون التدخل المباشر فى الحجاز ، فنجد أنه فى شهر صفر سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م ، قدم الشريف رميثه أخو الشريف محمد بن بركات على الشيخ عبد الملك بن الملك المنصور

---

(١) العقيلى ، محمد بن أحمد : تاريخ المخلاف السليمانى ، جـ١ ص ٢٥٣ .
(٢) المرجع السابق ، جـ١ ص ٢٦١ .
(٣) الديبع ، عبد الرحمن : الفضل المزيد ، ص ١٥٦ .

بزبيد فأكرمه ، ثم ذهب به الى أخيه الملك الظاهر ، ولم يزل عنده حتى استأذنه في السفر الى مصر ، لكي يحاول الحصول على سلطة الحجاز وقد يتم له ذلك من السلطان المملوكي في مصر (١) . وكانت الاتصالات بين اليمن والحجاز في تلك الفترة ، متصلة فنجد أنه في شهر ربيع الأول سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م ، قدم على الملك الظافر من عند الشريف محمد بن بركات مبعوثا بجملة من الهدايا (٢) وفي شهر شوال من نفس العام ، قدم رسول الى الملك الظافر باليمن من عند أبي السعود بن ابراهيم بن ظهيرة الشافعي قاضي مكة المكرمة ، بكتاب صحيح البخاري فأكرمه الملك كثيرا (٣) .

ومن ذلك يتضح لنا حسن العلاقات بين الحجاز واليمن في تلك الفترة ، ربما لانشغال كل طرف من الأطراف بمشاكله الداخلية وحروبه الخارجية ، فاليمن كانت تمر بفترة صراع بين الدولة الزيدية والطاهرية ، بالاضافة للغزو البرتغالي لأطرافها في عدن ، والحجاز كان يمر بفترة صراع بين أبناء الشريف محمد بن بركات على السلطة ، بغض النظر عن فترة تولي الشريف محمد بن بركات ، والتي كانت فيها معركة جيزان بينه وبين الشريف أبي الفوابر وما قد تكون أحدثته من توتر في العلاقة بينه وبين الدولة الطاهرية المجاورة لتلك الاحداث والتي تراقب الموقف عن كثب خوفا على أراضيها .

ب ـ الحجاز وشرق الجزيرة العربية :

لقد كانت هناك علاقات قائمة بين الحجاز ومنطقة شرق الجزيرة العربية في ذلك الوقت ، وهي علاقات اقتصادية وسياسية ، حيث كانت حاصلات نجد والمناطق المجاورة لها شرقا تباع في أسواق الحجاج في موسم الحج ، وغيرها من

---

(١) الديبع ، عبد الرحمن : الفضل المزيد ، ص ١٨٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٣٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .

الأوقات . وكان لأشراف الحجاز أنصارهم فى شرق الجزيرة العربية .(١) وعن تاريخ تلك المنطقة فى شبة الجزيرة العربية ، نجد أنه فى سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م ، استولى عليها أبو بكر بن سعيد بن أتابك أحد ملوك فارس ، وكان من أهل السنة (٢) وفى سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م ، استولى عليها جنكيز خان المغولى الى أن انقرضت هذه الدولة فى سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م (٣) ثم استولت عليها الدولة الكوراتية .(٤)

وفى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى الرابع عشر الميلادى ، حكم البحرين آل جبر بن زامل . ويعود أصلهم الى قبيلة من قبائل نجد ، نزحت الى الاحساء سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م واستأثر بحكم الاحساء سيف بن زامل بن حسين العقيلي الجبرى ، بعد أن انتصر على آخر الجراونه ، بقايا القرامطة فى الاحساء ولما مات سيف بن زامل تولى الحكم فى الاحساء أخوه أجود بن زامل بن حسين الجبرى ، الذى امتد حكمه الى القطيف والبحرين . وبعد وفاة أجود تولى ابنه سيف ابن أجود بن زامل الذى وسع أطراف امارته ، فاستولى على عمان من أميرها سليمان ابن سليمان بن نبهان سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م . وأما الابن الآخر لأجود بن زامل واسمه مقرن ، فقد حكم البحرين وعمان فى النصف الأول من القرن العاشر الهجرى الرابع عشر الخامس عشر الميلادى ، وفى عهده ، استولى البرتغاليون على البحرين سنة ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م .(٥)

---

(١) شاكر ، محمود : شبه جزيرة العرب. ص ١٥٥

(٢) الانصارى ، محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر : تحفة المستفيد بتاريخ الاحسان فى القديم والجديد ، اشرف على طبعه وعلق عليه بعض الحواشى حمد الجاسر ، الطبعة الاولى ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م ، جـ١ ص ٠٥

(٣) المرجع السابق ، جـ١ ص ٥ .

(٤) المرجع السابق ، جـ١ ص ٥ .

(٥) السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، جـ٨ ص ١٩٠ .

— الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣١٦ .

ولقد كان للأمير أجود بن زامل علاقات تجارية بالحجاز ، بالاضافة الـى القوافل التى كانت تسلك الطرق الى مكة المكرمة ، وكان الأمير أجود بن زامل من القوة والعدل بحيث حقق الأمن على الطرق التجارية فى طريق بلاده ، وكان فى بعض الأحيان يقود قافلة الحجيج بنفسه أو يكلف أحد أفراد اسرته بذلك ، للمحافظة على الأمن فى تلك الطرق وكان ذو علاقة طيبة مع حكام الحجاز المعاصرين له ودائما مايرسل المساعدات عند مايطلب منه من قبل حكام الحجاز مما جعل معاصروه يضفون عليه بعض الألقاب ، مثل سلطان البحرين والقطيف والحساء ورئيس أهل نجد .(١) ولقد قدم محمد بن أجود بن جبر المساعدة للشريف بركات بن محمد فى حفظه للأمن على الحجاز من المتمردين على سلطة الشريف بركات مثل أمير ينبع يحيى بن سبع ، وأمير خليص مالك بن رومى ، والشريف حميضه بن محمد بن بركات وذلك فى سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م ، حيث وصل محمد بن أجود بن جبر كما جاء فى قول المؤرخ أحمد بن محمد بن يعقوب وصل فى طائفة من عسكره تقدر بخمسين ألف الى مكة المكرمة بناء على طلب من الشريف بركات بن محمد لمساعدة فى قتال الخارجين عليه ولقد وجد محمد بن أجود العسكر المملوكية التى بعثها الغورى قد استطاعت انزال الهزيمة بالمتمردين فقام بأداء العمرة ثم رجع الى بلاده . ولقد ألبس محمد بن أجود قائد القوات المملوكية خلعه لما قام به من حفظ للأمن (٢) ولكن الأقرب هو ماذكره

= ـ الاحسائى ، محمد بن عبد الله : تحفة المستفيد ، جـ١ ص ١٣٠ .
(يقول المؤرخ فى صفحة ٥ من نفس المرجع استمرت الدولة الكورانية على البحرين الى سنة ٩٢٢هـ دون ذكر آل جبر) .
ـ صيرفى ، نوال : النفوذ البرتغالى فى الخليج العربى ، ص ٥٣ .

(١) الحمدان ، د . عبد اللطيف ناصر : مكانة السلطان أجود بن زامل الجبرى فى الجزيرة العربية . الداره ، العدد الرابع ، السنة الرابعة ، رجب ١٤٠٢ هـ مايو ١٩٨٢م ، ص ٦٠ .

(٢) ابن يعقوب ، أحمد : السلاح والعدة ، ص ٩ .

المؤرخ عبد القادر الجزيرى أن الذى حج سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م هو السلطان أجود ابن زامل فى عدد من اتباعه يقدرون بثلاثين ألف .[١] ولقد حج السلطان أجود أيضا قبل ذلك سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٧م[٢] حيث كان يقود قوافل الحجيج والتجارة الى الحجاز.

جـ - الحجاز والعراق :

أما بالنسبة لعلاقة الحجاز الخارجية مع العراق فى فترة بحثنا التى كان يحكم العراق فيها السلطان أوزون حسن الطويل ، حاكم دولة الخراف البيض، الذى أراد أن يربط نفسه بعلاقة طيبة مع الحجاز ، والذى كان يخضع فى ذلك الوقت للسيادة الاسمية المملوكية . ولحسن العلاقة التى كانت قائمة بين حاكم الحجاز الشريف محمد بن بركات والدولة المملوكية ، رفض أن يسمح بقيام أى محاولة من جانب السلطان حسن الطويل فى فرض سيادته على الحجاز ، وذلك حينما بعث السلطان حسن الطويل بالمحمل العراقى الى الحجاز سنة ٨٧٨هـ/١٤٧٣م ، وفيه الكثير من أهل الدين الذين طلبوا من خطباء مساجد المدينة المنورة أن يخطبوا للسلطان الملك العادل حسن الطويل بصفته خادم الحرمين الشريفين.[٣]

وربما طلبوا ذلك من علماء المدينة المنورة بعد رفض الشريف محمد بن بركات حاكم الحجاز السماح بذلك . وقد يكون ما فعله السلطان حسن الطويل نتيجة لما يقوم به أمراء الحاج المصرى من صد للمحمل العراقى ، وقبض على امرائه ، ونتيجة للخلافات التى كانت قائمة فى ذلك الوقت بين دولة المماليك والعراق ، كان هناك

---

(١) الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٥٦
— الاحسائى ، محمد : تحفة المستفيد ، حـ١ ص ١٢٠ .
(٢) الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٤٣ .
(٣) ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، جـ٣ ص ٩٠ .
— طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ٤٦ .

بعض الخلاف على الكيفية التي يجب أن يظهر بها المحمل العراقي في مواسم الحج .

ويتضح من موقف الشريف محمد بن بركات وابنه الشريف بركات بن محمد بعده أنهما كانا يقاومان المحمل العراقي . وقد يرجع ذلك الى اعتبارات دينية لانتشار المذهب الشيعي في العراق وفارس في ذلك الوقت ، رغم أن دولة اوزون حسن سنيه ، والهدف عدم المساس بعلاقتهم بالدولة المملوكية . ولقد قام اشراف الحجاز في ذلك الوقت بصد المحمل العراقي ، والقبض على أميره ، مثلما حدث سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م عندما خرج الشريف محمد بن بركات وعسكره مع أمير المحمل المصري ، وأمسكوا أمير المحمل العراقي وبعثوا به الى مصر.[١]

وفي سنة ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م ، كذلك تمكن الشريف محمد بن بركات وأمير المحمل المصري من أمساك أمير المحمل العراقي وبعثوا به الى مصر[٢] وفي سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م ، حج العراقيون بمحمل ولكنهم لم يصعدوا الى عرفات.[٣]

وفي سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م ، حج العراقيون بمحمل ، واستطاعوا الوقوف به في عرفة بعد ما قدموا الأموال رشوة لأمير الحاج المصري ، وقائد العسكر المملوكي بمكة المكرمة.[٤]

---

(١) الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٧ .
— العصامي ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٧٦ .

(٢) الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٣٨ .

(٤) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٤٧١
— ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥٢٣ .
— الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٨ .
— العصامي ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٧٧ .
(يقول المؤرخ لم يوافقهم الشريف محمد بن بركات على ذلك) .

وفي سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م عند قدوم محمل العراق ، اجتمع الشريف محمد ابن بركات وأمير الحاج المصري واتفقوا على منع دخول المحمل العراقي بهيئته الرسمية وانما يبقى المحمل خارج مكة ويدخل الحجاج العراقيين مع المحمل المصري لأداء فريضة الحج ، فبقى المحمل العراقي خارج مكة المكرمة ، ثم بعد انقضاء موسم الحج أخذ أمير الحاج المصري أمير المحمل العراقي معه الى مصر (١) لهدف تأديبه لأن ذلك اعتبر منافسة للدولة المملوكية ذات العلاقة المميزة مع الحجاز وحيث لم تكن الدولة المملوكية لترضى بمنافسة من ملك العراق على العلاقة المميزة بالحرمين الشريفين فهي في ذلك الوقت كانت دولة الاسلام لاحيائها الخلافة العباسية في عاصمتها القاهرة ، وسيطرتها على أجزاء من أقدس بقاع العالم الاسلامي .

د - الحجاز والدولة العثمانية قبل سقوط دولة المماليك :-

أما بالنسبة لعلاقة الحجاز بالدولة العثمانية في تلك الفترة فكانت علاقة حسنة منذ قيام الدولة العثمانية . حيث كانت أول صلات مباشرة بين الطرفين زمن السلطان العثماني محمد جلبي الاول الذي تولى سلطة الدولة العثمانية سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م ، حينما بعث بالهدايا الى حاكم الحجاز ؛ والتي كان يطلق عليها اسم الصرة ، وهي عبارة عن قدر معين من النقود يرسل الى حاكم مكة المكرمة لتوزيعها على فقراء مكة والمدينة (٢)

وحينما تولى السلطة العثمانية مراد خان الثاني كان يرسل الصرة لاهل الحرمين وزاد في مقدارها . (٣)

---

(١) الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٤١ .
— ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٤٧١ .

(٢) المحامي ، محمد : تاريخ الدولة العليه ، ص ١٥٢ .

(٣) القطبي ، عبد الكريم بن محب الدين : تاريخ البلد الحرام المعروف باعلام =

ويقال أن أول من عمل أموال مخصصة لاهل الحرمين من سلاطين آل عثمان هو السلطان محمد الفاتح (١) وعند فتح القسطنطينية على أيدى العثمانيين تـرى أن السلطان العثمانى محمد الثانى لم يكتب بابلاغ بناء الفتح الى السلطان المملوكى أينال ، بل قام بابلاغه أيضا الى حكام الحجاز ، وطلب منه اعلان البشرى من فوق منابر مكة المكرمة ، وتوزيع الصدقات على فقراء الحرمين الشريفين ، وبعث بكثير من غنائم القسطنطينية الى مكة المكرمة (٢) انظر نص الرسالتين المتبادلتين بين السلطان العثمانى محمد الفاتح وحاكم مكة الشريف محمد بن بركات فى ملحق رقم (٢) ورقم (٣) والمرجح أن أول من عمل اموال مخصصة لأهل الحرمين هو السلطان محمد جلبى وليس محمد الفاتح . وقد زاد السلاطين من بعده من قيمة تلك الاموال المبعوثة للحرمين الشريفين ويحسن اليهم ،وكان يبعث فى كل سنة أربعة عشر ألف دينار ذهبا للحرمين الشريفين لتصرف على فقرائها (٣) اضافة الى تأديته فريضة الحج سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م مما وثق الصلات بينه وبين حاكم الحجاز الشريف محمد بن بركات (٤) ولقد ورد عليه خطيب مكة الشيخ محى الدين العراقى والشيخ شهاب الدين ابن الحسين العليف شاعر البطحاء الذى نظم

= العلماء الاعلام ببناء المسجد الحرام عن كتاب المؤلف قطب الدين بن علاء الدين الحنفى أعلام الاعلام بأخبار المسجد الحرام ، تحقيق أحمد محمد جمال ، عبد العزيز الرفاعى ، الطبعة الاولى ، مكتبة الثقافة بباب السلام ، مكة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م ، ص ٩٤ .

— البسنوى ، على دده : مناقب مكة المكرمة ، مخطوط ، ص ٤٨ .

(١) القطبى ، عبد الكريم : تاريخ البلد الحرام ، ص ٩٥ .

(٢) المحامى ، محمد : تاريخ الدولة العليه ، ص ١٥٢ .

(٣) الحنبلى ، أبى الفلاح عبد الحى بن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، جـ٨ ص ٨٦ .

— الغزى ، نجم الدين : الكواكب السائره ، جـ١ ص ١٢٢ .

(يعتبر السلطان محمد الاول جلبى خامس سلاطين الدولة العثمانية توفى سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)

— المحامى ، محمد فريد : تاريخ الدوله العليه ، ص ١٤٩ .

(٤) السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ٢ ص ٣٤٣ .

قصيدة يمدح بها السلطان بايزيد ومنها قوله :

فيا راكبا يسرى على ظهر ضامر .. الى الروم يهدى نحوها طيب البشر (١)

وقد يكون ذلك بأمر من الشريف محمد بن بركات حاكم الحجاز مما كان يزعج الدولة المملوكية .

هذا وقد قام جم أخو السلطان بايزيد بأداء فريضة الحج بعد خصومته مع أخيه سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م ، فكرمه شريف مكة المكرمة محمد بن بركات. (٢)

وعند ما تولى السلطان سليم الأول نراه يتفقد أهل الحرمين الشريفين ويبعث بالكثير من الصدقات والأموال الى الحجاز ، لتوزع على فقراء الحرمين الشريفين . (٣)

ومن الملاحظ أن علاقة أشراف الحجاز بالعثمانيين قبل استيلائهم على الحجاز ، كانت علاقات حسنة تتسم بالود والفرحة بانتصارات العثمانيين على الاوروبيين ثم بعد استيلاء العثمانيين على الشام ومصر ، نجد أن الحجاز يدخل سلميا في طاعة العثمانيين . وهذا يدل على الصلة الوثيقة بين أشراف الحجاز والعثمانيين .

---

(١) العصامى ، عبد الملك : درر الفوائد ، جـ٤ ص ٦٨.

(٢) السيوطى ، الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر : تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ، مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ، ص ٥١٦.
— اصاف ، عزتلو يوسف بك : تاريخ سلاطين آل عثمان من أول نشأتهم حتى الآن ، دار النشر ابراهيم فارس صاحب المكتبة الشرقية فى مصر ، المطبعة العمومية ، مصر ، ص ٤٩.

(٣) القطبى ، عبد الكريم : تاريخ البلد الحرام ، ص ١٠٦.

الفَصْلُ الثَّانِي

التَّهْدِيدُ الصَّلِيبِيُّ البُرْتُغَالِي لِلْحِجَازِ

الفصـــل الثانـــــى

التهديد الصليبى البرتغالى للحجــاز

١ ـــ هدف البرتغاليين من الالتفاف حول رأس الرجاء الصالح :

ان الحروب الصليبية التى بدأت سنة ٤٩٠ هـ ـــ ١٠٩٦م ، لم تنتـــه بطرد المسلمين للصليبيين من أخر معقل لهم فى أرض الشام ، بل فى الحقيقـــة استمرت بعد ذلك بفترة زمنية قصيرة ، فلقد كان دعاة الحروب الصليبية يضعـــون الخطط ويتقدمون بالآراء ، عن الكيفية التى ينبغى لدول أوربا أن تهاجم بهـــا العالم الاسلامى ، وأهم دعاة الحروب الصليبية فى أواخر القرن السادس وأوائـــل القرن السابع الهجرى ، أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشـــر الميلادى ، كان ريموند لول ، الذى وضع خطة فى سنة ٧٠٥ هـ ـــ ١٣٠٥م ، نادى فيها بالعمل على كسب المسلمين وطوائف المسيحيين الشرقيين والهراطقـــة الى معسكر الكنيسة الغربية ، عن طريق التبشير ، مع ارسال حملة قوية الى الشرق ، عن طريق أسبانيا بعد طرد المسلمين منها ، ثم الى شمال أفريقيه ، ثم منها الـــى تونس ومصر ، ويساعد الأسطول الصليبى هذه الحملة من قاعدتين فى مالطة وردوس.(١)

ثم تلى ذلك فى القرن السابع الهجرى ، الرابع عشر الميلادى ، داعـــى آخر من دعاة الحروب الصليبية هو مارينو سانودو البندقى الأصل ، الذى عمـــل كتابا عن أحوال الأرض المقدسة ، حدد فيه ثلاث خطوات للقيام بحرب صليبية علـــى العالم الاسلامى ، والخطوات الثلاث هى :

أولا : اضعاف مصر اقتصاديا .

ثانيا : احتلال مصر حربيـــا .

ثالثا : الاستيلاء على الأراضى المقدسة بالشام والاقامة فيها .(٢)

---

(١) د. عاشور، سعيد عبد الفتاح : الحركة الصليبية ، صفحة مشرقة من تاريـــخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الأنجلـــو المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٨٢ ، جـ ٢ ص ١١٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، جـ ٢ ص ١١٣٩ .

ولقد تزعمت دولتي البرتغال والأسبان الحرب الصليبية ضد العالم الاسلامي ، بعد أن استطاعا اخراج المسلمين من الأندلس ، ثم انطلقا وراءهم حسب مخطط مدروس يريدون حصارهم من كل الجهات .(١)

ولقد نشطت البابويه كثيرا ضد العالم الاسلامي في ذلك الوقت ، عن طريق دعوة ملوك أوربا الى مؤازرتها لمواجهة الاسلام ، وضده عن أوربا ، عن طريق مهاجمة الدول الاسلامية ،(٢) وبخاصة بعد أن هددت الدولة العثمانية كبرى الدول الاسلامية في ذلك الوقت أوربا بأكملها ، بعد استيلاء السلطان العثماني محمد الفاتح على القسطنطينية العاصمة الثانية للمسيحية في العالم بعد روما سنة ٨٥٧ هـ — ١٤٥٢ م ،(٣) فقام ملك البرتغال خوان الثاني في سنة ٨٩٢ هـ — ١٤٨٧ م بمحاولات منه للاطلاع على أحوال البلاد الاسلامية ، والتعرف على امكانية وجود مسيحيين يساعدونه في حروبه ضد العالم الاسلامي ، ومعرفة الطرق التي توصل الى الهند ، لمحاصرة المسلمين من ناحية الجنوب ، اقتصاديا ثم عسكريا وعهد بذلك الى بدرودى كوفلها ، وزميلا له يدعى الفونسودى بايفا وهما يهوديان ، وطلب منهما البحث أيضا عن مملكة القس يوحنا ، الذى كان منتشرا عنه في أوربا أنه ملكونا دولة مسيحية في مكان ما في الأرض ، قد تكون في الصين أو الهند ، أو الحبشة .(٤)

---

(١) شاكر،محمود : المسلمون في بوروندى ، الطبعة الأولى ، المكتب الاسلامي بيروت سنة ١٣٩٨ - ١٩٧٨ ، ص ٢١ .

(٢) الرمال،غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ٢٠ .

— د . دياب،أحمد ابراهيم : لمحات في التاريخ الافريقي الحديث ، الطبعة الأولى ، دار المريخ الرياض ، سنة ١٩٨١ م — ١٤٠١ هـ ، ص ١١٠ .

(٣) العصامي عبد الملك بن حسين : سمط النجوم ، جـ ٤ ص ٦٧ .

— سعيد، أمين : الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ، دار الكاتب العربي ، ص ٢٧ .

(٤) الشناوى،د . عبد العزيز محمد : أوربا في مطلع العصور الحديثة ، الطبعة ==

ويقال أن رجلا آخر سبق هؤلاء سنة ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م ، يدعى بيترد ى كويلان ، روى أنه زار مكة المكرمة والمدينة المنورة كمسلما لأداء المناسك .(١)

وفى سنة ٩٠٩ هـ / ١٥٠٣ م ، قام لود فيكودى فارتيما البولندى الأصل برحلته الى داخل جزيرة العرب ، وقد شارك هذا البولندى الذى يعتبر جاسوسا للبرتغال مع الجيش البرتغالى فى حروبه ضد المسلمين ، ولقد كان الغزو البرتغالى لشمال العالم الاسلامى وجنوبه بحرا ، فلقد استخدم البرتغاليون فى سفنهم الحربية كل ما أنتجه المسلمون من علم ومعرفة فى العلوم البحرية ويمكن القول أنه لم يعثر قبل سنة ٩٤٨ هـ / ١٥٤١ م على خريطة ترجع أصلا الى البرتغاليين .(٢)

ولقد استطاع اليهود نقل الكثير من المعلومات الجغرافية الاسلامية من الأندلس الى بقية دول أوربا ، ثم بعد سقوط الأندلس فى أيدى المسيحيين ،ترجم اليهود المؤلفات الاسلامية فى الكثير من العلوم ، وخاصة علوم البحار الى الأسبانية ولقد استخدم البرتغاليون اليهود كجواسيس وعملاء لهم فى المشرق الاسلامى لمعرفتهم للغة العربية ومعايشهم لها ، لتزويدهم بأحدث المعلومات الحربية ، ففى سنة ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨ م ، قام جواسيس اليهود الذين يتقنون اللغة العربية برحلة الى مصر لجمع المعلومات فيما يتصل بالبحث عن مملكة القديس يوحنا كما ذكرنا .(٣)

== الرابعة ، مكتبة الانجلو المصرية ، سنة ١٩٨٢ م ، ص ١٢٠ .
- فوزى ، د حسين : أثر العرب والاسلام فى النهضة الأوربية ، اعداد واشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، سنة ١٩٧٠ م ، ص ٣٣٢ .
- بيرين جاكلين : اكتشاف جزيرة العرب خمسة قرون من المغامرة والعلم نقله الى العربية قدرى قلعجى ، قدم له الشيخ حمد الجاسر ، دارالكاتب العربى ، ص ٣٧ .

(١) الصياد ، د محمد محمود : الرحالة الأجانب فى الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر ، مجلة المؤرخ العربى ،العدد الرابع عشر ،سنة ١٩٨٠م ص ٤٨

(٢) البحراوى ، محمد: فتح العثمانيين ، عدن ، ص ٥٦ .

(٣) محمود ، د حسن أحمد : التهديد البرتغالى لسواحل العرب ومصادر دراسته . =

ولعل خدمة اليهود التى قدموها للبرتغاليين ترجع منذ ذلك الزمن الى أملهم فى تكوين دولة لهم ، هذا بالاضافة الى حبهم جمع الأموال ، وحقدهم المتأصل على المسلمين .

ولقد كان هنرى الابن الثالث للملك يوحنا الأول ملك البرتغال ، مغذى منذ أيام طفولته الأولى بحقد مرير للاسلام ، بحيث جرد حملة عسكرية على المسلمين وهو بعد صغير السن ، فقام بمهاجمة مدينة سبتة بشمال أفريقيا سنة ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م ، واستطاع الاستيلاء عليها .(١)

وهذا كان أول هجوم على دول الاسلام بشمال أفريقيا ، ثم قام بحملة أخرى على مدينة طنجة سنة ٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م ، ولكنها لم تنجح ، وكان هدفه وضع خطة لتطويق العالم الاسلامى من الشمال والجنوب ، فتجرد لدراسة الملاحة البحرية ، وكان من المتصلين به رجل اسمه يهوذا فريسقوس ، يعرف باسم الأستاذ المعلم جاكومى ، وأسس مدينة لتعليم الملاحين وحسن من صنع السفن .(٢)

== مجلة العرب ، ج ٧ - ٨ ، محرم وصفر ١٣٩٨ هـ / يناير فبراير ١٩٧٨م ، ص ٥٩٩ .

— صيرفى، نوال : النفوذ البرتغالى فى الخليج ، ص ٨١ .

(١) الناصرى ، أبو العباس أحمد بن خالد : كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصرى ، محمد الناصرى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، سنة ١٩٥٥م ، جـ ٤ ، ص ٩٢ .

— بانيكار ، ك م : آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة أحمد خاكى ، دار المعارف بمصر ، ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥ ، ص ٢٧ .

وفى سنة ٨٥٩ هـ / ١٤٥٤ م ، تلقى هنرى الملك البرتغالى ، الشهير بالملاح من البابا نيقولا الخامس تفويضا له ، بأن له الحق فى جميع الكشوف التى يكتشفها حتى بلاد الهند ، أو بالأصح أن له الحق فى جميع البلاد التى يستعمرها حتى بلاد الهند ، ما دام ينشر فيها المسيحية ويقضى على البلاد الاسلامية ، وفيما يلى بعض ما جاء فى ذلك المرسوم :

" أن سرورنا العظيم أن نعلم أن ولدنا هنرى أمير البرتغال ، اذا يترسم خطى والده العظيم الملك يوحنا ، واذ تلهمه الغيرة التى تملأ الأنفس كجندى باسل من جنود المسيح ، قد دفع باسم الله الى أقصى البلاد وأبعدها عن مجال علمنا ، كما أدخل بين أحضان الكاثوليكية الغادرين من أعداء الله وأعداء المسيح أمثال العرب والكفرة " (١) .

وفى سنة ٨٦١ هـ / ١٤٥٦ م ، أصدر البابا كاليكستوس الثالث مرسوما بابويا يؤكد المنحة التى وهبها نيقولا الخامس (٢) ، بالاضافة الى مراسيم أخرى أصدرها البابا اسكندر السادس سنة ٨٩٩ هـ / ١٤٩٢ م ، مؤيدة للغزو البرتغالى للعالم الاسلامى (٣) .

ولقد عبر الملك عما نويل الأول ملك البرتغال ، الذى قامت فى عهده أول حملة بحرية الى الشرق فى خطبة طويلة عن أغراض الحملة فقال :

أن الغرض من اكتشاف الطريق البحرى الى الهند ، هو نشر المسيحية والحصول على ثروات الشرق (٤) .

---

(١) بانيكار : أسيا والسيطرة الغربية ، ص ٢٧ .

(٢) بانيكار : أسيا والسيطرة الغربية ، ص ٢٧ .

(٣) صيرفى نوال : النفوذ البرتغالى فى الخليج ، ص ٦٥ .

(٤) سالم ، د السيد مصطفى : الفتح العثمانى الأول لليمن ١٥٣٨ - ١٦٣٥ . ==

وقد قيل أن الصليب والمدفع كانا رمزى القادم الجديد الذى دخل الى الشرق ، هذا ولقد كانت هناك محاولات من جنوه أو البندقية لاكتشاف الطريق الى جنوب العالم الاسلامى ، وذلك سنة ٨٦٠ هـ / ١٤٥٥ م ، عندما قام بحاران من البندقية أو جنوه برحلة لم يصلا فيها الى أبعد من جزر رأس فيرد وهى رأس الرجاء الصالح .(١)

وكانت القوى الصليبية فى غزوها لشمال وجنوب العالم الاسلامى ، تطمع فى أن يكون لها حليف قرب تلك المناطق خاصة فى جنوب العالم الاسلامى ، حيث تبعد المسافة عن قاعدة البرتغال الصليبية ، فكان هنرى الملاح يبحث عن ملك للحبشة يسمى القس يوحنا ، وهذا الاسم لعب دورا كبيرا فى الحروب الصليبية ، فأطلق أولا على رؤساء قبيلة القرايت المسيحية بأسيا الوسطى ، الذين كانوا يتعاونون مع نصارى الغرب للقضاء على الاسلام ، فلما ساد الاسلام فى الأوساط المغولية ، أطلق مسيحوا الغرب هذا الاسم على بعض ملوك الحبشة .(٢)

== الطبعة الثانية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات الاسلامية ، سنة ١٩٧٤ م ، ص ٤٦ .

(١) البهكلى ، عبد الرحمن بن أحمد : نفح العود فى سيرة دولة الشريف حمود ، تكملة الحسن بن أحمد عاكش ، دراسة وتحقيق وتعليق محمد بن أحمد العقيلى ، دارة الملك عبد العزيز الرياض ، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ، ص ١٨ .

(٢) المطوى ، محمد العروسى : الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ ص ١٩٦ .

— الجوهرى، يسرى : الفكر الجغرافى والكشوف الجغرافية ، منشأة المعارف بالأسكندرية ، ص ١٥٧ .

— محمدين ، محمد محمود : الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان ، دار العلوم للطباعة والنشر ، سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ١٨٦ ، ==

وكان مخطط البرتغاليين يتمثل في دخولهم الى البحر الأحمر بعد التفافهم حول القارة الافريقية من ناحيتها الغربية ، ومن ثم الاستيلاء على جده ، ثم الزحف منها على مكة المكرمة لهدم الكعبة المشرفة ، ومن ثمه مواصلة الزحف الى المدينة المنورة لنبش قبر الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام ، ثم مواصلة الزحف الى بيت المقدس حيث المسجد الأقصى .(١)

وفي ثمه وضع ايديهم على تجارة الشرق الاقصى وبذلك يحرمون المسلمين في المورد الاقتصادى الذى كانوا يستطيعون عن طريقه تكوين وتمويل قواتهم العسكرية التي يحاربون بها المسيحيين ،(٢) وبذلك تتضح أهداف البرتغاليين الصليبية والاستعمارية والاقتصادية وكان شعار هذا الغزو الصليب أو المدفع .(٣)

ولقد اعتبر هذا العدوان من الأعمال البطولية ، والاكتشافات الجغرافية العظيمة ، في حين لم يكن هدفه سوى محاربة الاسلام في موطن الاسلام مكة المكرمة والمدينة المنورة .(٤)

== (يقول المؤلف أرسل برستر جون " القديس يوحنا " سنة ٥٦٦ هـ/١١٧٠م خطابا الى البابا في روما والى الامبراطور البيزنطي لتمويل رحلات الاستكشاف والبعثات التنصيرية ومحاربة الكفار ويقصد بذلك المسلمين) .

(١) الشناوى ، عبد العزيز محمد : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها . مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٨٠م ، جـ ٢ ، ص ٦٩٨ .

(٢) عبد ربه ، سعد زغلول : البرتغاليون والبحر الاحمر ، ص ١٠٩ .

(٣) الشناوى ، عبد العزيز : الدولة العثمانية ، جـ ٢ ، ص ٦٩٦ .

(٤) باركر ، سرارنست : تراث الاسلام ، تأليف جمهرة من المستشرقين ، أشرف سير توماس ارنولد ، عربه وعلق حواشيه ، جرجس فتح الله ، الطبعة الثالثة ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٧٨ م ، ص ١٢٢ .

ولم تكن هذه المحاولة لغزو مكة المكرمة والمدينة المنورة هى الأولى من نوعها ، فلقد سبقتها محاولات أخرى ، ففى سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢م عندما استولى الصليبيون على بعض المناطق المطلة على البحر الأحمر مثل أيله ، نجد أحد أمراء الصليبيين وهو أرناط أو رينودى شاتيون أمير حصن الكرك ، يقوم بعمل جرئ وقح ، عندما فكر فى القضاء على السيادة الاسلامية ، وطعن الاسلام والمسلمين بغزو الحرمين الشريفين .

ولقد بنى سفنا أنزلها فى خليج العقبة ، ثم أغار على الموانى الاسلامية فى البحر الأحمر حيث تمكن الصليبيون من النزول على ساحل الحوراء قرب ينبع ، وأصبحوا على مسيرة يوم واحد من المدينة المنورة ، وكان قصدهم نبش قبر النبى الكريم صلى الله عليه وسلم ، وأخذ جسده الشريف الى بلادهم ، فلما علم بذلك السلطان صلاح الدين الأيوبى وكان بالشام ، أمر نائبه على مصر العادل سيف الدين بالاسراع فى تجهيز قائد الأسطول الأمير حسام الدين لؤلؤ الحاجب للقضاء على الصليبيين فى البحر الأحمر ، وتمكن هذا القائد بعد مطاردة الصليبيين أن يوقع بهم عند ميناء عيذاب ، ثم فى شواطئ الحجاز عند ساحل الحوراء ، ثم تعقبهم داخل بر الحجاز ، واستطاع أسر عدد منهم ، فبعث باثنين منهم الى منى وكان موسم الحج قد قرب حيث نحرهما هناك ، وعاد ببقية الأسرى الى مصر .(١)

---

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ ٢ ، ص ٥٤٥ .
— ربيع ، د . حسنين : بحر الحجاز فى العصور الوسطى ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الامام محمد بن سعود ، العدد الأول ، ١٣٩٧ / ١٩٧٧ ، ص ٤٠٣ .
— بيرين ، جاكلين : اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٢٢ .
— حسن ، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، سنة ١٩٦٧م ، ==

أما فيما يقال أن الغزو الصليبى البرتغالى لجنوب العالم الاسلامى ، كان هدفه تحويل مسار التجارة الشرقية التى كانت تمر بالأراضى الاسلامية ، والتى كانت تأتى عن طريق دول المحيط الهندى ، فان صح هذا التعبير فالغرض منه أيضا هو محاربة الاسلام والمسلمين حيث أن اضعاف قوة المسلمين الاقتصادية معناه اضعاف لقوتهم العسكرية فى مصر والحجاز واليمن وغيرها من مناطق العالم الاسلامى ، حتى تستطيع القوات الغازية السيطرة على تلك المناطق الهامة فى الدولة الاسلامية (١) .

ولقد مر اكتشاف البرتغال لطريق بحرى يوصلهم الى جنوب العالم الاسلامى بسنوات عديدة ، وبعدد من القواد الذين تولوا قيادة السفن البرتغالية حتى استطاعوا الوصول الى المحيط الهندى ، وسنذكر تلك المراحل بشيء من الايجاز ، فلقد بدأ البرتغاليون فى أول الأمر باحتلال مراكز معينة على الساحل المراكشى لافريقيا لتلجأ اليها السفن البرتغالية ، مثل سبتة فى سنة ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م ، وقصر المجاز سنة ٨٦٢ هـ / ١٤٥٧ م ، وطنجة سنة ٨٦٩ هـ / ١٤٦٤ م ، هذا بالاضافة الى غيرها من المدن (٢) .

ولقد نجحت حملات الملك هنرى الملاح فى الوصول الى جزر ماديرا وكانارى وآزورو ، وكلها على المحيط الأطلسى فى غرب أفريقيا ، ثم نجح بارثلوميو دياز فى الوصول الى رأس الرجاء الصالح عام ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م ، وفى سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م ، استطاع فاسكو دى جاما أن يكمل الالتفاف البرتغالى حول

== ج ٤ ، ص ١٠٩ .

— قاسم ، د . أنيس : تأملات فى الاحتلالين الصليبى والصهيونى ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، سنة ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥م ، ص٤٦ .

(١) الرمال ، غسان : سراع المسلمين مع البرتغال ، ص ٢٣ .

(٢) الناصرى ، أبو العباس أحمد : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج ٤ ، ص ١١٠ .

الساحل الغربى لأفريقيا ، وأن يصل كلكتا بالهند ، ولقد دهش البرتغاليون عند ما رأوا النفوذ الاسلامى الكبير على ساحل أفريقيا الشرقى ، والمحيط الهندى وسواحل البحر الأحمر ، وساحل الهند الغربى .(١) انظر ملحق رقم (٥) .

وقد اختلف فى اسم الملاح المسلم الذى أرشد فاسكو دا جاما الى طريق الهند فيقال أنه الملاح المسلم العربى أحمد بن ماجد .(٢)

---

(١) دسوقى ، د . محمد كمال : أهمية الحجاز فى مطلع العصور الحديثة ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، مكة المكرمة ، الطبعة الثانية ١٣٩٦ هـ / ١٣٩٧ ، العدد الثانى ، ص ٤١٠ .

Baily w.Diffie and george D.winiue:

Foundation of the portuguess Empire 1415- 1580

London: 1977- 175.

(يقول المؤلف : كان السبب فى طول المدة بين رحلتى بارثلميو دياز عام ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م ، وفاسكو دى جاما ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م عائدا الى عوامل عديدة منها ارسال السفن الى المغرب عام ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠ م بسبب الثورات الأهلية ضدهم والأنشغال بجماعات الجزويت التى خرجت من أسبانيا والقتال الذى دار بينهما فى البرتغال عام ٨٩٨ هـ/١٤٩٢ م وخروج كولمبس فى رحلته الاستكشافية وانتظار التقارير التى وعد بارسالها كوفلهام جاسوس البرتغال الى الشرق) .

(٢) النهروالى ، قطب الدين محمد بن أحمد : البرق اليمانى فى الفتح العثمانى ، الطبعة الاولى ، دار اليمامة ، الرياض ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م ص ١٨ .

ـ ابن ماجد ، أحمد ، ملاح فاسكو دى جاما : ثلاثة أزهار فى معرفة البحار ، تحقيق ونشر شيود ور شو موفسكس ، ترجمة د . محمد منير مرسى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ص ٨٦ (يقول المحقق الذى أرشد دى جاما من مالندى الى كاليكوت ملاحا من الجوزرات يدعى كاناكا والذى أرشد الكل وقاد السفن جميعها هو ابن ماجد) .

==

وتذكر لنا بعض المؤلفات أن أحد الملاحين المسلمين من كجرات يدعـــى قانا ، أو قانقا ، أو كاناكا .(١)

ومهما يكن اسم ذلك الملاح المسلم ، فهذا يدل على مدى تقدم المسلمين فى مختلف أنواع العلوم ومنها العلوم البحرية ، ولم يكن ذلك البحار ليعلم هـــدف البرتغاليين الغزاه ، المتمثل فى الوصول الى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ولم يكد فاسكو دى جاما يتعرف على الطريق الموصله الى الهند حتى نراه فى سنة ٩٠٤ هـ/ ١٤٩٨م ، يهاجم المراكب التى كانت تحمل الحجاج من الهند الى البحر الأحمر ، وصدرت اليه الأوامر من ملك البرتغال فى سنة ٩٠٩ هـ / ١٥٠٢ م ، أن يغلـــق البحر الأحمر فى وجه السفن الاسلامية .(٢)

== ـ الصياد ، د محمد محمود ، أثر العرب والاسلام فى النهضة الأوربيـــة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، سنة ١٩٧٠م ، ص ٣١٨ .
ـ كراموز ، أ ج : تراث الاسلام .
ـ أشرف سير توماس ارنولد : تعريبوتعليق جرجيس ، الطبعة الثالثـــة ، دار الطليعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٧٨م ، ص ١٥٠ .
ـ محمدين ، د . محمد محمود : تساؤلات حول قضية ارشاد ابن ماجـد ، لفاسكو دى جاما الى طريق الهند . مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض المجلد ٦ ، سنة ١٩٧٩م ، ص ٥٩ .
ـ صيرفى ، نوال : النفوذ البرتغالى فى الخليج ، ص ٨٨ .

(١) محمدين ، محمد محمود : الجغرافيا والجغرافيون ، ص ١٩٦ .
ـ فوزى ، د . حسين ، أثر العرب والاسلام فى النهضة الأوربية ، ص ٢٣٦
ـ الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ٦٣ .
ـ محمدين ، محمد محمود : تساؤلات حول قضية ارشاد ابن ماجـــد ، ص ٥٧ - ص ٦٠ .

(٢) طرخان ، ابراهيم على : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسه ١٣٨٢ — ١٥١٧ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص ٢٩١ .

هذا وقد حاولت دولة المماليك بمصر السيطرة على معظم البحر الأحمر والمستفيدة من التجارة الشرقية اضافة لكونها من الدول الاسلامية الكبرى في ذلك الوقت أن تجعل البرتغاليين يعدلون عن نواياهم العدوانية وذلك حينما بعث السلطان المملوكي قانصوه الغوري في سنة ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م ، وسنة ٩١٣ هـ / ١٥٠٧م برسائل احتجاج وتهديد الى البابا وملكي أسبانيا والبرتغال اللتين كانتا تقودان الهجوم الأوربي ضد العالم الاسلامي وغيره من المناطق .

ولم تكتفي بالاحتجاج وانما هدد الغوري بهدم كنيسة القيامة ومنع الحج الى الأراضي المقدسة في فلسطين اذا لم يكف البرتغاليون عن مواصلة هجومهم [١] ، ولكن ذلك التهديد لم يوقف عطهم العدائي للمسلمين وفي ذلك يقول المؤرخ عبد الرحمن الديبع ، أنه في سنة ٩١٢ هـ / ١٥٠٦ م قويت شوكة الافرنج وحصل على المسلمين منهم ضرر في ناحية الهند وهرمز [٢] .

كما بعث البابا يوليوس الثاني الى الملك عما نويل البرتغالي يطلب منه ايقاف هجومه في المحيط الهندي ، حتى تتحسن علاقات دول البحر المتوسط الأوربية مع دولة المماليك ، فرد عليه الملك البرتغالي بقوله :
(أنه سيجاهد في سبيل المسيحية حتى يجعل من مكة هدفا لمدافعه وجنوده [٣]) .

---

(١) فهمي ، نعيم زكي : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، أواخر العصور الوسطى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المكتبة العربية ، سنة ١٣٩٣ / ١٩٧٣م ، ص ٣٠ .

(٢) الديبع الشيباني ، وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر : قرة العيون في أخبار اليمن الميمون ، مخطوط ، ص ١١٠ .

(٣) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ٩٨ .

ولكن لم يستطيع البرتغاليون فى أول الأمر تنفيذ أغراضهم الصليبيـــة لانشغالهم فى تثبيت قواعدهم ، الى أن تولى أحد قادتهم ويسمى البوكرك منصب نائب الملك البرتغالى فى الهند سنة ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م (١) .

فسار لمهاجمة عدن عند مدخل البحر الأحمر الجنوبى سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م فاستعد السلطان عامر بن عبد الوهاب سلطان الدولة الطاهرية باليمن للدفـاع عنها ، فلم تنجح الحملة البرتغالية ، فاتجه البوكرك الى باب المندب ، واستطـاع الاستيلاء على جزيرة كمران فى سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م ، ومن هناك حاول البوكـرك الهجوم على جده ، ولكن الله سبحانه وتعالى بعث عليهم ريحا اضطرته الى الرجوع الى كمران ، ثم عاد منها الى الهند (٢) ، وأسلم لله ، أهل الحجاز القتـال ، قال تعالى : (يا أيها الذين أمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، اذ جاءتكم جنـودا فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعلمون بصيرا) (٣) ، وقوله تعالـى (وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) (٤) .

ولقد تمكن القائد البوكرك فى فترة تولية منصب نائب الملك فى الهنـد أن يستولى على عدد من الجزر والمدن المهمة ، مثل سوسطره فى المحيط الهنـدى ، وجزيرة هرمز ، وما وطد البوكرك هو معاهدة الصداقة التى عقدها مع الشـاه ،

---

(١) الرمال ، غسان ، صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ٩٨ .
Bailey Winius : Foundations of the Portuguese Empire-248.
(يقول المؤلف : عمل البوكرك منذ كان يافعا على محاربة الاسلام) .

(٢) الديبع ، عبد الرحمن : قرة العيون ، ص ١١٢ .
ـ سالم ، د . السيد مصطفى : الفتح العثمانى الأول لليمن ، ص ١٠ .

(٣) سـورة الأحزاب الايـة ٨ .

(٤) سـورة الأحزاب الايـة ٢٥ .

اسماعيل الصفوى سلطان الدولة الصفوية المعادية للدولة العثمانية فى ذلك الوقت، لاختلاف المذهب فيما بينهم ، (١) اضافة الى الصراع الحدودى بينهما الذى نتج عنه عدة صدامات فى أيام بايزيد الثانى ثم بعد ذلك ابنه سليم الأول . (٢)

ولقد بعثت الدولة المملوكية بقائدها حسين الكردى فى حملة ضد البرتغاليين فعمد الى تحصين جده ببناء سورا حولها ، (٣) بمساعدة حاكم الحجاز آن ذاك الشريف بركات الثانى بن محمد الذى كان يشرف بنفسه على ذلك المشروع الدفاعى العظيم . (٤)

وقد وصلت الحجاز مساعدات من سلطان جوجيرات كوجرات ، محمد محمود شاه وغيره من أمراء الهند لخوفهم على الأماكن المقدسة ، وأنزل الكردى ، بعض الوحدات المملوكية فى ينبع لحمايتها من البرتغاليين . (٥)

---

(١) جمعه ، د . بديع ، الخولى ، د . أحمد : تاريخ الصفويين وحضارتهم ، الطبعة الأولى ، دار الرائد العربى ، سنة ١٩٧٦م ، جـ ١ ، ص ٩٥ .

(٢) المحامى ، محمد فريد بك : الدولة العليا العثمانية ، ص ١٨٩ .

(٣) الطبرى ، محمد بن على بن فضل : أتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٥٨ .
- النهروالى ، قطب الدين : البرق اليمانى ، ص ١٩ .
- ابن فرج الشافعى ، عبد القادر أحمد : السلاح والعدة فى تاريخ جده ، ص ١٧ .
- يعقوب ، أحمد بن محمد : السلاح والعدة فى تاريخ بندر جده ، ص ٨ .
- الحضراوى ، أحمد بن محمد : الجواهر المعده ، ص ٤٨ .
- البتنونى ، محمد لبيب : الرحلة الحجازية ، ص ٦ .

(٤) يعقوب ، أحمد بن محمد : السلاح والعدة فى تاريخ بندر جده ، ص ٤٠ .
- ابن فرج الشافعى ، عبد القادر بن أحمد بن محمد : السلاح والعده فى تاريخ جده ، ص ٢٣ .

(٥) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٠١ .

ثم بعد ذلك سنة ٩١٢هـ/١٥٠٧م ، توجه الكردى من جده الى الهند مارا بعدن فوصل فى سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م .(١)

وسار نحو جزيرة ديو قرب جوجيرات ، وانضم اليه أمير ديو مالك أياس بأسطوله والزامورين حاكم معظم مليبار ، ثم تقابل الأسطولان الاسلامى بقيادة الأمير حسين الكردى والصليبين بقيادة لورثرودى الميدا وانتهت المعركة بانتصار الأسطول المملوكى والقوة الهندية ومقتل القائد البرتغالى ، ولكن الكردى لم يستغل انتصارهم ضد البرتغال بمهاجمة قواعدهم ، فقوى البرتغاليون أسطولهم بعد وصول الامدادات اليهم ، وتولى قيادة أسطولهم دياجو لويزدى ، وفى ديو اشتبك الكردى مع البرتغاليين مرة أخرى ، وهاجم نائب الملك فى الهند فرانسسكو دالميدا الأسطول المملوكى فى عرض البحر ، وحلت الهزيمة بالأسطول المملوكى فتراجع الكردى الى جده خوفا عليها من البرتغاليين .(٢)

ولكن المماليك قاموا مرة أخرى ببناء أسطول جديد بمعونة من الدولة العثمانية لمهاجمة البرتغاليين فى المحيط الهندى وذلك سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م ، وتولى حسين الكردى أيضا القيادة ويساعده سلمان الريس ، ولكن الخلاف وقع بين الكردى وسلطان الدولة الطاهرية باليمن عامر بن عبد الوهاب ، وبدلا من أن يهاجم الأسطول المملوكى البرتغال نجده يقوم بمهاجمة اليمن .(٣)

---

(١) الديبع ، عبد الرحمن : قرة العيون ، ص ١١٠ .
— الكبيسى ، بدر الدين محمد بن اسماعيل : اللطائف السنة فى أخبار المالك اليمنيه ، ص ٥٨ .
— اليمنى ، عيسى بن لطف الله : روح الروح ، ص ١٣ .

(٢) المعبرى ، زين الدين : تحفة المجاهدين ، ص ١٦ .
— الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٢١ .

(٣) الكبيسى ، محمد : اللطائف السنية ، ص ٦٩ .
— الوزير ، عبد الله : جامع المتون ، ص ١٣٨ .

ووقع الخلاف أيضا بين الكردى وسلمان الريس ، وعاد كلا منهما الى جده منفصلا بجزء من الأسطول ، وكان على الكردى والريس الاتحاد فيما بينهما ومسايرة الدولة الطاهرية بدلا من حربها ، والتفرغ لحرب البرتغاليين المستعمرين الحاقدين ، ومما يدل على حقدهم على الاسلام قول البوكرك فى خطبة ألقاها على رجاله سنة ٩١٧ هـ/ ١٥١١م قوله بأنه سيقدم خدمة جليلة الى الله بطرد العرب من هذه البلاد ، وباطفائه شعلة محمد صلى الله عليه وسلم ، بحيث لا يندلع لهبها هنا بعد ذلك لهيب ، وأنه على يقين أن مكة والقاهرة ستصبحان أثر بعد عين[١] .

وفعلا عاد الأسطول البرتغالى لمهاجمة جده مرة أخرى فى سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧م ، بقيادة لوبوسواريز خليفة البوكيرك ، فاستعد حسين الكردى وسلمان الريس لمواجهته ، وطاردا البرتغاليين حتى جزيرة كمران ، وأستوليا على واحدة من سفنهم ، وأرسلا الأسرى الى السلطان سليم العثمانى ، الذى استطاع فى ذلك الوقت القضاء على الدولة المملوكية وخضعت الحجاز للسيادة العثمانية الاسمية سلميا حيث لم يرث فقط الاراضى المملوكية بمصر والشام بعد سقوطها وانما ورث ايضا الصراع مع البرتغاليين الذين أخذوا يهددون الأماكن المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة بالحجاز وغيرها من البلاد الاسلامية حيث لم تستطع الدولة المملوكية بردعهم لما كانت تعانيه من ضعف ومشاكل داخلية وخارجية ،[٢] قال تعالى :

(وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا)[٣] .

---

(١) سعداوى ،نظيرحسان : دولة البرين والبحرين ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٣ ، القاهرة ١٩٦٧م ، ص ١٦٢ .

(٢) صيرفى ، نوال : النفوذ البرتغالى فى الخليج ، ص ١٦١ .

(٣) سورة الفرقان آيه ٣٠ .

٢ ـ الحبشة والبرتغال والتفكير الصليبي العدواني على الأماكن المقدسة :

أما عن دور الحبشة في مساعدة الصليبيين الغربيين الذين كانت نيتهم غزو المناطق المقدسة الاسلامية في الحجاز ، فيمكن استعراضه فيما يلي :

لقد انتشر الاسلام في بلاد الحبشة وقامت فيها العديد من الامارات الاسلامية عرفت باسم الطراز الاسلامي ، وفي القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ، تمكنت تلك الامارات من تأسيس حلف اسلامي ، كانت له قواه السياسية والاقتصادية ، لسيطرته على تجارة البحر الأحمر والمحيط الهندي ، لأن تلك التجارة كانت في أيدي المسلمين (١) .

وبعد أن استطاع المسيحيون استعادة تولي السلطة في الحبشه ، بعد حروبهم ضد اليهود والتي استمرت من سنة ٣١٣ هـ/ ٩٢٥م الى ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م، أخذوا يسيئون الى الاسلام والمسلمين في عهد ملكهم يكونوا ملاك وخلفائه ، حتى أن الملك اسحق بن داود الذي تولى العرش سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م ، استقدم قوما من البرتغاليين أنشئوا في تلك البلاد مصانع للسلاح ، واستطاع هذا الملك أن يحرز عددا من الانتصارات على المسلمين في الحبشه ، ويراسل ملوك أوربا طالبا منهم المساعده ، وأن يقوموا بشن حرب صليبية على البلاد الاسلامية (٢) .

---

(١) حسن ، يوسف فضل : الجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ، من العرب وأفريقيا ، بحوث ومناقشات الندوه الفكريه التي نظمها مركز دراسات الوحده العربيه بالتعاون مع منتدى الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، مركز دراسات الوحده العربيه بيروت ، سنة ١٩٨٤م ، ص ٣٠ .

(٢) الاثيوبي ، أبو أحمد : الاسلام الجريح في الحبشه بلاد النجاشي أرض الهجره الأولى ، ص ٣٦ .

والعلاقة بين الحبشه والصليبيين فى أوربا ترجع الى قبل ذلك بكثير ، حيث كانت هناك اتصالات فيما بين قادة الحروب الصليبية الأولى وبين ملوك الحبشه المسيحيين ،لوضع خطط تعاون فيما بينهم لغزو الحجاز والاستيلاء على الأماكن المقدسه الاسلامية .(١)

وكانت للأحباش علاقات بأوربا عن طريق دير فى بيت المقدس ، يحجون اليه ، وعن طريقه كانت لهم صلات بمسيحى أوربا ، الذين عرفوا أن هناك مسيحيين فى جنوب العالم الاسلامى ، هذا بالاضافة الى المراسلات والزيارات التى كانت بين الحبشه وأوربا ، ويقال أن أول من كتب الى القديس يوحنا ملك الحبشه ، هو ملك انجلترا ، هنرى الرابع ، وفى مؤتمر فلورنسا الذى عقد عام ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م شارك الأحباش فيه ببعثتين دينيتين عن طريق القاهرة والقدس .(٢)

ولقد حرصت البابويه منذ أوائل القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى على تقوية صلاتها بالحبشه ، فقام وليم آدم الراهب الدمينيكانى فى سنة ٧٠٥ هـ/ ١٣٠٥م ، برحلة زار فيها شرقى افريقيه والحبشه ، وفى سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٦م ، أرسل البابا يوحنا الثانى والعشرين سفارة من الدومنيكان الى الحبشه ، ولكن تلك السفارة وقعت فى أيدى المماليك ، بالاضافة الى سفارة أخرى وقعت فى أيدى المماليك أيضا فى سنة ٦٣٧هـ/ ١٦٢٨م .(٣)

---

(١) غيث ، فتحى : الاسلام والحبشه عبر التاريخ .
شركة الطباعة الفنية المتحدة ، القاهرة ، ص ١٠٣ .

(٢) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ٧٦ .

(٣) غيث ، فتحى : الاسلام والحبشه ، ص ١٠٣ .

ولقد فكر ملك الحبشة اسحق الأول فى القيام بحملة صليبية ضد المماليك فى مصر للقضاء عليهم ، ومن ثمة مهاجمة الحجاز ، وكتب الى ملوك أوربا فى سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م ، يدعوهم الى مشاركته ، وكان رسوله الى ملوك أوربا تاجرا فارسيا مسلما شيعيا اسمه نور الدين التبريزى ، وكانت خطته مهاجمة مصر بحرا من الشمال وبرا من الجنوب ، ولكن المبعوث المذكور وقع فى قبضة سلطان مصر برسباى فقتله . (١)

ومن اسم المبعوث المذكور وبلاده يتضح لنا أن هناك علاقات بين فارس والحبشة فى ذلك الوقت ، لعلها تكون علاقات تجارية أدت الى تعاون للقضاء على الدولة المملوكية المخالفة فى المذهب للدولة الفارسية ، والمسيطرة على التجارة فى المحيط الهندى .

ومما سبق يتضح لنا أن العلاقات بين أوروبا والحبشة كانت قائمة قبل وصول البرتغاليون الى رأس الرجاء الصالح ، حينما سمى بالكشوف الجغرافية ، وأن وصول البرتغاليون الى رأس الرجاء الصالح لم يكن على قدر كبير من الأهمية ، لوجود مثل هذه العلاقة بين البرتغاليين والاحباش بالاضافة الى أن علماء المسلمين البحريين كانت لهم الكثير من الكشوف والكتابات حول الساحل الشرقى لافريقيا ، هذا وقد يكون للحبشة المسيحيه دور فى ارشاد القراصنة الصليبيين الى طريق رأس الرجاء الصالح ، وقد يكون هناك تحالف برتغالى حبشى قبل الغزو البرتغالى لجنوب العالم الاسلامى ، حيث نجد أن هناك مبعوثون من قبل ملوك البرتغال الى افريقيا فى سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م وكذلك فى سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م ، حيث بعث ملك البرتغال مبعوث يسمى كوفلهام الى افريقية . (٢)

---

(١) عاشور ، د . عبد الفتاح : الحركة الصليبية ، جـ٢ ص ١١٥٠ .
— طرخان ، ابراهيم على : مصر فى عصر دولة المماليك ، ص ١٥٤ .
(يقول المؤرخ أن اسم الملك المذكور هو زرء يعقوب) .

(٢) صيرفى ، نوال : النفوذ البرتغالى فى الخليج ، ص ٧٠ .
عاشور ، د . عبد الفتاح : الحركة الصليبية ، جـ٢ ص ١١٥٣ .

ويرجع سبب دوران البرتغاليين حول افريقيا للوصول الى جنوب العالم الاسلامى ، يرجع الى أن الطريق البرى الموصله لجنوب العالم الاسلامى كانت مقفلة أمامهم ، لوجود القوى الاسلامية فى شمال أفريقيا ، والتى كانت تقاوم الهجوم الصليبى على أيدى مجاهدين أبطال من أمثال خير الدين بربروسا [١] وغيره ، والتى كانت الدولة العثمانية تقوم بتقديم المساعدات العسكرية والمالية لهم ، فلم تستطع القوى الصليبية اختراق تلك المنطقة للوصول الى الحجاز ، لتستولى على الأماكن المقدسة الاسلامية وعلى القدس الشريف، اضافة الى مراكز التجارة الشرقية فكان أن تحالفت مع المملكة المسيحية فى الحبشه لتساعدها فى القضاء على الاسلام ،بمهاجمة من الجنوب بدلا من الشمال ، والقضاء على دولة المماليك التى كانت فى ذلك الوقت لها السيادة على الحجاز . [٢]

ولقد حاول مسلموا الحبشه منذ أن عرفوا النية العدوانية ضد الحجاز ومصر أن يقاوموا ذلك العدوان الصليبى ، حيث وصل الى مصر قاضى مدينة سواكن فى سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م ، وأخبر السلطان المملوكى جقمق أن ملك الحبشه زرء يعقوب أو الملك اسحق الأول قد أعد أسطولا بحريا مكونا من مائتى سفينة لغزو سواحل الحجاز . [٣]

---

(١) بربروسا ، خير الدين ، مجاهد اسلامى استطاع توجيه ضربات قوية للساحل الأسبانى وعمل جهده لانقاذ الاف المسلمين أصبح رئيسا للأسطول العثمانى فى عهد سليمان القانونى .
— الشناوى ، د . عبد العزيز محمد : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، جـ ٢ ، ص ٩١٤ .

(٢) مؤنس ، حسين : الشرق الاسلامى فى العصر الحديث ، الطبعة الثانية المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، مطبعة حجازى بالقاهرة ،سنة ١٩٣٨ ،ص٤٠ .

(٣) طرخان ، ابراهيم على : مصر فى عصر دولة المماليك ، ص١٥٩ .

وكان ذلك فى أثناء الحملات المملوكية ضد قبرص سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م ، وكانت مملكة عدل الاسلامية مسيطرة على أقليم هرر وطرق الحبشه الى البحر الأحمر.

وقد قامت دولة المماليك فى مصر على تشجيع الامارات والممالك الاسلامية فى الحبشه وشرق افريقيا على محاربة ملوك الحبشة المسيحيين ،[١] ولكن المملكة المسيحية فى الحبشه استطاعت أن تنشر المسيحية فى الحبشه ، وأن تتغلب على القوى الاسلامية فيها .

وكانت تلك القوى الاسلامية كثيرا ما تطلب المساعدات فى الدول الاسلامية فى اليمن والمماليك فى مصر ،[٢] وأستمرت الحرب بينها وبين المسيحيين فى الحبشه سجالا الى أن وصل البرتغاليون الى المحيط الهندى ، فحاولت الملكة هيلانه الوصية على ابنها الملك أنباد نقل أن تقوم البرتغال بمساعدتها لأن الممالك الاسلامية فى الحبشه كانت تقاوم المسيحية ، وفى بادئ الأمر بعثت مبعوثا من طرفها يسمى ماثيو الى نائب الملك البرتغالى فى الهند البوكرك سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م للحصول على مساعدات ضد المسلمين فى الحبشه .[٣]

ولقد طلبت هيلانه من الملك البرتغالى أن يزوج بناته لأبنائها لتقوية العلاقات بين القوتين الصليبتين ، وعاد السفير سنة ٩٢٧هـ/١٥٢٠م ، ومعه مبعوث برتغالى يسمى دون روور يجودى ، ولكن المبعوث الذى بعثته هيلانه مات

---

(١) سالم ، د. السيد مصطفى : الفتح العثمانى الاول لليمن ، ص ٦٩ .
(٢) حسن ، يوسف فضل : الجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ، ص ٣٠ .
(٣) سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثمانى الاول لليمن ، ص ٦٩ .
— دسوقى ، محمد كمال : أهمية الحجاز فى مطلع العصور الحديثة ، ص ٤١٤ .

بعد عودته من البرتغال دون أن يقابل الملكة هيلانه ، وبقى المبعوث البرتغالى فى الحبشه حوالى خمسة أعوام ، لوضع خطة تهدف لتحويل مجرى النيل عن مصر ، والقيام بهجوم على مصر والحجاز بمشاركة ملوك فرنسا وأسبانيا والبرتغال ، غير أن الخطة لم تنجح ، لأن البرتغال كانت تتبع البابا فى روما وأرادت أن تجعل الحبشه تتبع البابا فى روما ايضا ، بدلا من تبعيتها للكنيسة المرقسيه فى مصر فقاوم الأحباش هذه الفكرة . (١)

وقد عاد المبعوث البرتغالى لدى الحبشه الى ملك البرتغال بخطابين أعربت عن رغبة الحبشه فى قيام تعاون بينها وبين البرتغال ، ولكن لم تعلن عن الرغبة فى الاشتراك مع البرتغال فى حرب المسلمين ، لخوف الاحباش فى نشر المذهب المسيحى البرتغالى فى بلاد الحبشة . (٢)

فحاولت هيلانه أن تظهر نفسها بالصديقة للممالك الاسلامية فى الحبشة حتى ترى لمن ستكون الغلبه فى الصراع الدائر بين القوى الاسلامية الممثلة فى ذلك الوقت بالدولة المملوكية والدولة العثمانية ، والقوى الصليبية الممثلة بدولة البرتغال حيث أنها لم تكن ترغب فى أن يسيطر البرتغاليون سيطرة تامة على الموقف فى المحيط الهندى والبحر الأحمر ، وذلك لاختلاف المذهب فيما بين مملكتها ومملكة البرتغال الاستعمارية حيث أن مملكة الحبشة تتبع الكنيسة المرقسية فى مصر ،

---

(١) عبد الجليل ، الشاطر بصيلى : الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال فى المحيط الهندى وشرق افريقيا والبحر الأحمر ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٢ ، سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥ ، ص ١٣٢ .

(٢) عبد ربه ، د . سعد زغلول : البرتغاليون والبحر الأحمر ، مجلة الداره العدد الثانى ، السنة السادسة ، ربيع أول ١٤٠١ هـ ، يناير ١٩٨١م ، ص ١١٨ .

والبرتغال تتبع الكاثوليكية الخاضعة للبابا فى روما .[١]

ومما سبق يتضح لنا أن للحبشة المسيحية دورا كبيرا فى محاولة مهاجمة مصر والحجاز . فلقد استطاع البرتغاليون مهاجمة سواحل الحجاز ابتداء من عام ٩١١ هـ/١٥٠٥م ، وعبثوا بمراكب الحجاج والتجار المسلمين ، وعمل البرتغاليون على تحطيم القوى الاسلامية فى الهند ، وسعوا الى النفوذ داخل البحر الأحمر للنزول فى الحجاز بالتحالف مع الحبشة ،[٢] الى أن قبل حاكم الحجاز السيادة العثمانية الاسمية على الحجاز سلميا بعد سقوط الدولة المملوكية بالشام ومصر حيث عملت الدولة العثمانية على اغلاق البحر الأحمر فى وجه الغزاة بعد الهجوم الذى قام به الصليبيون على جده فقام بصدهم الشريف محمد أبو نمى الثانى بن بركات الثانى حاكم الحجاز سنة ٩٤٨ هـ/١٥٤٢م ، حيث رابط بنفسه فى مقدمة قوته حتى فشلت المحاولة الصليبية واضطرهم للانسحاب فى الوقت الذى كانت الدولة العثمانية منشغلة فى حروبها فى قارة أوربا ،[٣] فقام السلطان العثمانى سليمان القانونى بتهنئة حاكم الحجاز على هذا النصر العظيم .[٤]

---

(١) عبد الجليل ، الشاطر بصيلى : الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال ص ١٣٢ .

(٢) الخربوطلى ، د . على حسنى : الاسلام فى حوض البحر المتوسط ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، سنة ١٩٧٠م ، ص ١٦٤ .

— ماجد ، د . عبد المنعم : العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، مكتبة الجامعة العربية ، بيروت ، سنة ١٩٦٦م ، ص ٢٤١ .

(٣) — ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ ٣ ، ص ١٨ .

(٤) دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٥٣ .

ولهذا قامت الدولة العثمانية بخطوات ايجابية لحماية الاراضى المقدسة والاراضى الاسلامية الواقعة على البحر الأحمر والبحر العربى والخليج العربى ، وعمل التحصينات والقيام بالحملات البحرية لطاردة البرتغاليين ، وصدهم عن هدفهم العدوانى للنيل من الأماكن المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والمحافظة على قدسية تلك المناطق ، والله سبحانه وتعالى حام بيته الشريف، ومسجد رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، ومتم نوره ولو كره الكافرون .

٣ ـ التجارة والأطماع البرتغالية :

بعد أن ألقينا الضوء على النقاط السابقة على الهدف الحقيقى من الالتفاف الذى قام به البرتغاليون حول القارة الافريقية للوصول الى جنوب العالم الاسلامى ، والتعاون الذىكان بينهم وبين مسيحى الحبشة لغزو الحجاز ،والقضاء على الاسلام فى مكة المكرمة والمدينة المنورة والقضاء على دولة المماليك فى مصر ، التى كانت تعتبر فى ذلك الوقت حامية المقدسات الاسلامية ولقد وصل الخيال لدى البرتغاليين الى التفكير فى نبش قبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأخذ جثمانه الشريف معهم الى أوربا ، لكى يساوموا المسلمين عليه ، مقابل أن يبسطوا سلطتهم على القدس الشريف ، وحينما عجز البرتغاليون وحلفاؤهم من الصليبيين أمثال الأسبان الذين كانوا يهاجمون شمال أفريقيا المسلمة ، والأحباش الذين كانوا يراسلون دول أوربا لدعوتهم للقيام بحرب صليبية على المسلمين ، وتخريب مكة المكرمة والمدينة المنورة ، حينما عجز كل أولئك عما فكروا فيه ، وخططوا له نرى أن المستعمرين البرتغاليين يغيرون طريقة حربهم مع البلاد الاسلامية ، سواء المملوكية أو العثمانية أو غيرها من البلاد الاسلامية من حرب عسكرية الى حرب اقتصادية ، استهدفت تخريب القوى الاقتصادية الاسلامية ، والترصد المستمر للقيام بحملات عسكرية بحرية أو برية ضد المراكز الاسلامية بما فى ذلك الحجاز وغيره من المناطق فى العالم الاسلامى .

فلقد امتاز عصر المماليك بالترف الذى كان مصدره الضرائب التى كانـــت تفرض على تجارة الهند ، المارة بأحد الطريقين المسلوكيين فى ذلك الوقت وهمـا طريق الخليج ، وطريق البحر الأحمر ، وسواء نقلت عن طريق أحد الممرين فانهـا كانت تمر فى أراضى الدولة المملوكية ،[١] أنظر ملحق رقم (٥) ، سواء فى مصر أو بلاد الشام ، حيث الموانى الى تتعامل مع الجمهوريات الايطالية ذات الامتيازات لتسويق التجـــارة الشرقية فى القارة الأوربية .

فبواسطة طريق الخليج العربى كانت سفن المسلمين تحمل البضائع الـــى البصرة ، ثم تنقل برا الى بغداد ، حيث تعبر نهر دجله والفرات ، وتسير بمحاذاة الضفة الغربية لنهر الفرات ، ومنها تتجه القوافل غربا صوب مدن الشام الساحليـــة على البحر المتوسط .[٢]

أما عن طريق البحر الأحمر ، فتجتازه السفن طولا من الجنوب الى الشمال حتى السويس وعيذاب ،[٣] ثم تنقل البضائع عبر الصحراء الى القاهرة ومنها الـــى دمياط والأسكندرية .[٤]

---

(١) الشيال ، د . جمال الدين : دراسات فى التاريخ الاسلامى ، دار الثقافة ، بيروت ، ص ١٢٦ .
— محمود ، د . حسن أحمد : التهديد البرتغالى لسواحل جزيـــرة العرب ، ص ٦٠٣ .

(٢) الشناوى ، د . عبد العزيز : أوربا فى مطلع العصور الحديثه ، ص ١٠٧ .

(٣) عيذاب ، هى فرضة لتجار اليمن والحجاج الذين يتوجهون من مصـــر فيركبون من عيذاب الى جده .
— أبى الفداء ، محمد : تقويم البلدان ، ص ١٢١ .

(٤) الشناوى ، د . عبد العزيز : أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، ص ١٠٧ .

كذلك نجد أن المسلمين فى الحبشة كانوا مسيطرين على طريقين تجاريين مهمين هما ، الطريق الذى كانت تأتيه البضائع من عدن الى زيلع ، [(١)] وعدل ومنها تحمل برا الى الشمال حيث عيذاب ، ومنها الى قوص فالقاهره ، أما الطريق الآخر ، فهو يبدأ من زليع وعدل الى سواكن ، ومنها الى النيل النوبى حيث يصعدون بالبضائع الى القاهرة ، أو يحملونها الى حوض النيجر وساحل غانة ، أو مملكة مالى فى الغرب ، [(٢)] انظر ملحق رقم (٦) وقد شهدت سواحل افريقيا قبل وصول البرتغاليين اليها ازدهارا اقتصاديا وحضاريا ،على أيدى الدول الاسلامية ، والتجار المسلمين، ولقد أعجب فاسكو دى جاما عندما وصل فى رحلته التى عبر فيها رأس الرجاء الصالح ، بشواطئ افريقية الشرقية ، لما فيها من بلدان تجارية ، وكانت سفن تجار الهند تزور موانئ جنوب البحر الأحمر وشرق افريقيا ، ووصلت السفن الصينية حتى شواطئ جنوب الجزيرة العربية ، ومدن شرق افريقيا مثل مقديشو ومالندى . [(٣)]

وحينما علم البرتغاليون صعوبة تحقيق أهدافهم الصليبية عن طريق القوى العسكرية لوحدها ، رأوا ضرورة القضاء على احتكار المسلمين للتجارة الشرقية ، لأضعافهم اقتصاديا وبالتالى عسكرية ، لكى يستطيعوا القضاء عليهم . [(٤)]

---

(١) زيلع ، فرضه الحبشه نحو أرض اليمن وعندهم ينزل التجار .
— أبى الفداء ، اسماعيل بن محمد : تقويم البلدان ، ص ١٦١ .

(٢) أساتذة باحثون : العلاقات العربية الافريقية ، دراسة تحليلية فى أبعادها المختلفة ، اشراف د . محمود خيرى عيسى ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ص ٤٠ .

(٣) ابن ماجد ، أحمد : ثلاثة أزهار فى معرفة البحار ، ص ٩ .

(٤) صيرفى ، نوال : النفوذ البرتغالى فى الخليج ، ص ٧٦ .

ولم يكن هدف البرتغاليين من تحويل التجارة الشرقية من الأراضي الاسلامية عبر الطرق التى ذكرنا ، الى طريق رأس الرجاء الصالح ، لم يكن الهدف منه هو ضرب القوى الاسلامية اقتصاديا فحسب ، انما كان يقصد به أيضا تحويل احتكار تجارة الشرق من أيدى دولة المماليك بمصر والقوى الاسلامية الأخرى ومدن ايطاليا ، التى كانت تنقل اليها البضائع القادمة من الشرق ، وتقوم هى بتوزيعها فى أوربا ، فتمتعت برخاء اقتصادى كبير ، ولقد كانت هناك علاقات تجارية مملوكية مع بعض دول أوربا ، وبخاصة ايطاليا ممثلة فى البندقية وجنوا .(١)

وكعادة الصليبيين فان حروبهم فى ظاهر الأمر دينيه غايتها الاستيلاء على بيت المقدس من أيدى المسلمين ، وحينما يعجزون عن تحطيم القوى الاسلامية المنتصرة باذن الله ، نراهم يقومون بالسلب والنهب ، وتصبح حروبهم حروب عصابات هدفها السلب والنهب ، وفى حرب البرتغال مع المسلمين نراها حين تعجز عن تحقيق النصر ، تقوم بمحاولة للسيطرة على تجارة الشرق وتحويلها الى لشبونة العاصمة البرتغالية ، بدلا من البندقية وجنوا .(٢)

---

(١) الشناوى ، د . عبد العزيز : أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، ص ٢١ .
ـــ طرخان ، ابراهيم علي : مصر في عصر دولة المماليك ، ص ٢٨١ .

(٢) خالدى ، د . مصطفى ، د . عمر فروخ : التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ، عرض لجهود المبشرين التى ترمى الى اخضاع الشرق للاستعمار الغربى ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، سنة ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠م ، ص ١١٤ .
CHARLES DAVIDLEY: Portuguese Voyages 1498- 1663, London, 1972. 3.

(يقول المؤلف بوصول فاسكو دى جاما الى قاليقوط فى رحلته الاولى سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م ، سأله جماعة من التجار عن أسباب مجيئه فقال ان البحث عن المسيحيين والتوابل هو هدفنا) .

ولقد بدأ طمع البرتغال بالتجارة الاسلامية منذ وصول فاسكودا جاما الى الهند ، حيث نراه يستولى على احدى السفن الاسلامية ، ويستولى على بضائعها ، ويقوم باغراقها مع ركابها بعد ذلك ، وفى سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م كلف أحد قادته بالاقامة الدائمة على رأس خمس سفن حربية عند مدخل البحر الأحمر لمهاجمة السفن الاسلامية ،[١] سواء الداخله اليه أو الخارجة منه .

وفى ذلك يقول بعض المؤرخين المعاصرين لتلك الأحداث ، فى حوادث سنة ٩٠٨ هـ/١٥٠٢م ، (وفى هذه السنة ظهرت مراكب الافرنج فى البحر بطريق الهند وهرمز وتلك النواحى ، وأخذوا نحوا من سبعة مراكب ، وقتلوا أهلها قتلا ذريعا وأخذوا أموالهم جميعها ، ولا حولة ولا قوة الا بالله) .[٢]

وأيضا ما قاله الأمير حسين الكردى عن السبب الذى جعله يتوجه الى ديو لمحاربة البرتغال فى سنة ٩١٣ هـ /١٥٠٧ م ، أنه توجه لمقاتلة الافرنج الذين ظهروا فى البحر وقطعوا السبيل على المسلمين .[٣]

ولم يكن هدف البرتغال فى أول الأمر كما ذكرت (فى صفحة ١٠٢) هو تحويل التجارة الشرقية الى طريق رأس الرجاء الصالح ، انما بعد محاولاتهم غزو الحجاز ومصر والتى لم تحقق أهدافها ، نراهم يقومون بأعمال ارهابية ضد السفن الاسلامية ، التى تحمل الحجاج والتجارة ، ومن ثم يقومون بتحويل هذه التجارة عبر طريق رأس الرجاء الصالح ، لكى يحققوا منها أرباحا كانت الدولة المملوكية والبلاد الاسلامية

---

(١) سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثمانى الأول لليمن ، ص ٥٣ .

(٢) الديبع ، عبد الرحمن : الفضل المزيد ، ص ٢٧٥ .

(٣) الديبع ، عبد الرحمن : قرة العيون ، ص ١١٠ .

الأخرى تجنيها من قبل ، ولم يقتصر عمل البرتغال الأرهابى على منطقة المحيط الهندى والساحل الشرقى لافريقيه فقط ، بل نرى أن البرتغاليين قبل ذلك عند وصولهم الى منطقة الرأس الأخضر سنة ٨٥٠ هـ/١٤٤٦م ، ووصولهم بلاد غانا ، انطلقوا يقتنصون أهالى تلك البلاد ، وينقلونهم الى أسواق أوربا ، لبيعهم عبيدا.[١]

ولقد نجحت سياسة البرتغال فى اضعاف القوى الاسلامية المطلة على البحر الأحمر والمحيط الهندى ودولة المماليك بعض الشيء ،[٢] فحاولت دولة المماليك حفاظا على قدسية الأماكن المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وحفاظا على تجارتها التى أخذ البرتغاليون يستولون عليها مقاومة البرتغاليين ، ولكن نجد أنها تهزم أمام البرتغاليين فى موقعة ديو سنة ٩١٥ هـ/ ١٥٠٩م ، وكانت البندقية قد قدمت بعض المساعدات للدولة المملوكية ، لكى تقوم بطرد البرتغاليين من المحيط الهندى ، فلما لم تستطيع الدولة المملوكية القيام بذلك ، نجد أن البندقية تقوم بالتفكير فى نقل تجارتها عبر الطريق البرى الذى يمر بتركيا وايران ، وانصرفت عن معاونة الدولة المملوكية ، أولأنها وجدت نفسها محرجة حينما تقدم المساعدة لدولة اسلامية ، ضد دولة سيحية أوأوربية ، مما قد يثير غضب أوربا عليها ، مما اضطر السلطان المملوكى قانصوه الغورى الى طلب المعونه من الدولة العثمانية زمن السلطان بايزيد الثانى العثمانى بعد تخلى البنادقة عن مساعدته والذى بعث على الفور بالسفن المحملة بالأخشاب والبنادق والرجال والصناع ، لبناء الأسطول المملوكى رغم ما تعرضت له السفن العثمانية من قرصنة

---

(١) الشناوى ، د . عبد العزيز : أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، ص ١١٨ .

(٢) ربيع ، حسنين : بحر الحجاز فى العصور الوسطى ، ص ٤٠٨ .

بحرية من قبل فرسان القديس يوحنا وغيرهم من القراصنة الصليبيين لمواجهة الغزو البرتغالي الذى كان أول ما يستهدف غزو الحرمين الشريفين فى مكة والمدينة والذى يظهر مدى الحقد الصليبى على المسلمين وعلى البلاد الاسلامية .(١)

٤ ـ موقف أشراف الحجاز من الخطر البرتغالى فى البحر الأحمر :-

عند ما استطاع البرتغاليون الالتفاف حول طريق رأس الرجاء الصالح كانت الدولة المملوكيه آخذة فى التدهور السياسى والحربى ، نتيجة صراع المماليك أنفسهم على السلطة فى القاهرة ، وطمعهم الزائد فى جمع الأموال ، لتدعيم أنفسهم بشراء المماليك ، وكسب المؤيدين ، وفى غمرة ذلك وجدنا البرتغاليين قد استطاعوا بعد مجهود كبير من الوصول الى البحار الاسلامية كالمحيط الهندى والبحر الأحمر والخليج العربى ، لكى يستطيعوا مهاجمة الدول الاسلامية من ناحيتين ، الشمال عن طريق شمال أفريقيا المسلمة ، ومن الجنوب عن طريق البحر العربى والبحر الأحمر والخليج العربى ، وكذلك مهاجمة المناطق الاسلامية فى الهند والحبشة ، فكان على الدولة المملوكية أن تنصرف لمقاومة الصليبيين بدلا من صرف أكبر مجهوداتها فى مشاكلها الداخلية ، وفى الحروب التى كانت تخوضها مع الدولة العثمانية على الامارات التى كانت تقع على الحدود فيما بينهما . ولكن مع كل تلك الفتن والأحداث فى العالم الاسلامى ، كانت هناك مقاومة قد لا تكون كافية ضد الغزاه البرتغاليين ، فلقد حاولت الدولة المملوكية ارسال قوة بحرية عبر البحر الأحمر لصد الغزاه وطردهم من البحار الاسلامية ، ولكن هذه القوى هزمت

---

(١) دسوقى ، محمد : أهمية الحجاز فى مطلع العصور الحديثة ، ص ٤١٤ .

فى موقعة ديو فى المحيط الهندى ، بالقرب من الشواطئ الهندية سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م ، بعد انتصارهم مع الحلفاء سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م ، ولكن هذه الهزيمة لم تجعل المماليك يكفون عن العمل عن انشاء قوة بحرية أخرى ، وعمل التحصينات فى الأماكن التى تحتاج الى مثل هذه التحصينات ، لمواجهة الخطر البرتغالى المستهدف الأراضى المقدسة ، وضرب العالم الاسلامى .

وكانت أولى محاولات البرتغال للهجوم على مكة المكرمة والمدينة المنورة على يد نائب الملك البرتغالى فى الهند البوكرك ، غير أن الريح التى سخرها الله سبحانه وتعالى على سفنه حالت دون تحقيق مأربه ، ثم بعد هزيمة المماليك فى معركة ديو ، نجد الشريف بركات بن محمد حاكم الحجاز فى ذلك الوقت ، يقوم بالتوجه الى جده خوفا من هجمات البرتغاليين على حين غفله ، ويبعث الى السلطان المملوكى الغورى يطلب منه الامدادات والعون لمواجهة الصليبيين فيبعث الغورى بقائده حسين الكردى سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م ، الى البحر الأحمر ، ثم بعث بقوة أخرى بقيادة سليمان الريس العثمانى سنة ٩٢١ هـ / ١٥١٥ م لمحاربة البرتغاليين (١) .

ولقد كان حاكم الحجاز الشريف بركات بن محمد شديد الحرص على المحافظة على أمن الحرمين الشريفين من الخطر الصليبى المتربص ببوابة الحجاز جده ،

---

(١) ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، جـ٤ ص ٣٠٧
- الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ٩٩ .
- زغلول ، سعد : البرتغاليون والبحر الأحمر ، ص ١٤٤ .
- السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٠٤ .
- بابكور ، عمر : حزام الأمن العثمانى ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة أم القرى ، ص ٩٠ .

ولقد نجح على الصعيد الداخلي في القبض على ثلاثة من جواسيس الصليبيين في سنة ٩١٦ هـ/ ١٥١٠ م ، تسللوا الى مكة المكرمة متظاهرين باسلامهم ، ويتكلمون العربية والتركية ، وبالتحري اتضح أنهم مسيحيون يعملون جواسيس برتغاليين كأدلاء للجيش البرتغالي عند دخوله أرض الحجاز ، فبعث بهم الشريف بركات الى السلطان الغوري في مصر ،[١] هذا غير ما كان يقوم به الشريف بركات من مجهود تجلى بالوقوف بنفسه لاظهار الهمة للقائمين على العمل والمتابعة لاتمام بناء سور جده ، ووقوفه على العمارة وهو راكب فرسه ، وكان لهذا السور منفعة كبيرة ضد البرتغال ،[٢] الحماية بوابة الحجاز من أي هجوم مباغت .

ولقد كان للمشاكل الداخلية في الحجاز ، دور كبير في اضعاف الشريف بركات عن مقاومة التهديد البرتغالي ، بالاضافة الى أن أشراف الحجار لم تكن لديهم القوة البحرية الكافية لمواجهة الأساطيل البرتغالية ، لولا تدخل المماليك أولا في الدفاع عن الحجاز ، وما قامت به الدولة العثمانية من تقديم المساعدات للماليك لكي يستطيعوا التصدى للغزو الصليبي على الحجاز ، ثم ورث هذا الدفاع الدولة العثمانية بعد سقوط المماليك كما استفاد المماليك والأشراف كثيرا من السور الذي قام بانشائه حسين الكردي القائد المملوكي على جده ، بتدعيم من الدولة المملوكية وحكومة الحجاز والحكومات الاسلامية بالهند .[٣]

---

(١) الشناوي ، د محمد : الدولة العثمانية ، جـ ٢ ، ص ٦٩٨ .

(٢) يعقوب ، محمد : السلاح والعدء في تاريخ بندر جده ، ص ١٠ .
— ابن فرج الشافعي ، عبد القادر بن أحمد بن محمد : السلاح والعدة في تاريخ جدة ، ص ٢١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢١ .
— الرمال ، غسان ، صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٠١ .

وما كان له من دور كبير فى صد الهجمات البرتغالية ، لما كان فيه من أبراج ومدافع ، استطاعت أن تجعل البرتغاليين ينهزمون عند الاقتراب من السواحل الحجازية ، بالاضافة الى السفن الحربية المزودة بالمدافع والجنود المدربون على القتال البحرى .

٥ ــ المماليك ودورهم فى صد العدوان الصليبى على الحجاز :

كما عرفنا فى النقطة السابقة محاولات أمير الحجاز بركات بن محمد ، رغم الظروف الداخلية والخارجية التى كانت تمر بها الحجاز ، فلقد حاول بما يستطيع أن يسهم فى صد الهجوم الذى كان ينوى البرتغاليون القيام به ضد بلاده ، هذا ولم تكن الدولة المملوكية أفضل حالا من الحجاز ، ففى الفترة من وفاة السلطان قايتباى سنة ٩٠٢ هـ/١٤٩٦م ، الى أن تولى الغورى سنة ٩١٧ هـ/١٥٠١ م ؛ كانت فترة اضطراب داخل الدولة المملوكية ، وفتن ومنازعات فيما بين المماليك على تولى السلطنة فى تلك الدولة ، واستغل بعض المماليك تلك الفترة فعاثوا فسادا فى البلاد ، وكان يصاحب تلك المهاترات داخل الدولة المملوكية ، غزوا برتغاليا شرسا فى المحيط الهندى ، فكان على الغورى عندما تولى السلطة توطيد نفوذه داخل البلاد ، وبخاصة بعد أن وجد خزائن الدولة خاوية ، بعد أن استنفذت فى الفتن والحروب ، ولعل هذا يفسر لنا كثرة الضرائب التى فرضها هذا السلطان على الشعوب الخاضعة لحكم دولته ، وغضه النظر عن الفتن داخل الحجاز والضرائب الباهظة على التجارة الشرقية واحتكارها حتى يستطيع جمع أكثر قدر ممكن من الأموال لملء الخزانة السلطانية .(١)

---

(١) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٠٨ .

وكان أول عمل قام به الغورى لدفع الخطر البرتغالى عن البحر الأحمر والحجاز ، هو تعيينه للأمير حسين الكردى على جده ،(١) لحمايتها ومساندة حكومة الحجاز من الخطر الصليبى المباغت على البحر الأحمر والبحر العربى والخليج العربى والمحيط الهندى ، وسارت مع حسين الكردى حملة كانت تستهدف ضرب البرتغاليين فى المحيط الهندى ، وكانت الحملة تضم عددا من الجنود المغاربة ، الذين كان يرأسهم القائد نور الدين على المسلاتى ، فسارت هذه الحملة من مصر الى جده سنة ٩١١ هـ/١٥٠٥ م ، ولكن نجد أنها تصطدم مع الشريف يحيى ابن سبع أمير ينبع ، ومن كان معه من الخارجين عن طاعة أمير الحجاز الشريف بركات ، واستطاعت هزيمته ، ثم استقرت الحمله فى جده ،(٢) وكانت قد وصلت الى الغورى فى مصر ، رسائل من بعض أمراء وسلاطين المسلمين المطلين على البحر العربى والأحمر والمحيط الهندى ، يطلبون منه المساعدة العسكرية لمواجهة الغزو الصليبى الجديد على العالم الاسلامى ، الذى لم يكن يأتى من شمال العالم الاسلامى وحده ، بل نراه فى الجنوب من ذلك العالم كذلك ، فلقد بعث السلطان مظفر شاه بن محمود شاه سلطان الكجرات الى الغورى ، يطلب منه المساعدة على البرتغاليين ، ويطلب منه امداده بعدد من المدافع والبندقيات ، لعدم معرفة

---

(١) ابن العماد الحنبلى ،ابى الفلاح عبد الحى :شذرات الذهب ، جـ ٨ ص ١١٥ .
— ابن الحسين ، يحيى : غاية الامانى ، ص ٦٣١ .
— طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ١٣٠ .

(٢) ابن اياس ،محمد : بدائع الزهور ، جـ٤ ص ٨٢ .
(يقول المؤرخ وصل الكردى الى جده سنة ٩١٩ أو ٩١٧ هـ لدفع ضرر الفرنج والعربان فقام ببناء سورها) .
زكى ، د .عبد الرحمن : ابن اياس واستخدام الأسلحة النارية ،ص ١١١ .

أهل الهند بتلك الأسلحة من قبل ذلك ، وكذلك نجد أن السلطان عامر ابن عبد الوهاب سلطان الدولة الطاهرية في اليمن ، يبعث الى سلطان المماليك يطلب المساعدة منه ضد البرتغاليين [١] ، وكذلك ملك قليقوت السامرى [٢] .

والجدير بالذكر أن أسبانيا المسلمة ، أيام دولة الأندلس ، قد استنجدت بالمماليك في مصر لمعونتها ضد الصليبيين ، قبل ذلك بفترة قصيرة ، ولكن دولة المماليك لم تكن مهتمة ببناء أسطول قوى ، يستطيع المماليك الوصول به الى الأندلس ، لأن معظم حروب المماليك كانت بريه ، ولكنهم حاولوا انقاذ غرناطه أخر معقل للمسلمين فى أسبانيا ، عن طريق الضغط السياسى ، مثل السفارة التى أرسلها قايتباى سنة ٨٩٥ هـ / ١٤٨٩ م ، الى ملكى أسبانيا والبرتغال ، يهدد فيها باضطهاد المسيحيين فى الشرق ان لم يكفا عن مهاجمة غرناطه ، غير أن غرناطه سقطت فى أيدى الصليبيين سنة ٨٩٧ هـ/١٤٩٢ م [٣] ، أما البرتغاليون فلم يجدوا صعوبة فى التحالف والتعاون مع الفرس ، فقد كانت غايتهما واحدة هى القضاء على الأسطول المملوكى ، وان كانت غاية البرتغاليين ، بعد القضاء على الأسطول المملوكى هى احتلال مكة والمدينة ، وهدف الفرس هو الاستيلاء على التجارة واحتلال البلاد العربية القريبة منهم [٤] ، لنشر المذهب الشيعى بها .

---

(١) النهروالى ، قطب الدين : البرق اليمانى فى الفتح العثمانى ، ص ١٩ .

(٢) ماهر ، د . سعاد : البحرية فى مصر الاسلامية وأثارها الباقية ، أشرف على اخراج الكتاب عبد السلام الشريف ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ص ١٢٩

(٣) العبادى ،د.أحمد مختار ، سالم ،د السيد عبد العزيز :تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، جـ ٢ ، ص ٣٦٩ .

(٤) سعيد ، أمين ، الخليج العربى فى تاريخ السياسى ونهضته الحديثة ، دار الكاتب العربى ، ص ٢٩ .

أما عن الدولة العثمانية ، فلقد كانت فى ذلك الوقت تقود حملة الجهاد والفتوحات الاسلامية فى أوربا والبحر المتوسط ، وتقدم المساعدات العسكرية والمالية لمسلمى شمال افريقيه ، لمقاومة الهجمات الصليبية البرتغالية والأسبانية ، ضد المسلمين هناك ، وقبل أن تبدأ الدولة المملوكية بحملات بحرية حربية ضد البرتغال فى المحيط الهندى ، نجد أنها تقوم بارسال مبعوثين الى البابا والى ملكى أسبانيا والبرتغال ، تهدد فيها بهدم كنيسة القيامة فى فلسطين ، ومنع الحج المسيحى لبيت المقدس ، فلما لم يجد قانصوه الغورى استجابة لطلباته بوقف الهجوم البرتغالى على جنوب العالم الاسلامى ، نراه يقوم كما ذكرنا بارسال الأمير حسين الكردى الى جده ، ليقوم بتحصينها باقامة سور حولها ، استجابة لنداء حاكم الحجاز الشريف بركات بن محمد لأنها كانت تعتبر من أهم الموانئ الحجازية وتعتبر المنفذ البحرى الموصل الى مكة ، وتمت عمارة السور فى حوالى تسعة أشهر ، سنة (٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م) (١) .

ولقد وصلت مساعدات من مسلموا الهند ، ومن السلطان محمد محمود شاه جوجيرات مساعدات مالية لبناء هذا السور ، لخوفهم على الأماكن المقدسة الاسلامية (٢) .

---

(١) الطبرى ، محمد بن على : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٥٨ (يقول بناه سنة ٩١٧)
النهروالى ، قطب الدين : البرق اليمانى ، ص ١٩ (يقول بنى السور سنة ٩١٧ ضد العربان وليس ضد البرتغال) .
— ابن فرج الشافعى ، عبد القادر أحمد : السلاح والعدة فى تاريخ جدة ، ص ١٧-١٨
— يعقوب ، أحمد بن محمد : السلاح والعده فى تاريخ بندر جده ، ص ٩٠٨ .
— الحضراوى ، أحمد بن محمد : الجواهر المعده ، ص ٤٨ (يقول بناه سنة ٩١٩ أو ٩١٧) .
— البتنونى ، محمد لبيب : الرحلة الحجازية ، ص ٦ (يقول بناه الغورى سنة ٩١٥ ضد الافرنج) .
— زكى ، نعيم : طرق التجارة ، ص ١٠٨ (يقول بنى الكردى سور جده بعد هزيمة ديو) .
(٢) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٠١ .

ولقد وضع الأمير حسين الكردى بعض الوحدات العسكرية المملوكية في ينبع ، خوفا من نزول البرتغاليين بها ، وقد طلبت دولة المماليك المساعدة العسكرية من جمهورية البندقية في حربها ضد البرتغاليين ، لما كانت تجنيه الجمهوريات الايطالية من الأرباح التجارية وخاصة البندقية المسيطرة على تسويق التجارة الشرقية في أوربا عن طريق تجارتها مع الدولة المملوكية ، التي كانت مسيطرة على تجارة الشرق التي تمر عبر اراضيها ولوصول البرتغاليين لمراكز التجارة الشرقية عبر طريق رأس الرجاء الصالح ، نجد أن البندقية تخسر تجارتها بسبب أن البرتغال أصبحت هي المسيطرة على التجارة بتحويلها عبر رأس الرجاء الصالح بدلا من مرورها بالاراضى الاسلامية ، كما نجد المماليك يتحدون مع السامرى (الزاموريين) ملك قليقوت ضد البرتغال .(١)

فقد حاولت الدولة الطاهرية باليمن صد الهجوم البرتغالي على جنوب الجزيرة العربية حيث نجد أنه في سنة ٩١٢ هـ / ١٥١٦م ، قام السلطان الطاهرى عامر بن عبد الوهاب بتجهيز حملة مكونة من أربعة عشر مركبا تضم ستمائة من الجنود معهم عدد من العلماء للجهاد في سبيل الله ضد البرتغال ، وبعد سنة من الحملة الطاهرية سارت سنة ٩١٣ هـ/ ١٥١٧م ، قوات حسين الكردى بعد أن استكملت تحصيناتها في جده وسواكن ، ومرت في طريقها بجيزان وكمران ثم المخا ثم عدن ، فأكرمهم أمير عدن مرجان الطاهر ، ثم توجهوا الى الهند ،(٢) وفي سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م ،

---

(١) ماهر ، د . سعاد : البحرية في مصر الاسلامية ، ص ١٢٩ .
الشيال ، جمال الدين : دراسات في التاريخ الاسلامى ، ص ١٢٧ .

(٢) اليمنى ، عيسى بن لطف الله : روح الروح ، ص ١٣ .
ــ الكبسى ، محمد : اللطائف السنية ، ص ٥٨ .
ــ الديبع ، عبد الرحمن : قرة العيون ، ص ١١٠ .

وصل الأسطول المملوكي الى الهند ، واستقر في ديو ، وانضم اليه أمير ديو المدعو مالك اياس بأسطوله وكان حاكم قاليقوط قد غادر الى بلاده بعد أن انتظر وصول سفن الأسطول المملوكي اليه فترة طويلة ، فلم يشارك مع القوى الاسلامية في معركة ديو ،(١) وبعث الغوري بامدادات أخرى الى الكردي ، فنجد أنه في ربيع الثاني سنة ٩١٣ هـ/١٥٠٧م ، وصل القاضي علاء الدين علي بن الامام الى جده بحرا قادما من مصر بالمراكب والعسكر الذين كانوا متوجهين للهند بالامدادات العسكرية ولعل الأمير حسين الكردي لم يتوجه بعسكره من جده الى الهند سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م بل سار بعد ذلك بحوالي سنتين ، حيث يذكر المؤرخ عز الدين عبد العزيز ابن فهد ، أن القوات التي وصلت صحبة القاضي علاء الدين علي بن الامام الى جده ، والتي كانت متوجهة الى الهند ، التقى بها الأمير حسين في جده .(٢)

ومهما يكن عن تاريخ سير تلك الحمله ، فلقد كانت علاقة المماليك بالدولة الظاهرية في أثناء هذه الحمله الموجهه ضد البرتغاليين حسنه ، حيث نجد أنه قامت بين الكردي وأمير عدن مرجان الظافري ، مراسلات وديه ، وتبادل للهدايا ، وأخذ المماليك حاجتهم من الماء والحطب من عدن ثم ساروا الى ناحية الهند لقتال البرتغال .(٣)

---

(١) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٢٠ .

Bailey, Winius: Faudations of the portuguese Empire, 1415 - 1580. 236

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ ٣ ، ص ٣٠٠ .

— الديبع ، عبد الرحمن : الفضل المزيد ، ص ٣٠٥ .

(يقول أن الكردي وصل الى جهات اليمن من جده في ربيع الآخر سنة ٩١٣ هـ ، وهذا هو زمن وصول المدد من الغوري الى جده وعليه فان الحملة تكون سارت من جده الى الهند في منتصف سنة ٩١٣ هـ ، ووصلت الى الهند سنة ٩١٤ هـ) .

(٣) الديبع ، عبد الرحمن : الفضل المزيد ، ص ٣٠٥ .

— ابن الحسين ، يحيى : غاية الاماني ، ص ٦٣٥ .

— الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٢٠ .

وكان أسطول الكردى مكونا من خمسين سفينة ،[١] وقد انضمت اليه سفن الحلف الاسلامى على الساحل الهندى مثل كجرات وبيجابور وأحمد ناجاروكاواليكوت فأصبح عدد سفن الحلف مائة سفينة .[٢]

وفى الحقيقة مع كثرت عدد سفن المسلمين التى مع الكردى والحلف الاسلامى الهندى الا أنها لم تكن معده اعدادا قتاليا متطورا من ناحية التسليح والتدريب حيث كانت السفن البرتغالية آخذه فى التطور التسليحى منذ عهد ملكهم هنرى الملاح الذى أسس أول مدرسة نظامية للملاحين والبحاره ، وأخذ يدرب كل ذى روح مغامره بروح الحرب الصليبية ، وحسن من صنع السفن ،[٣] وأستخدام الأسلحة النارية .

وكان أول اشتباك بين الأسطول الاسلامى والصليبى عند تشاول ، فى سنة ٩١٤ هـ/ ١٥٠٨م ، حيث استطاع الأسطول الاسلامى احراز بعض النصر على البرتغاليين ، الذين كان يقودهم لورنسوا الميدا ابن نائب الملك البرتغالى فى الهند الدون فرانسيسكو والميدا ، غير أن الكردى لم يستغل انتصاره هذا بمهاجمة بقية قطع الأسطول البرتغالى فى المحيط الهندى ، وفى القواعد التى أنشئوها فى تلك المناطق ، بل نجد أنه بقى بأسطوله راسيا عند ساحل ديو ، مما أعطى الفرصة للبرتغاليين فى أن يجمعوا قواتهم ويهاجموا الأسطول الاسلامى ، بعد أن وصلتهم المساعدات ، وهاجم أسطول برتغالى الأسطول الاسلامى عند ديو ، سنة ٩١٥ هـ/ ١٥٠٩م ، بتسع عشره سفينة كما يقال وكان قائدهم فى هذه المرة نائب الملك فى الهند فرانسيسكو دالميدا الذى رأى صعوبة هذه الهزيمة التى تؤدى الى خسارة كل المجهودات المادية والبشريه والمعنوية ، التى قامت بها البرتغال فى بداية مشروعهم التوسعى .

---

(١) ابن العماد ، الحنبلى ،عبد الحى : شذرات الذهب ، جـ ٨ ص ١١٥ .
ماهر، سعاد : البحرية الاسلامية ، ص ١٢٩ .
ـ عبد الجليل ،الشاطر بصيلى : الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال ، ص ١٣٠ .

(٢) سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثمانى الأول لليمن ، ص ٦١ .

(٣) بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٢٧ .

ولهذا استطاع احراز انتصارا على القوات الاسلامية ، التي هوجمت على حين غرة ، وأحرقت سفنا كثيرة من سفن المسلمين ، وخاصة سفن الامارات الهندية التي لم تكن مزودة بعدد كافي من المدافع ، ويقال أن خيانة وقعت في صفوف المسلمين ، وذلك أن مالك آياز حاكم ديو ، وهو أوربي أسلم وحكم ديو من قبل ملك كوجرات ، انضم سرا الى البرتغاليين ، وقطع العدد والمؤن على أسطول المماليك وحلفاؤهم ، مما اضطر الأمير حسين الى الانسحاب ، وهذا يدل على أن انتصار البرتغاليين في ديو لم يكن انتصارا حاسما ، بل كان بسبب خيانة في صفوف الحلفاء المسلمين ، فادعى البرتغاليين أنهم سادة الملاحة في المحيط الهندي ،[١] ثم عاد الكردي بعد انسحابه من ديو الى جده ، وقام الغوري بارسال فرق حربية بقيادة الأمير خشقدم سنة ٩١٩ هـ/١٥١٣ م ، الى جده حتى يستطيع اعداد حملة أخرى لمقاتلة البرتغاليين .[٢]

---

(١) الطيباري ، زين الدين المعبري : تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتكاليين ، ص ١٦ .
 ــ بانيكار ، أسيا و السيطرة الغربية ، ص ٤٢ (ذكر خيانة أمير ديو لحسين الكردي) .
 ــ زغلول ، د سعد : البرتغاليون والبحر الأحمر ، ص ١١١ .
 ــ البخراوي د محمد : فتح العثمانيين عدن ، ص ٤٥ .
 ــ سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثماني الاول لليمن ، ص ٦١ .
 ــ ماهر ، د سعاد : البحرية في مصر الاسلامية ، ص ١٣١ .
 ــ ماجد ، عبد المنعم : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٢٤١ .

(٢) زكي ، عبد الرحمن ، ابن اياس واستخدام الأسلحة النارية ، ص ١١١ .

وكان والى جده حسين الكردى قد قام قبل ذلك سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م ، بتحصين الساحل البحرى لجده ، فأنشأ مجموعة من الأبراج وسط البر أمام الساحل وبرجين بحريين داخل البحر ، وقام الكردى بكل ما يستطيع من زيادة التحصينات فدعم أسوار جده بأبراج وملأها بالأسلحة والمدافع الثقيلة .(١)

ثم أخذ الغورى يعد العده لبناء أسطول جديد فى السويس ، وتأخر بناؤه كثيرا بسبب أحوال دولة المماليك الاقتصادية ، ومشاكلها السياسية ، ولتعرض سواحلها على البحر المتوسط لأعمال القرصنة من فرسان القديس يوحنا وفرسان الاسبتاريه التى أضعفت الدولة المملوكية .(٢)

ولقد طلب الغورى من صديقته البندقية ذات الامتيازات التجارية فى السواحل المملوكية ، تقديم المساعدات له ، لكى يبنى أسطولا جديدا لمواجهة البرتغاليين كما ذكرنا ولكنها لم تقوم بتقديم أى مساعدات تذكر بل نجد أنها تحاول التعاون مع الشاه اسماعيل الصفوى سلطان الدولة الصفوية فى فارس ، لكى تمر تجارة المحيط الهندى عبر أراضيه فى ايران والعراق ، الى منافذ على البحر المتوسط .(٣)

---

(١) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٠١ .
ANGELO PESCE : JIDDAH, Italy, 1974 . 83.

(٢) سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثمانى الاول لليمن ، ص ٧٦ .
ـ اليوزبكى ، توفيق : تجارة مصر البحرية ، ص ١٣٢ .

(٣) سالم ، مصطفى : الفتح العثمانى الاول لليمن ، ص ٧٦ .

وربما لم تقدم المساعدات لحرج موقفها من بقية دول أوربا فنجد الغوري يقوم بطلب المساعدات من الدولة العثمانية الذى كان على خلاف معها ولكن كون العثمانيين مسلمين وخوفهم على الأماكن المقدسة والمسلمين جعلهم يقومون بتقديم المساعدات للدولة المملوكية بصرف النظر عن الخلافات بينهم وبين المماليك وبعد وصول تلك المساعدات العثمانية الى المماليك فى مصر رغم ما تعرضت له من عراقيل من قبل قراصنة البحر الابيض ، وكانت تشمل الأخشاب لبناء السفن والمدافع والبارود والمتطوعين من الترك العثمانيين ، حيث جهز الغورى أسطولا بقيادة الأمير سليمان الرومى العثمانى ، الذى يقال أن السلطان العثمانى سليم بعث به الى الغورى ومعه بعض العسكر العثمانى لقتال البرتغاليين فى المحيط الهندى .(١)

وكما تم تعيين الأمير سليمان العثمانى قائدا للأسطول المتوجه لقتال البرتغال فى المحيط الهندى ، على أن يتولى حسين الكردى، القائد المملوكى فى جده قيادة الحملة عند وصولها الى جده ، وكانت الحمله مكونة من عشرين سفينة وستة ألاف جندى .(٢)

وعندما وصلت الحملة العسكرية الاسلامية الى جيزان ، أرسل الكردى الى سلطان الدولة الطاهرية عامر بن عبد الوهاب يطلب منه بعض المؤن والمال مساعدة لحملته التى يقودها ضد البرتغال ، فلم يصل الى جواب ، وعند وصول الكردى الى

---

(١) البهكلى ، عبد الرحمن : نفح العود ، ص ٢٠ .
— ماهر ، د . سعاد : البحرية فى مصر الاسلامية ، ص ١٣٢ (تقول أرسله السلطان بايزيد للدولة المملوكية) .
— البحراوى ، محمد : فتح العثمانيين عدن ؛ ص ٤٦ .
— بابكور ، عمر : حزام الأمن العثمانى ، ص ٨٥ .
(٢) سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثمانى الاول لليمن ، ص ٨٠ .

جزيرة كمران ، سنة ٩٢١ هـ/١٥١٥م ، بعث بالهدايا الى عامر بن عبد الوهاب، وطلب المساعدة منه أيضا ، ولكن بعض قادة ورجال السلطان عامر أشاروا عليه بعدم امداد الأسطول المملوكي بالمؤن والمساعدات ، حتى لا تكون هذه المساعدة معناها فرض السيادة المملوكية على اليمن وعلى الدولة الطاهرية ، وأمر السلطان عامر ولاته في الموانى اليمنية بمنع وصول الطعام الى الأسطول المملوكي في كمران .(١)

فعلم بذلك الامام شرف الدين ، امام الزيدية في اليمن ، فاتصل بالكردى وحرضه على مهاجمة سلطان الدولة الطاهرية للتنافس الذى كان بينهما على الاراضى اليمنية وكذلك اتصل به المهدى أحمد بن دريب أمير جيزان ، يحرضه على سلطان الدولة الطاهرية ، وقد يكون تحريضه نتيجة ما كان يشعر به من ارهاق من مقدار الخراج المقرر على امارته والذى كان يدفعه للدولة الطاهرية ، فرأى أن يرتبط مع المماليك بعلاقات ويعرض على المماليك غزو اليمن .(٢)

وقد أيد أمير جيزان حسين الكردى بجيش بقيادة أخيه عز الدين في هجومهم على الدولة الطاهرية ، ولم يتسرع الأمير حسين الكردى في أى عمل ضد الدولة الطاهرية ، وأشار عليه بعض القادة أن يرسل الى السلطان عامر برسالة يستمد منه الاعانة على حرب البرتغاليين ، فلم يجبه السلطان الى طلبه ، فقام،

---

(١) الوزير عبد الله : جامع المتون في أخبار اليمن الميمون ، ص ١٣٨ .
— الكبسى ، محمد : اللطائف السنية ، ص ٩٢١ .
— سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثمانى الاول لليمن ، ص ٨٢ .

(٢) الوزير، عبد الله : جامع المتون ، ص ١٣٦ .
(يذكر المؤرخ في تاريخ سابق سنة ٩١٦ هـ أن الكردى قدم اليمن خطابته الشريف أحمد بن دريب في جازان وحثه على مقاتلة الدولة الطاهرية والاطاحة بها) .
— العقيلى، محمد بن أحمد : تاريخ المخلاف السليمانى ، ص ٢٧٩ .

الأمير حسين الكردى بهجوم على الدولة الطاهرية ، والتقى مع السلطان عامر بعد أن انضم الى الأمير حسين كل من الزيدية والشريف عز الدين أحمد بن دريب، واستطاع الكردى الدخول الى زبيد ، ثم زيلع ، ثم توجه الى عدن .[(١)]

فى سنة ٩٢١ هـ/١٥١٥م ، وفى الحقيقة لم يكن هدف الكردى من حملته الهجوم على اليمن ، ولكن ما قامت به الدولة الطاهرية من قطع المؤن عن الجيش المملوكى دفع به الى ذلك ، وكان الموقف يستدعى أن تقوم الدولة الطاهرية بمساعدة الأسطول المملوكى لمواجهة الغزاه البرتغاليين ،الذين لم يتركوا بلاد اليمن سليمة من غزوهم وتخريبهم وحروبهم منذ وصولهم الى المحيط الهندى ، فقبيل هجوم المماليك على اليمن نراهم يرسلون الى أمير الحديدة محمد بن نوح ، يقولون له افسح الطريق للسفن التى كانت تحمل المؤن للاسطول المملوكى فامتنع ، فحينئذ ضرب المماليك الحديده بالمدافع ، فقام أمير النخيه الفقيه أبو بكر بن المقبول بفتح الطريق لهم لكى تمر منه المؤن ،[(٢)] ولم يستطيع الكردى الاستيلاء على عدن ،فلقد دافع عنها أميرها مرجان الظافرى الذى هو من قبل عامر بن عبد الوهاب ، حتى وصلت اليه المساعدات ، وكان الكردى ينوى أن يجعل من عدن قاعدة حربية له ، قبل التوجه الى المحيط الهندى ، فرفع الكردى الحصار عن عدن فى رجب سنة

---

(١) الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٦١ .
— محمود حسن أحمد : التهديد البرتغالى لسواحل جزيرة العرب ، ص ٦٠٨ (يذكر المؤلف أن هناك اتصالات مشبوهه بين مرجان حاكم عدن وسواريز قائد الأسطول البرتغالى عام ٩٢٣ هـ/١٥١٧م ، ولقد رحب بالبرتغاليين الذين طلبوا منه ربابنه يسيرون بهم الى جده ، فأجابهم لذلك ، ولكن الرياح حالت دون وصوله اليها) .

(٢) الديبع ، عبد الرحمن : الفضل المزيد ، ص ٣٥٩ .

٩٢٢ هـ/١٥١٦ م ، ثم رجع الى جده بعد أن عين الأمير برسباى على اليمـــن [(١)] ، وغيره من الأمراء مثل الاسكندر ابن محمد . [(٢)]

وانتهى الأمر فى اليمن بقتل السلطان عامر بن عبد الوهاب ، واحتـــلال المماليك صنعاء وتعز فى سنة ٩٢٣ هـ/١٥١٧م ، ويقال أن الكردى نازل بالقرب من سواحل عدن سنة ٩٢٢ هـ/١٥١٦م ، أسطول برتغالى بقيادة البوكـــيرك ، واستطاع الحاق الهزيمة بـــه . [(٣)]

---

(١) البحراوى ، محمد : فتح العثمانين عدن ، ص ٥٠ .

(٢) ابن العماد الحنبلى ،ابن العماد عبد الحى : شذرات الذهب، جـ٨ ص١١٠ .
(يقول ان الكردى هاجم البرتغال واليمن فى حدود سنة ٩٢١ هـ ولـم يشر الى المعركة الأولى بينه وبين البرتغاليين).
— الطبرى، محمد بن على : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٧٠ .
(يقول أن الكردى دخل الهند لدفع الافرنج وأن الافرنج تحصنوا فـى القلعة تسمى كده ، وأن الكردى عاد بعدها وفتح اليمن دون الاشارة الى معركته الأولى مع البرتغاليين) .
— العرشى ، حسين : بلوغ المرام ، ص ٥٨ .
(يقول أن الكردى استجاب لطلب الامام شرف الدين امام الزيدية فـى الهجوم على الدولة الطاهرية لما قام به سلطان الدولة الطاهرية مـن ظلم من البلاد) .
— شرف الدين، احمد حسين:اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبـل الميلاد الى القرن العشرين ، دراسة جغرافية تاريخية سياسية شاملة مزينة بالصور والخرائط ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص ٥٤٠ .
— الخربوطلى ، د. على حسنى . الاسلام فى حوض البحر المتوسط ، ص٦٤ (يقول أن المماليك فتحوا اليمن تأمينا لهم من الضغط البرتغالى دون ذكر لما وقع بين الكردى وعامر بن عبد الوهاب) .

(٣) ماهر ، د. سعاد : البحرية فى مصر الاسلامية ، ص ١٣٢ .

ومهما يكن فان الحروب الجانبية التى قامت بين الأسطول المملوكى والدولة الطاهرية باليمن ، قد أضعفت من قوة تلك الحملة الموجهة أصلا لقتال البرتغاليين ، وكان على كل من حسين الكردى وسليمان الرومى وعلى عامر ابن عبد الوهاب أن ينظروا الى مصلحة الأمة الاسلامية بنظرة أوسع ، ولا يدخلون فى حرب لم يستفد منها الا البرتغاليون .

٦ — موقف العثمانيين من الخطر البرتغالى فى البحر الأحمر :

بينما كان الغزو البرتغالى على جنوب العالم الاسلامى ، المستهدف تخريب الأماكن المقدسة فى الحجاز ، كانت الدولة العثمانية تقوم حركة الجهاد الاسلامى فى شرق ووسط أوربا ، تفتح المدن وتهزم الجيوش الصليبية ، التى كانت تحاول أن تقف فى وجه نشر الدعوة الاسلامية فى أوربا ، ولقد استطاعت هذه الدولة الفتية أن تصل فى فتوحاتها الى فيينا ، وتقدم العون والمساعدة فى صد الهجوم الصليبى على شمال أفريقيا ، وامتد نفوذها الى حدود مراكش ، وكان من الضرورى أن يمتد النفوذ العثمانى الى كامل شمال أفريقيا ، لكى تطل على المحيط الأطلسى ، لتقطع الطريق على البرتغاليين الذين كانوا يمرون عبر شواطئ أفريقيا الغربية الى جنوب العالم الاسلامى .(١)

ومنذ بداية الحروب بين الدولة المملوكية والبرتغاليين ، طلب المماليك من الدولة العثمانية مدهم بالأسلحة النارية ، لكى يستطيعوا حماية الأماكن المقدسة فى الحجاز .(٢)

---

(١) غيث ، فتحى : الاسلام والحبشة ، ص ١٥٨ .

(٢) البهكلى ،عبد الرحمن : نفح العود ، ص ١٩ .

ولقد أدرك السلطان العثماني بايزيد الثاني أن البرتغاليين سوف يحاولون الوصول الى مكةوالمدينة ، ولذلك وعد بارسال السلاح ومساعدة الدولة المملوكية .(١)

وكانت الدولة العثمانية من أقوى الدول الاسلامية في ذلك الوقت ، حيث أنها بعد سقوط دولة المماليك ، وجهت مجهودها في حماية السواحل الاسلامية ومنها الحجاز وغيره من الأماكن الاسلامية ، وبخاصة بعد أن تحالف الصفويين في فارس ضد الدولة العثمانية مع القوى الصليبية البرتغالية .(٢)

وتجلت المساعدات العثمانية للدولة المملوكية بعد هزيمة المماليك في موقعة ديو سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م ، حينما حاول الغوري بناء أسطول جديد ، وكان يحتاج الى الخشب والحديد ، وقد فرضت البابوية تحريم بيعها للمماليك ، فحاول الغوري اللجوء الى البندقية لمساعدته ، ولكنها اعتذرت عن ذلك ، فطلب الغوري من الدولة العثمانية زمن السلطان بايزيد الثاني العثماني المساعدات وقد استجابت الدولة العثمانية لذلك ، ففي شوال سنة ٩١٦هـ/١٥١٠م ، وصلت الى بولاق بمصر عدة سفن تحمل الكثير من المؤن والمكاحل والأسهم والبارود والحديد وكثير من الأموال مساعدة من الدولة العثمانية ، ولقد حاول الغوري أن يعطي الدولة العثمانية ثمنا لما قدمته ، فرفضت لأن هدف العثمانيين هو حماية الأماكن المقدسة .(٣)

---

(١) زغلول ، سعد : البرتغاليون والبحر الأحمر ، ص ١١٢ .

(٢) جمعة ، د. بديع : تاريخ الصفويين ، ص ٩٧ .

(٣) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٢٨ .

اليوزبكي ، د. توفيق : تجارة مصر البحرية ، ص ١٣٣ .

ولقد بعث العثمانيون أيضا بحوالى ألفين من البحاره العثمانية الى المماليك برياسة سليمان الرومى ، (١) ولكن العثمانيين الذين كان هدفهم نشر الاسلام فى أوربا ، حينما رأوا عجز المماليك عن مقاومة البرتغاليين المستهدف فى الاستيلاء على الاماكن المقدسة ، رأى السلطان العثمانى سليم الأول أن يقوم بمهاجمة أنصار البرتغاليين فى فارس ، ومن ثم الاستيلاء على الشام ومصر والحجاز من أيدى الدولة المملوكية ، التى كانت ضعيفة القوى نتيجة الصراعات الداخلية وحروبها الخارجية خوفا من استلاء أحد القوتين الصفوية أو البرتغالية على البلاد المملوكية وغيرها من البلاد الاسلامية وبذلك يشكلون خطرا على الدولة العثمانية نفسها .

ولقد استطاع العثمانيون دخول تبريز فى فارس عام ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م ، ثم اتجهوا نحو المماليك وقضوا على دولتهم سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م ، ووصلوا الى سواحل المحيط الهندى ، لكى يتصدوا للبرتغاليين . (٢)

وبعد خضوع الحجاز للدولة العثمانية سلميا ، حينما بعث الشريف بركات ابن محمد حاكم الحجاز أبنه الشريف ابن نمى لمواجهة السلطان سليم خان فى القاهرة سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م ، فقابله السلطان سليم بالعناية والرعاية واشركه مع والده فى أدارة أمرة الحجاز . (٣)

---

(١) سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثمانى الأول لليمن ، ص ٧٨ .
— صيرفى ، نوال : النفوذ البرتغالى فى الخليج ، ص ١٠٨ .
— البحراوى ، محمد : فتح العثمانيين عدن ، ص ٤٧ .
— ماهر ، د . سعاد : البحرية فى مصر الاسلامية ، ص ١٣١ .

(٢) شاكر ، محمود : المسلمون فى بورندى ، ص ٢٢ .
— الخربوطلى ، على : الاسلام فى حوض البحر المتوسط ، ص ١٦٤ .
— سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثمانى الأول لليمن ، ص ٩٦ .

(٣) العصامى ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ ٤ ص ٢٩٢ .

واتفقا على شروط تميز الحجاز فى علاقته بالدولة العثمانية عن الولايات التى خضعت لها مثل مصر والشام وغيرها منها تركت حكم الحجاز فى أسرة الاشراف آل قتاده الذين يقومون باختيار هذا الحاكم منهم وما على الدولة العثمانية الا التصديق والاعتراف اضافة الى اعفاء الحجاز من التجنيد بل ترسل القوة من الدولة العثمانية لمساعدة الحجاز ضد أى خطر وكذلك ترسل المساعدات المادية والغذائية من الدولة العثمانية بدلا من اخذها من الحجاز الى آخر ذلك .

وطلب السلطان من حاكم الحجاز الشريف بركات بن محمد قتل حسين الكردى الوالى المملوكى بجده لما قام به من فساد فى اليمن والحجاز ،[١] وبعث الأمير أسكندر أمير طائفة المماليك باليمن بأن يقيم الخطبة للعثمانيين .[٢]

ولقد نفذ حاكم الحجاز الشريف بركات بن محمد طلب الدولة العثمانية ضد الكردى نتيجة لاعماله البطشية فى الحجاز واليمن كما ذكرنا .[٣]

وفى أثناء خوض العثمانيون حربهم مع المماليك قام البرتغاليوم بمحاولة لغزو الحجاز فتصدى لهم الأمير سليمان الرومى ببقايا أسطول مصر ، وتمكنت القلاع من المساهمة فى صد الهجوم البرتغالى على جده سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م ، وكان قائد الأسطول البرتغالى لوبو سواريز ، الذى انسحب الى مياه المحيط الهندى بعد هزيمته .[٤] انظر ملحق رقم (٧) .

---

(١) الحضرواى ، أحمد : الجواهر المعده ، ص ٥٢ .

(٢) الموزعى ، عبد الصمد : الاحسان فى دخول سلكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان (أو تاريخ الموزعى فى الدولة العثمانية) مخطوط ص ٧ .

(٣) الشبلى ، محمد : السنا الباهر ، ص ٢٢٠ .
- طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ١٣١ .

(٤) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٠٢ .

==

ثم بعد ذلك فى سنة ٩٢٥هـ/١٥١٩م ، أبدى السلطان العثمانى سليم اهتماما بطريق التجارة بين الشرق والغرب ، فساعد فى بناء أسطول كبير وبناء ترسانة ضخمة للسفن فى القرن الذهبى فى استامبول ، كما أعاد بناء الترسانات القديمة فى غاليبولى ، (١) وسعى لاجتذاب أمراء جنوب الجزيرة العربية اليه فى محاولة لفك الحصار البرتغالى عن العالم الاسلامى .

== ماهر ، د. سعاد : البحرية فى مصر الاسلامية ، ص ١٣٣ .

ANGELO PESCE: JIDDAH, 88.

(يقول المؤلف أن لوبو سواريز أغار على ميناء زيلع ونهبه وأحرقه فى نفس العام) .

(١) الشناوى ،عبد العزيز : الدولة العثمانية ، جـ ٢ ص ٨٨٦ .

الفصل الثالث

الأوضاع الاقتصادية في تلك الفترة

الفصل الثالث

الأوضاع الاقتصادية فى تلك الفترة

١ ـ الحج والمردود الاقتصادى :ـ

كان لموسم الحج المتكرر كل عام ، كبير الأثر على الازدهار التجارى فى مكة المكرمة والمدينة المنورة وجده ، وبلاد الحجاز بصفة عامة ، ولكن سيطرة المماليك على الحجاز ، جعلهم يفرضون الكثير من المكوس على الحجاج والتجار ، لجنى أكبر قدر ممكن من الأموال ،[١] خلاف ما كان سلاطين المماليك يفرضونه على التجار وغيرهم من المجاورين بمكة المكرمة من مكوس وأحكام ، ومن ذلك ما أمر به السلطان المملوكي برسباى سنة ٨٣٠ هـ/١٤٢٦ م أن ينادى يوم عرفه أن من اشترى بضاعة من بضائع التجار وسافر بها الى غير القاهرة حل دمه وماله للسلطان ،[٢] مما اضطر التجار أن يسافروا الى القاهرة مع الركب المصرى لتؤخذ منهم المكوس على بضائعهم وعندما ثار السخط على هذه السياسة المملوكية المبنيه على الطمع ، من قبل الحجاج والتجار وأهل الحجاز وحكامه ومن بعض ملوك العالم الاسلامى فى ذلك الوقت، مثل ملك العراق ، عندئذ أوعز السلطان المملوكي جقمق الى بعض الفقهاء ، باصدار فتوى تؤيد أخذه المكوس ، فأصدر القضاة الأربعة بجواز أخذه لتلك المكوس فى سنة ٨٤٣ هـ/١٤٣٩م ، ولعل ذلك القرار الذى اتخذه الفقهاء يرجع الى خوفهم على مناصبهم ، وأن يعزلهم السلطان المملوكي منها .[٣]

---

(١) ابن فهد : عمر ، اتحاف الورى ، جـ ٤ ص ٤٤ .

(٢) المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٦٤٧ .

(٣) المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٤٤ .
(ابتدعت المكوس على الحاج فى مكة المكرمة زمن أميرها الشريف جعفر بن محمد ابن الحسين الذى تولى حكم مكة المكرمة سنة ٣٥٨هـ لحاجة البلاد الى ما تنفقه ولم يعارضه الفاطميين ولم يمنعه العباسيين)
ـ السباعى ، احمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص ١٩٧ .

ولكن عند ما تولى زمام الحكم السلطان قايتباى المملوكى ، أراد أن يبدأ عهده فى الحكم المملوكى بصورة حسنه أمام العالم الاسلامى ، وخاصة وأن الدولة المملوكية كانت فى ذلك الوقت حامية الحرمين الشريفين ، فبدأ عهده بابطال بعض المكوس عن الحجاج والتجار فى موسم حج سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٨م ، وكتب ذلك على اسطوانة من أساطين الحرم المكى الشريف بباب السلام .(١)

ومما سبق نرى أن موسم الحج فى مكة المكرمة كان له كبير الأثر فى البيع والشراء ، لارتباط مكة بمينائها التجارى فى جده ، ذلك الميناء الذى كان من أهم الموانى التجارية بين عدن والشام ، أو بين الشرق وما يحويه من تجارة هامة وبين دول أوربا ، بالاضافة الى الطريق البرى التجارى المار بمكة المكرمة .(٢)
انظر الطرق التجارية البرية والبحرية المارة بالحجاز ، ملحق رقم (٨) .
ولكن الخصومات التى كانت تحدث بين أشراف الحجاز فى بعض الأحيان ، بالاضافة الى قلة الموارد فى الجزيرة العربية عامة ، أدى فى بعض الأوقات الى الكثير من السلب وقطع الطريق على قوافل الحجيج والتى كانت فى نفس الوقت قوافل تجارية ، مما أدى الى فزع الحجاج فى بعض الأوقات وأحجم الكثير منهم عن تأدية هذه الفريضة .(٣)

ولقد كان لأشراف الحجاز نصيب وافر من أرباح التجارة والمكوس المفروضة على الحجاج والتجار ، وكان سلاطين المماليك كثيرا ما يطمعون فى حق الأشراف من الأرباح ، مثلما حدث فى سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م ، عند ما بعث قايتباى الى

---

(١) السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ص ١٦٩ .
(٢) السيد ، رجب : عمر الفاروق ، المدينة المنورة اقتصاديات المكان ، السكان المورفولوجيه ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، جده ، سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص ٣٩ .
(٣) البحراوى ، د . محمد : فتح العثمانيين عدن ، ص ٣٨ .

الشريف محمد بن بركات أمير الحجاز ، بأن الأرباح المتحصلة على البضائع الواصلة من اليمن ، من بضائع الهند تكون بالنصف بينه وبين الشريف ، ولم تجر بذلك عادة من قبل ، حيث كانت جميع هذه الأرباح من نصيب شريف مكة ،[١] مما جعل الحجاج وسكان الحجاز يخافون ظلما يقع من الشريف محمد بن بركات عليهم ، لسد ما نقص من دخله الذى كان مهما له ولأشراف الحجاز ، لكى يستطيعوا الايفاء بالتزاماتهم المالية تجاه الدولة المملوكية ، ولم يكتف قايتباى بذلك بل أخذ يتوسع فى طمعه فتراه يقوم بفرض سعر للبضائع الواصلة من الهند غصبا ، كما احتكر لنفسه صناعة السكر والقصب ، وتدخل فى كل شيء من فروع التجارة ، بعد أن انتزعها من التجارة الكارميه ، مما أدى الى زيادة أسعار التوابل والسلع الشرقية عامة .[٢]

ولعل ما قام به قايتباى يعود الى ما كانت تواجهه الدولة المملوكية من ثورات داخلية من قبل المماليك أنفسهم ، وطلباتهم المالية الكثيرة ، بالاضافة الى الحروب التى كانت تخوضها الدولة المملوكية ضد الدولة العثمانية ، ومواجهتها لبعض الحملات الصليبية ضد موانيها فى البحر المتوسط ، ولكن هذه السياسة المملوكية تجاه الحجاز اعتدلت بعض الشيء ، بعد ما قام قايتباى بأداء فريضة الحج سنة ٨٨٤ هـ/١٤٧٩م ، فلقد رأى قايتباى أن يقوم بارضاء الشريف محمد ابن بركات ، والتخفيف عن سكان الحجاز ، لما قد يكون رآه فيهم من حالة اقتصادية ليست مرضية ، فأنعم مرة أخرى على شريف مكة محمد بن بركات بجميع عشور اليمانى بعد أن كان يأخذ منه النصف قبل ذلك ، وتصدق بالكثير من الأموال على فقراء

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ ٢ ص ٥٢٢ .
— الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٨ .
— العصامى ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ ٤ ص ٢٧٧ .

(٢) السليمانى ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٩ .

الحرمين الشريفين والمجاورين فى المدينتين المقدستين .[1]

وعليه فان موسم الحج وقوافل الحجيج التى كانت تضم بين طياتها تجارة يقوم الحجاج بنقلها معهم من بلدانهم فى شتى أنحاء العالم الاسلامى الى مكة والمدينة ، والمبادلات التجارية التى تحدث فى أثناء موسم الحج ، وما ينفقه هؤلاء الحجاج والتجار فى الحجاز من أموال وصدقات ، بالاضافة الى ما يوقفه سلاطين الدول الاسلامية وكبار المحسنين فى مكة والمدينة من أوقاف ، كانت من أهم مقومات الحياة الاقتصادية فى الحجاز ،[2] وان تأثرت الحالة الاقتصادية فى الحجاز بالحالة الاقتصادية للدولة المملوكية ، التى كانت تواجه كثيرا من المشاكل الداخلية والخارجية ، كما ذكرنا ، وكذلك تأثرت بالفتن التى قامت بعد وفاة الشريف محمد ابن بركات فى سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧م ، عندما قام ابناء الشريف محمد بن بركات ضد أخيهم الشريف بركات بن محمد الذى تولى أمرة الحجاز بعد وفاة والده الذى عينه شريكا له فى حياته تمهيدا لولاية عهده بعده وفاته فقام أولا الشريف هزاع ابن محمد بمنازعته السلطة ثم بعد وفاته تولى الشريف أحمد الجازانى بن محمد قيادة الثورة على اخيه الشريف بركات ثم تولى بعدهم قيادة تلك الثورة أخيهم وقبائل زبيد بالاضافة الى الشريف يحيى بن سبع أمير ينبع ، وما صاحب ذلك من سلب لقوافل الحجيج ولمكة والمدن الأخرى اضافة الى مهاجمة المحامل القادمة

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ ٢ ص ٥٢٣
— الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٤
— الرشيدى ، أحمد : حسن الصفا ، ص ١٤٧ .
— السليمانى ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٩ .

(٢) السليمانى ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٧١ .
— السباعى ، أحمد : تاريخ مكة جـ ١ ص ٣٢٢ .

من مصر والشام ، لعدم مساعدتهم أو لهدف اثارة أضطراب الحالة الأمنية عامة بالحجاز لاجبار السلطة المملوكية على تأييدهم لتضمن مصالحها المادية والمعنوية فى الحجاز .

٢ ـ الموانى الحجازية والتجارة الدولية :

أ ـ نبذة عامة عن الموانى الحجازية :

أن الباحث فى النشأة الأولى للموانى الحجازية ، على ساحل البحر الأحمر الغربى وتاريخها ، قد يجد صعوبة فى ذلك ، وبخاصة فى فترة بحثنا هذا لأن مصادر التاريخ لم تذكر لنا الا ما هو مهم من هذه الموانى ، والمرتبط تاريخنا بأحداث الحجاز وتجارته أو ما هو مرتبط بالحجيج القادم الى مكة المكرمة ، أو الى زيارة المسجد النبوى الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وكان من أهم الموانى فى تلك الفترة ، ميناء جده ، ثم ينبع ، ثم رابغ ، ولقد كانت هناك موانى أخرى لا يتعدى تاريخها القرن الخامس الميلادى .(١)

ومنذ سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م ، عندما بدأ الغزو المغولى للدولة العباسية واستيلائهم على عاصمتهم بغداد ، نجد أن معظم طرق التجارة الأسيوية بين الشرق والغرب لم تبق آمنة ، بسبب الحروب المدمرة التى قام بها المغول ، فأصبح طريق الخليج العربى التجارى غير آمن ، الأمر الذى شجع تحول الثقل التجارى ، عبر البحر الأحمر لما امتاز به من أمن وبعدا عن الاخطار المغولية ، وكان يسى فى

---

(١) الرويثى ،د محمد احمد :الموانى السعودية على البحر الأحمر ، دراسة فى الجغرافيا الاقتصادية ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، سنة ١٤٠٣ ، ١٩٨٣م ، ص ١٦٩ .

ذلك الوقت بحر الحجاز ،[١] مما أدى الى ازدهار التجارة فى موانيه مثل ، جده وينبع وجيزان والوجه والقنفذة[٢] ولم يكن البحر الأحمر قبل ذلك غير معروفا من ناحية أهميته التجارية ، فلقد اشتهرت بعض موانيه بظهور الاسلام ، ومن هذه الموانى الجار ،[٣] أولا ثم ينبع ثانيا فى القسم الأوسط من الساحل أمام المدينة المنورة . والشعيبة ،[٤] وجده مقابل مكة المكرمة ، لتكون منافذ بحرية تصل عن طريقها المعونات الاقتصادية التى تنقل عبر البحر الأحمر من مصر وغيرها الى الحجاز، زمن الخليفة عمر بن رضي الله عنه ،[٥] واستمرت بعد ذلك موانى تستجذم على طريق المواصلات البحرية الموصله بين طرق التجاره والحجيج ،وكان ضمن محطات الطريق

---

(١) ربيع : د . حسنين ، بحر الحجاز فى العصور الوسطى ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، العدد الأول ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م ، ص ٤٠٧ .
— صيرفى ، نوال النفوذ البرتغالى فى الخليج ، ص ٤٧ .

(٢) الرويشى : محمد ، الموانى السعودية ، ص ١٠٥ .

(٣) الجار : هو مرسى قريب من جده ترسى فيه المراكب الوارده من الديار المصرية ، جمال الدين أبى الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بأبن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، صححه وضبطه أوسكر لوففرين ، الطبعة فى مدينة ليندن ، مطبعة بريل سنة ١٩٥١م ، القسم الأول ، ص ٥٠ .

(٤) الشعيبة : خور عظيم ومرسى قديم مقابل وادى المحرم وقد يرجع استخدامه الى ما قبل استخدام ميناء جده .
— ابن المجاور : يوسف ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، القسم الأول ، ص ٤٢ .

(٥) ابن فهد : محمد ، رسالة فى فضل جده وشيء من خبرها ، دراسة د . عبد المحسن مدعج المدعج ، مستلة من مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد ٣١ ، الجزء الأول جمادى الأول شوال ١٤٠٧ هـ ، يناير يونيو ١٩٨٧م ، ص ٢٠٠ .
— الرويشى ، محمد : الموانى السعودية ، ص ٧٤ .
— باقاسى ، عبد الله : بلاد الحجاز فى العصر الأيوبى ، رسالة ماجستير ٩٩/١٤٠٠ هـ ، ٧٩/١٩٨٠م ، ص ٨٣ .

الموصله بين مكة المكرمه الى بلاد البحرين وغيرها .[١]

ولقد كان ميناء الجار معروفا قبل ظهور الاسلام فى الجزيرة العربية ، وبعد أن أصبح الميناء الرئيسى للمدينة المنورة اكتسب شهرة ، بحيث أصبح البحر الأحمر يعرف ببحر الجار ، وكان مدينة أهله عامرة بالسكان ، ثم ضعف شأنه منذ القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ،[٢] ثم فى أواخر القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى ، انتهى دور ميناء الجار ، وصار التجار والحجاج يركبون البحر الى ميناء جده ، الذى اشتهر معه فى ذلك الوقت ميناء ينبع الذى كان معروفا منذ زمن بعيد ولكن لم يشتهر الا عندما اتخذه الأيوبيون ميناء للمدينة المنورة .[٣]

ومن الموانى الحجازية على البحر الأحمر والتى ضعف شأنها بعد أن أصبحت جده وينبع هما الميناءان الرئيسيان فى الحجاز ، حلى وهى مدينة على

---

(١) القلقشندى ، ابى العباس أحمد بن على : صبح الاعشى فى صناعة الانشاء المؤسسة المصريه العامه للتأليف والترجمه والطباعه والنشر ، جـ ٥ ص ٥٧ .

(٢) أبو اسحاق الحربى، ابراهيم : كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة العربية ، ص ٤٢٥ .
— الحموى ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ص ٥ .
— الحميرى ، محمد : الروض المعطار من خبر الأقطار (معجم جغرافى) مع سرد عام ، تحقيق د . احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، سنة ١٩٧٥م ، ص ١٥٣ .
— الجاسر ، حمد : بلاد ينبع ص ٤٧ .
— الرويثى ، محمد : الموانى السعودية ، ص ٧٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

ساحل البحر الأحمر ، بينها وبين مسيوة ثمانية ايام ،[١] والسرين على ساحل البحر الأحمر ، بينها وبين مكة أربعة أيام ،[٢] وميناء الخربة على البحر الأحمر ،[٣] وميناء الخريقين ويقع بين مكة المكرمة والسرين على البحر الأحمر ،[٤] وميناء الشقان هو ميقات أهل اليمن من البحر وهو موضع يقابل يلملم ،[٥] وميناء ساحل ثغر .[٦] انظر ملحق رقم (٩) عبارة عن خارطة توضح أهم الموانى الحجازية على البحر الأحمر .

وليس معنى ضعف شأن مثل هذه الموانى هو أنها هجرت نهائيا ، فلقد كانت تستخدم فى بعض الأحيان مثلما حدث سنة ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م ، حيثما جهز صاحب اليمن المنصور نور الدين جيشا كثيفا الى مكة المكرمة ، فلما علم بهم العسكر الذين بمكة كتبوا الى ملكهم فى مصر يطلبون منه النجدة ، فبعث اليهم نجده ،

---

(١) أبى الفداء ، اسماعيل : تقويم البلدان ، ص ٩٣ .
ـ الحموى ، ياقوت ، معجم البلدان جـ٢ ص ٣٣٧ .

(٢) ابن حوقل ، أبى القاسم : صورة الأرض ، ص ٣٢ .
ـ ابن المجاور ، يوسف : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، ص ٥٣ .
ـ أبى الفداء ، اسماعيل : تقويم البلدان ، ص ٩٣ .
ـ الحميرى ، محمد : الروض المعطار ، ص ٣١٢ .
ـ الحموى ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ص ٣٣٧ .

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ ١ ص ٥٨٤ (حاشيه) .

(٤) المصدر السابق ، جـ ١ ص ٦٠٢ (حاشيه) .

(٥) المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٨٤ (حاشيه) .
وفى الجزء الثانى من نفس المصدر وفى الصفحة ٣٠٢ يذكر المؤلف أن هذا الميناء كان مستخدما فى عهد أمير مكة المكرمة الشريف حسن بن عجلان وكانت تجلب اليه بضائع من الدول .

(٦) ابن المجاور ، يوسف ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، القسم الأول ، ص ٥٤ (يعرف بشرم الجارية وما عرف الا أنه خاضته الحجاج) .

فلما علم بذلك عسكر اليمن أقاموا بالسرين وكتبوا الى المنصور فى اليمن بذلك ، فتجهز بنفسه الى مكة المكرمة فى عسكر جرار .(١)

وهذا يدل على أن الموانى الحجازية على البحر الأحمر ، لم تكن غير معروفة ، ولكن بانتقال الخلافة الاسلامية من المدينة المنورة الى دمشق ، ثم الى بغداد ، أصبحت هذه الموانى غير ذات أهمية ، الى أن كان حدوث الغزو المغولى كما ذكرنا للدولة العباسية ، وأصبحت طرق التجارة المارة بالخليج العربى غير مأمونه ، فعادت للبحر الأحمر أهميته التجارية .(٢)

وبعد أحياء الخلافة العباسية فى القاهرة على أيدى سلاطين الدولة المملوكية التى استطاعت صد الهجوم المغولى على البلاد الاسلامية ، ومد نفوذها الى الحجاز ، وبالتالى على طول ساحل البحر الأحمر من أيلة حتى عدن ، لتأمين مرور القوافل البحرية ، وسفن الحجاج المارة بطريق البحر الأحمر .(٣)

وكانت السفن تخرج من عدن لتدخل البحر الأحمر الى عدة موانى فيه مثل جده أو ينبع وذلك فى موسم الحج أو بعده ، أو من عدن الى الموانى المصرية مثل الطور وعيذاب والقصير والسويس .(٤)

ولقد حاولت الدول الاسلامية التى كانت لها السيطرة على الحرمين الشريفين منذ الحروب الصليبية التى شنتها دول أوربا ضد العالم الاسلامى ، ومحاولة

---

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ ٣ ص ٥٧ .

(٢) الرويثى ، محمد : الموانى السعودية ، ص ١٧٨ .

(٣) الموزيكى ، توفيق : تجارة مصر البحرية فى العصر المملوكى ، ص ٣٥ .

(٤) أمين ، محمد : تجارة البحر الأحمر ، ص ١٢٦ .

الصليبيين الوصول الى الحجاز لتخريب المدن المقدسة الاسلامية ، حاولت فرض حظر على دخول البحر الأحمر بالنسبة للأوروبيين ، لحماية الأراضي المقدسة ، ولخشيتها من قيام تحالف صليبي بين دول أوربا وبلاد الحبشة المسيحية ، في حين كان يسمح بدخول بعض المسيحيين وبخاصة الايطاليين ، بعد منحهم جوازات مرور ، لما كان قائم من علاقات تجارية بين دولة المماليك ، وبعض مدن ايطاليا مثل جنوه والبندقية .(١)

وسنقوم في هذه الفقرة بذكر لبعض موانى الحجاز الهامة ودورها التجارى في فترة بحثنا هذا .

ب – ميناء جده :

كانت الشعيبة ميناء مكة المكرمة قبل ظهور الاسلام بنوره على الجزيرة العربية واستمرت بعض الشيء بعد قيام الدولة الاسلامية الأولى ، الى أن كان عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه الذى حول الامدادات الاقتصادية التى كانت تصل مكة من مصر الى ميناء جده سنة ٢٦ هـ/٦٤٦م ، وذلك بناء على طلب سكان مكة المكرمة .(٢)

---

(١) امين ، محمد : تجارة البحر الأحمر ، ص ١٣٢ .

(٢) ابن فهد ، محمد : رسالة في فضل جده وشيء من خبرها ، ص ٢٠ .
– الرويثى ، محمد : الموانى السعودية ، ص ١٧٧ .
– السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٩٢ .
(يقول المؤلف أن جده لم تصبح ميناء مكة قبل القرن التاسع الهجرى ، وهذا غير صحيح لأن جده كما ذكرنا كانت ميناء مكة منذ سنة ٢٦ هـ) .

وكما أدى انتقال الخلافة الاسلامية الى دمشق وبغداد الى عدم شهـــرة الموانى الحجازية أو غيرها فى البحر الأحمر ، الا بعد أن اجتاح المغول بغداد ، مما جعل التجار يفضلون نقل بضائعهم عبر طريق آمنه الى السواحل المصريـــة ، لتنقل منها الى دول أوربا أو الى السواحل الشامية ، لتنقل منها كذلك الـــى الدول الأوربية ، فكان أمامهم طريق البحر الأحمر ، الذى كان بعيدا عن الصـراع والحروب التى اجتاحت البلاد الاسلامية من جراء الغارات المغولية ومن التتبـــع التاريخى لتطور مدينة جده ، نجد أنها فى القرن السادس الهجرى الثانى عشـر الميلادى كما وصفها ابن جبير فى رحلته ، بأنها قرية وأن أهلها ليسوا أغنياء [١].

ثم فى القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى ، بعد أن أخذت التجارة تزدهر فيها ، نجد أن ابن بطوطه فى رحلته يصفها ، بأنها بلدة قليلة السكان [٢].

ثم بعد ذلك فى القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى ، وصفهـــا أبو عبد الله محمد الحميرى ، بأنها بلدة فخمة وأن أهلها مياسير [٣]. وذلـــك لازدهار التجارة الشرقية المارة بها حيث كانت ميناءاً عظيما تصل اليها السفن مـن مصر واليمن [٤].

---

(١) ابن جبير ، أبى الحسن محمد بن أحمد : رحلة ابن جبير (رسالة اعتبار الناسك فى ذكر الأثار الكريمة والمناسك) دار مكتبة الهلال ، بيروت ، سنة ١٩٨١ م ، ص ٤٧ .

(٢) ابن بطوطه ، أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتى : رحلة ابن بطوطة ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م ، ص ٢٤٢

(٣) الحميرى : محمد ، الروض المعطار ، ص ١٥٧ .

(٤) القلقشندى : أبى العباس أحمد بن على ، صبحى الاعشى ، جـ ٤ ص ٢٤٧ .

وربما يرجع سبب تأخر مدينة جده فى القرن السادس الهجرى ، الثالث عشر الميلادى لسبب الحروب الصليبية التى اجتاحت العالم الاسلامى ، على أيدى الغزاه الغربيين .(١)

حيث نشطت التجارة فى البحر الأحمر منذ العهد الفاطمى ، الذى كان فى صراع مع الخلافة العباسية السنية فى بغداد ، فلقد حاول الفاطميون تحويل تجارة الشرق من الخليج العربى الى البحر الأحمر ، لاضعاف الخلافة العباسية من الناحية الاقتصادية .(٢)

ثم ما تلى ذلك من غزو مغولى للدولة العباسية كما ذكرنا ، أدى فى النهاية الى تحويل التجارة من الخليج العربى الى البحر الأحمر ، وليس معنى ذلك أن البحر الأحمر وموانيه كانت خالية من السفن التجارية أو من سفن الحجاج قبل ذلك ، فلقد كان طريقا مسلوكا من مصر الى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، فلقد كان حجاج مصر والمغرب وغيرهم يصلون الى مدينة السويس فى مصر ، وهى تطل على البحر الأحمر ، ثم يركبون البحر قاصدين شواطئ الحجاز ، وفى زمن الحروب الصليبية تعطل هذا الطريق ، فلقد سلك الحجاج طريقا آخر حيث كانوا يركبون النيل الى مدينة قوص ، ومنها يسلكون الصحراء الى ميناء عيذاب على الساحل الشرقى للبحر الأحمر والمواجه لمدينة جده ، ثم يعبرون البحر الأحمر الى جده .(٣)

---

(١) الرويثى : محمد ، الموانى السعودية ، ص ٢٥٦ .

(٢) ربيع : حسنين ، بحر الحجاز فى العصور الوسطى ، ص ٤٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٠ .

وكانت عدن مركزا لتجمع تجارة بضائع الشرق الأقصى والهند وشرق أفريقيا ولقد اعتنت كل من الدولة الطاهرية والرسولية من قبلها في اليمن بالشئون التجارية ، وحسن معاملة التجار ، غير أن هذه السياسة تبدلت أيام الملك الناصر والملك المنصور زمن الدولة الرسولية ، اذ ظهرت المظالم ومصادرة الأموال (١)، فنزل أحد قادة السفن التجارية سنة ٨٢٥ هـ/١٤٢٢م ، بسفنه من قاليقوط على الساحل الهندى الى جده مباشرة ، ولكن لم يجد مؤيدا له من عمال شريف مكة المكرمة الذين استولوا على حمولة سفنه من البضائع بالسعر الذى حددوه (٢) فعاتب الملك الأشرف صاحب مصر الشريف حسن بن عجلان على ذلك (٣).

حيث يقول المؤرخ نجم الدين عمر بن فهد عن أخبار سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م (وفيها قدم من كاليكوت من بلاد الهند ناخوذه اسمه ابراهيم ، فلما مر على باب المندب حور الى جده بطراده حنقا من صاحب اليمن لسوء معاملته التجار ، فأستولى السيد حسن بن عجلان على ما معه من البضائع فطرحها على التجار بمكة ، ولم يعلم بأن مراكب الهند تعدت باب مندب عدن) (٤).

ولقد حاول هذا التاجر أن يبيع بضائعه فى سواكن فى العام الذى يليه سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٣م ، ولكنه لقى نفس المعاملة التى لقيها من أشراف الحجاز (٥).

---

(١) الشيقح ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٣٤ .
— طرخان ، ابراهيم على : مصر فى عصر دولة المماليك ، ص ٢٨٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٦ (يقول سنة ٨٢٦ والأصح ٨٢٥) .
(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ ٢ ص ٣٤١ .
(٤) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ ٣ ص ٥٨٨ .
(٥) المرجع السابق ، جـ ٣ ص ٥٩٧ .
— طرخان ، ابراهيم : مصر فى عصر دولة المماليك ، ص ٢٨٦ .

وفى سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م ، حاول هذا التاجر الوصول الى ينبع ، وكانت فى ذلك الوقت تحت حكم نائب مملوكى الا أن شريف مكة على بن عنان الذى تولى بعد الشريف حسن بن عجلان أخذ فى ملاطفته حتى أرسى سفنه بجده ، فعامله الشريف على أحسن معاملة ، (١) بناء على توصية السلطان المملوكى برسباى ، حيث أن سياسة الدولة المملوكية فى ذلك الوقت كانت قائمة على تحطيم مركز عدن التجارى منذ ازدهار التجارة فى البحر الأحمر ، واحلال ميناء جده مكانها . (٢)

وأخذت جده فى الازدهار ، وتأثر مركز عدن وغيره من الموانى على البحر الأحمر مثل عيذاب والقصير من منافسة جده ، ومنذ ذلك الحين أخذ المماليك بالاهتمام الزائد ببلاد الحجاز ، ذلك لأنها فضلا عن ما كان لها من مكانة روحية لدى المسلمين ، أصبحت مصدرا هاما للأموال بالنسبة لدولة المماليك ، حيث نشطت الحركة التجارية فى البحر الأحمر وأصبحت السفن تحمل تجارة الشرق الى أوربا عبر مصر والشام وكلاهما تابع لدولة المماليك . (٣)

ولقد عمل المماليك على ابعاد نفوذ شريف مكة عن ميناء جده ، وجعله تحت اشرافهم مباشرة ، وعينوا ناظرا عليها من قبل السلاطين المماليك ، وعملوا على أن يجعلوا سلطتهم عليه فعلية بدلا من أسمية ، (٤) علما بأن شريف مكة الحاكم للحجاز كان يأخذ نصف الأرباح التى تحصل على البضائع الواردة من الهند ،

---

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ ٣ ص ٦٠٦ .
طرخان ، ابراهيم : مصر فى عصر دولة المماليك ، ص ٢٨٦ .

(٢) الشيقح ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٣٤ .

(٣) دسوقى ، محمد : أهمية الحجاز فى مطلع العصور الحديثة ، ص ٤٠٩ .

(٤) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ ٤ ص ٣٩ .
ـ اليوزبكى ، توفيق : تاريخ تجارة مصر البحرية ، ص ٦٠ .
ـ السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٥٤ .

وعرفت هذه الأرباح باسم الهندى ، تميزا لها عن رسوم التجارة المكية البرية ، التى عرفت باسم المدنى ، والتى كانت جميعها من حق الاشراف .(١)

وكان يصل لميناء جده فى ذلك الوقت حوالى مائة سفينة مختلفة الأشكال ، تؤخذ منها الرسوم وتحمل لحاكم مكة ، وكانت تلك الرسوم لا تقل عن ٢٠٠,٠٠٠ دينار .(٢)

وعن كيفية نقل تلك البضائع الى مصر ، فقد كان التجار ينزلون بضائعهم فى جده ، ومن ثمه تتولى سفن صغيرة مهمة توصيلها الى السويس .(٣)

ولقد طمع المماليك فى مشاركة أشراف الحجاز فى الأرباح المتحصلة على البضائع الواردة عن الطريق البرى الى الحجاز والتى عرفت كما ذكرنا باسم المدنى والتى كانت من نصيب أشراف الحجاز ، كما حدث فى عهد حاكم الحجاز الشريف محمد بن بركات ، حينما طلب السلطان قايتباى المملوكى سنة (٨٨١هـ/١٤٧٦م) بأن الأرباح المتحصلة على البضائع الواصلة من اليمن من بضائع الهند ، تكون مناصفة بينه وبين الشريف محمد ، حيث لم تجرى بها عادة لأنها من حقوق أشراف مكة المكرمة .(٤)

---

(١) أمين ، محمد: تجارة البحر الأحمر ، ص ١٣٢ .

(٢) زكى ، نعيم : طرق التجارة ، ص ١٤٠ .

— الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ٣٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٤) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ ٢ ص ٥١٢ .

— الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٨ .

— العصامى ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ ٤ ص ٢٧٧ .

ولقد أحس قايتباى غضب الأشراف على الدولة المملوكية ، فتراجع عن قراره فى سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م ، ولقد مرت مدينة جده بفترة اضطربت فيها أحوال التجارة نتيجة لصراع الأشراف أبناء محمد بن بركات على السلطة ، فتعرضت جده وغيرها من المدن الساحلية الحجازية مثل ينبع للغزو والنهب من أطراف النزاع وغيرهم من العربان ،(١) التى كانت تهاجم جده فى أيام الفتن ، فبعث السلطان المملوكى قانصوه الغورى الأمير خاير بك الكاشف سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م بقوة عسكرية لمواجهة المتمردين على سلطة الشريف بركات بن محمد من بنى ابراهيم وزبيد وأخيه حميضه وغيرهم .(٢)

ثم بعد ذلك بعث بالأمير حسين الكردى متوليا على جده لمواجهة المتمردين على سلطة الشريف بركات بن محمد ، بالاضافة الى مواجهة الخطر البرتغالى الذى أخذ يمتد الى البحر الأحمر ، بعد وصول البرتغاليين الى المحيط الهندى عبر طريق رأس الرجاء الصالح ، فقام حسين الكردى ببناء سور حول مدينة جده .(٣)

ولقد بلغت مدينة جده فى ذلك الوقت مركز مرموقا بين الموانى المطلة على البحر الأحمر حيث يقول المؤرخ جار الله محمد بن فهد عن عدد المساجد التى تقام فيها صلاة الجمعة بمدينة جده بأنها مسجدين ، أحدهما يعرف بمسجد

---

(١) الأنصارى ، عبد القدوس : تاريخ مدينة جده ، جـ ١ ص ٦٩ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ ٣ ص ١٨٨ .

(٣) ابن فرج الشافعى ، عبد القادر أحمد بن محمد : السلاح والعدة فى تاريخ جدة ، ص ١٧ – يعقوب ، أحمد محمد السلاح : والعده فى تاريخ بندر جده ، ص ٨ .
(لم تشر المخطوطتين الى أن السور أنشىء أصلا ضد البرتغاليين بل ضد العربان) .

==

الأبنوس والآخر يسمى المسجد العتيق وتقام صلاة الجمعة فى مسجد ثالث فى أيام موسم الهندى .[١]

وهذا يدل على مدى الحركة التجارية فى تلك المدينة وبخاصة فى أثناء المواسم التجارية والدينية ، ونتيجة لتحول تجارة الشرق الى طريق رأس الرجاء الصالح ، أخذت جده فى التدهور الاقتصادى ، غير أن ارتباطها بمكة المكرمة حفظ لها بعض مكانتها لاستقبالها للحجيج القادمين الى مكة المكرمة .[٢] وقد يرجع ذلك التدهور الاقتصادى ايضا الى كثرة الضرائب التى فرضتها الدولة المملوكيه على التجاره الوارده لذلك وغيره من الموانى ،بحيث أصبحت تلك الضرائب المثل عشرة أمثال .[٣]

جـ — ميناء رابع

كما ذكرنا فان البحر الأحمر كان يسمى فيما مضى ببحر الحجاز ، لأهمية الموانى الحجازية المطلة عليه ، وتعود تلك الأهمية لكون الحجاز يضم بين مدنه أقدس مدينتين اسلاميتين ، هما مكة المكرمة والمدينة المنورة ، حيث كان الحجاج من مختلف أنحاء العالم الاسلامى يقصدون مكة فى كل عام لأداء فريضة الحج وزيارة المسجد النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وبعد ازدهار التجارة فى البحر الأحمر أخذ المماليك يطمعون فى دخل الحجاز المادى ، لما كان يعود عليهم من أرباح مالية من الضرائب التى كانت تجلب من التجارة الشرقية التى تفرضها حكومة الحجاز على تجارة الشرق الأقصى المارة بأراضيها وأيضا ما كان يفرضه المماليك على هذه التجارة التى تمر بأراضيهم عندما كانت تتجه ناحية أوربا .

== العصامى ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ ٤ ص ٥٣ .

— الرويثى ، محمد : الموانى السعودية ، ص ٢٥٩ .

(١) ابن فهد ، محمد : رسالة فى فضل جده وشيء من خبرها ، ص ٢٠٠ .

(٢) الفاروق ، عمر : الحجاز المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية ، ص ٢٥٩ .

(٣) ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، جـ ٥ ص ٩٠ .

ولقد استفادت الدولة المملوكية وأمير الحجاز كثيرا من أرباح التجارة ، التى كانوا يجنونها من ميناء جده اضافة الى موانى أخرى ذات أهمية مثل ميناء رابغ ، وهى قرية صغيرة بينها وبين البحر مسافة بسيطة بها صهاريج عذبه المياه ، ويزرع فى أرضها بعض الحبوب والخضروات والحشائش .(١)

وتقع فى الوسط تقريبا بين ميناء جده وميناء ينبع وقريبه من ميناء الجار المعروف قديما ، وبالاضافة لاهتمام المماليك بالطريق البحرى عبر البحر الأحمر ، لما كان يدر عليهم من أرباح ، نجدهم أيضا يهتمون بطرق القوافل التى كانت تخترق الحجاز ، والتى كانت تمر برابغ .(٢)

فلقد كانت رابغ تمثل مجمع مواصلات يجمع ثلاث طرق قديمة أحدهما يتجه نحو الجنوب ويتفرع الى فرعين ، فرع يتجه الى مكة المكرمة ، والآخر الى جده ، والثانى يتجه الى الشرق ويسمى بالطريق الفرعى ، ويتجه الى المدينة المنورة ، والثالث يتجه الى الشمال ويسمى بطريق الغاير ويتجه أيضا الى المدينة المنورة ومنه يتفرع طريق آخر الى ينبع .(٣)

ويتضح أن أهمية رابغ لا تعود لكونها من الموانى على البحر الأحمر فقط ، انما أيضا لكونها ملتقى طرق برية تجارية ، بالاضافة لكونها تمثل الميقات الدينى لحجاج مصر وشمال أفريقيا القادمين فى السفن التى تستطيع دخول هذا الميناء ،

---

(١) الرشيدى ، أحمد : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى امارة الحاج ، تحقيق د . ليلى عبد اللطيف أحمد ، مكتبة الخانجى بمصر ، سنة ١٩٨٠م ، ص ٤٥ .
— الحموى ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ص ١١ .

(٢) دسوقى ، محمد : أهمية الحجاز فى مطلع العصور الحديثة ، ص ٤٠٩ .

(٣) الرويثى ، محمد : الموانى السعودية ، ص ٤٢٥ .

ثم ينزلون بها ويستقولن القوافل الى مكة المكرمة ،[١] مع غيرهم من الحجاج القادمين عن طريق البر مرورا ببلدة الجحفة التى كانت الميقات للاحرام[٢] ، وهى تبعد عن رابغ حوالى ستة عشر كيلو مترا الى الجنوب منها ، ولقد حافظت الدولة المملوكية على هيبتها على طول سواحل الحجاز ، لما كانت لها من قيمة تجارية بحرية أو برية ، بالاضافة الى محافظتها على طرق قوافل الحجيج القادمة من مختلف بلدان العالم الاسلامى .

د – ينبع :

لقد برزت أهمية ينبع عند ما تحولت اليها السفن من ميناء الجار ، وذلك فى العصر الأيوبى من القرن السابع الهجرى ، الثالث عشر الميلادى ،[٣] وهى تعتبر محطة للحجاج السائرين بطريق البر وميناء يرسل سلاطين المماليك من مصر اليه السفن التى تحمل ما يحتاج اليه الحجاج .[٤]

وهى من الموانى التى أسهمت فى تجارة البحر الأحمر فى هذه الفترة وهو ميناء كبير ترد اليه السفن بالغلال كل سنة ،[٥] وتقدر قيمة تجارته كل عام بحوالى ٣٠٠٠٠ دينار ، وله أمير يتبع السلطان المملوكى فى مصر ، وأحيانا يفوض أمير الحجاز بتعيين أمير من قبله ،[٦] والملاحظ انها فى معظم الاحيان تابعه لحاكم مكة المكرمة أو أحد اقاربه .

---

(١) الرويش ، محمد : الموانى السعوديه ، ص ٤٣٢ .
(٢) الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٤٥١ .
(٣) الرويش ، محمد : الموانى السعودية ، ص ٢٩٨ .
(٤) السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٨٩ .
(٥) أبى الفداء ، اسماعيل : تقويم البلدان ، ص ٨٨ ، .
– الحميرى ، محمد : الروض المعطار ، ص ٦٢١ .
– الحموى ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ص ٤٤٨ .
(٦) زكى ، نعيم : طرق التجارة ، ص ١٤٠ .
– الجاسر ، حمد : بلاد ينبع ، ص ٣١ .

وكانت ينبع تستقبل الكثير من السفن التى تحمل الرجال والزاد للمدينة المنورة ، وما يحتاج اليه أمراء الحج ، فكانت محطة بحرية وبرية ضمن مجموعة محطات الطريق البرى البحرى ، الذى كان يربط تجارة الشرق الأقصى بمصر وأوربا .(١)

وكان فى ينبع قلعة كبيرة بها المدافع والعسكر لحمايتها من السلب والنهب، وقد يرجع تحصين ينبع الى خوف المماليك من أن يفكر البرتغاليون بعد غزوهم لجنوب العالم الاسلامى من النزول بها لتنفيذ أهدافهم العدوانية ضد الأماكن المقدسة فى مكة والمدينة .(٢)

حيث أمر السلطان الغورى ببناء سور من جهة البحر على ساحل ينبع(٣) ، ووضع بها الامير المملوكى حسين الكردى منذ بداية الغزو الصليبى البرتغالى لبحار جنوب العالم الاسلامى بعض الوحدات من القوات المملوكية خوفا من نزول البرتغاليين بها .(٤)

وكانت ينبع فى ذلك الوقت تابعة لحاكم الحجاز الشريف محمد بن بركات، ويباشر امارتها من قبله الشريف يحيى بن سبع الذى تولى سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧م(٥) ، بعد الشريف دراج الذى كان على قدر كبير من العقل والعدل ، وكان له موقف مشرف تجاه أمير المدينة المنورة الشريف حسن بن الزبير من آل نمير ، الذى تجرأ

---

(١) الفاروق ، عمر : المدينة المنورة ، ص ٣٩ .

(٢) الرشيدى ، أحمد : حسن الصفا ، ص ٤٤ .

— الماوى ، فؤاد : العلاقات الاقتصادية والمالية بين مصر والحجاز ، ص ١٨١ .

(٣) ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، جـ ٥ ص ٩٥ .

(٤) الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ١٠١ .

(٥) الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٤٨ .

باقتحام المسجد النبوى الشريف ، وأخذ ما فى الحجرة النبوية من التحف والنفائس كما ذكرنا سابقا ، فعند ما علم بذلك الشريف دراج سار من فوره الى المدينة المنورة ، لحفظ الأمن حتى أتته المساعدات من شريف مكة محمد بن بركات .(١)

وحينما قامت الفتنة والصراع بين أبناء الشريف محمد بن بركات على تولى الامارة فى الحجاز ، حيث قاوم الشريف أحمد الجازانى أخاه الشريف بركات بعد موت أخيهما الشريف هزاع ، ولقى مساندة من بعض القوى فى الحجاز مثل أمير خليص مالك روبى ، وأمير ينبع الشريف يحيى بن سبع وغيرهم من الذين أثاروا الذعر والرعب داخل مكة المكرمة والحجاز عامة ، الى أن انتهى الأمر بقتل الشريف أحمد الجازانى ، واستيلاء الشريف بركات بن محمد على سلطة الحجاز من أخيه حميضه ، الذى تولى بعد وفاة أخيه الشريف أحمد ، الا أن أمير ينبع الشريف يحيى بن سبع استمر فى عصيانه للشريف بركات بن محمد ، وأخذ يقطع طريق الحجاج ، ويقوم بنهب المدن ، مما اضطر السلطان قانصوه الغورى أن يبعث بحملة عسكرية سنة ٩١٢ هـ/ ١٥١٥ م ، بقيادة الأمير خاير بك الكاشف ،(٢) لمواجهة العصيان ضد الشريف بركات ، حيث أن الوقت لم يكن يسمح بمثل تلك الأمور ، لما كانت تواجهه الدولة المملوكية من التهديدات الصليبية ضد مكة المكرمة والمدينة المنورة على أيدى قراصنة البرتغال ، ولعل عصيان الشريف يحيى بن سبع يعود أصلا لعزلة من جهة السلطان المملوكى قانصوه الغورى ، وتولية هجار بن دراج امرة ينبع ، مما جعله يثور ضد أمير الحجاز الشريف بركات ، وضد الدولة المملوكية ذاتها .(٣)

---

(١) الجاسر ، حمد : بلاد ينبع ، ص ٥١ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ ٣ ص ١٨٨ .

(٣) الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٥٣ .

هذا وقد تلت حملة الأمير خاير بك الكاشف حملة الأمير حسين الكردى الذى كان الهدف من حملته فى المقام الأول مهاجمة البرتغاليين ، وتحصين مدينة جده ، بالاضافة الى وضع بعض القوات فى ينبع للدفاع عنها فى حالة هجوم البرتغاليين عليها وكان الغرض الثانى من حملته مهاجمة المتمردين على امرة الشريف بركات بن محمد ، والقضاء عليهم لما سببوه من اضطرابات فى الحجاز للأغراض الشخصية ، كل هذه الأمور اضافة الى الغزو البرتغالى للمحيط الهندى ، أدى الى تقليل قيمة الموانى الحجازية من الناحية التجارية فى البحر الأحمر،[1] وبخاصة بعد أن استطاع قراصنة البرتغال أن يجبروا السفن التجارية على أن تسير عبر طريق رأس الرجاء الصالح الى أوربا ، بدلا من المرور فى البحر الأحمر أو من الخليج العربى عبر الأراضى الاسلامية ، بهدف القضاء على قوة المسلمين الاقتصادية ، بعد أن عجزوا عن احتلال جنوب العالم الاسلامى بالقوة العسكرية ، والاستيلاء على مكة والمدينة وبيت المقدس من أيدى المسلمين .

وان كانت أهمية موانى الحجاز قد تضررت بعض الشئ تجاريا بعد الغزو البرتغالى لبحار جنوب العالم الاسلامى ، الا أنها احتفظت بمكانتها كموانى تجارية ودينية لاستقبالها للحجاج القادمين لأداء فريضة الحج عبر البحر الأحمر ، وبخاصة بعد أن استاع العثمانيون بعد المماليك اغلاق البحر الأحمر فى وجه الغزاه البرتغاليين .

---

(١) الأنصارى ، عبد القدوس : تاريخ مدينة جده ، ص ٦٩ .

٣ ـ المنتجات الحجازيــة :

ليس صحيحا ما يقال أن الجزيرة العربية حتى القرن الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى شبه مجهولة ، أو أنها قليلة العطاء الاقتصادى والتجارى (١) ، وذلك لأن مكة المكرمة والحجاز بصفة عامة وهو جزء من الجزيرة العربية ، مــــن المناطق التى تهوى اليها أفئدة المسلمين من شتى بقاع العالم الاسلامى ، وخاصة فى موسم الحج المتكرر كل عام لأداء فريضة الحج ، وزيارة المسجد النبوى الشريــف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام ، ولذلك فهى أكثر البلاد نعما لكثرة الثمـــــار والتجارة الواردة اليها ، فيباع فيها كل ما تهوى أنفس الناس اليه ، سواء من المواد الغذائية أو الحلى أو أنواع العطور والقماش وغير ذلك من أنواع البضائع ، ومــــن المنتجات الحجازية الغذائية فى ذلك الوقت ، الفواكه الطازجة التى تجلب اليهــا من مدينة الطائف ، وكذلك من وادى نخلة ومر الظهران (٢) ، المعروف حاليا بـوادى فاطمة ، والطائف التى تعتبر مزرعة تمد أهل مكة المكرمة بالثمار . ولحسن مناخه ووفرة المياه به أطلق عليه بعض الجغرافيين والرحالة ، الطائف بلاد الحجاز السعيدة كما هـــو اليمن السعيد (٣) .

---

(١) الصياد ، محمد : الرحالة الأجانب فى الجزيرة العربية ، ص ٤٤ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٨ .
ـ ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٢٢ .
ـ القلقشندى ، أحمد : صبح الاعشى فى صناعة انشاء ، جـ ٤ ص ٢٤٧ .

(٣) ابن حوقل ، أبى القاسم : صورة الأرض ، القسم الأول ، ص ٣٩ .
ـ أبى الفداء ، اسماعيل : تقويم البلدان ، ص ٩٤ .
ـ القثامى ، مناحى ضاوى حمود : تاريخ الطائف قديما وحديثـــا . ==

كذلك فى النباتات التى أشتهرت بها الحجاز نبات البيلسان ،[١] وهو من النباتات الطبية التى نالت شهرة واسعة فى عالم العصور الوسطى ،[٢] واشتهرت مكة المكرمة ايضا بتوفر نبات المن الذى يستخدم كنبات طبى ،[٣] ونبات السنا المعروف باسم سنا مكة وهو من النباتات الطبية وهو نبات حجازى أفضله المكى ،[٤] وغيرها من النباتات ، وايضا السواك المستخرج من شجر السواك المنتشر بالحجاز والذى حث الرسول على استعماله حيث قال الامام البخارى فى صحيحه حدثنا عثمان قال : حدثنا جرير عن منصور عن أبى وائل عن حذيفة قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يشوص فاهه بالسواك ،[٥] وهو مفيد طبيا ويستخدم فى نظافة الأسنان ، وقتل الجراثيم ، والتمور الجيدة ، وجلود الدباغة الحيوانية ، واشتهرت مكة المكرمة أيضا بمنتجاتها الرعوية من لحوم وأغنام لجودة

= مطبوعات نادى الطائف الادبى ، ص ٣٣ .

ـ باقاسى ، عائشة : بلاد الحجاز فى العصر الايوبى ، ص ١٠١ .

(١) الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٥٣٠ .

(٢) الحسن ، سعاد ابراهيم بن محمد : النشاط التجارى فى مكة المكرمة فى العصر المملوكى ٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، ص ١٥٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

(٥) البخارى ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل : صحيح البخارى ، الطبعة الاولى ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، ضبطه وشرح ألقابه د . مصطفى ديب ، دار القيم ، بيروت . حديث رقم ٢٤٢ ، ص ١٩٦ .

مراعيها وطيب منتجاتها [١]، ولكن ضعف المردود الانتاجي للفلاحة والرعي ، أدى الى اشتغال قسم من أهالي الحجاز بالتجارة [٢]، وصيد البحر بالزوارق ، وزاولوا أعمالا موسميه في موسم الحج ، مثل تأدية الخدمات اللازمة للحجاج [٣]، من طوافه وأدله ومزورين وغيرها من الاعمال التي تعد من خدمات الحجاج ، اضافة الى التبادل الاقتصادي بطريق البيع والشراء ، وما شابه ذلك من الاعمال الموسميه ولقد ذكر لنا ابن جبير أن لمكة منتجات ، وأن أهل مكة يبادلون بمنتجاتهم بعض القبائل جهة اليمن بمنتجاتها ، حيث كانت هذه القبائل تجلب الى مكة في أوقات معينه الحنطه والحبوب والسمن والعسل والزبيب واللوز ، فلا يبيعون منتجاتهم بالدينار ، انما بالأقمشة والحبات والشمل والأمتعة واللحف وما أشبه ذلك ، والتي كان أهل مكة يعدونها لهم [٤].

وتعد مكة المكرمة في موسم الحج من أكبر الاسواق المتنوعة البضائع ، ففيه مجتمع أهل المشرق والمغرب ، فيباع فيها كل النفائس من الجواهر والياقوت والطيب ومن المنتجات الهندية والحبشية والعراقية واليمانية والخرسانية والمغربية [٥]، ويذكر أنه كان حول المسجد الحرام بمكة سوقا عظيمة يباع فيها من كل الأصناف [٦].

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٨ .
 — ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٣٢ .

(٢) الماوى ، فؤاد : العلاقات الاقتصادية والمالية بين مصر والحجاز ، ص ١٨٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٨ .

(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٦ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

ثم بعد ذلك يذكر لنا ابن بطوطه أن بعض أبواب المسجد الحرام ، كان يسمى بأصحاب الحرف والصنع ، الذين كان يقع عليهم ، ومن تلك الأبواب باب الخياطين . (١)

وذكر أن للبزازين والعطارين سوقا كبيرة عند باب بنى شيبة ، وكذلك ذكر أن بين الصفا والمروة سوقا عظيمة يباع فيها الحبوب واللحوم والتمر والسمن والفواكه . (٢)

ولقد اهتم المؤرخ نجم الدين عمر بن فهد بأهل الصنائع والحرف فنجده يترجم لبعض أصحاب الصنع ، مثل أبى بكر عتيق بن بدر بن هلال العمرى نسبة الى عمل العمر وبيعها وذلك فى سنة ٦١٨ هـ/ ١٢٢١م ، والعمر ما تغطى به المرأة رأسها . (٣)

ويذكر فى سنة ٧١٩ هـ/ ١٣١٩م . كيف كان الخياطين يجتمعون فى المسجد الحرام حينما كانت كسوة الكعبة الشريفة تعمل على البيت الحرام . (٤)

ولقد اهتم نجم الدين عمر بن فهد بطوائف صناعات النسيج والبنائين والنجارين فنراه فى سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م ، يترجم لمحمد الحريرى المصرى الذى كان يتولى حرفة بيع الكتب فى مكة ، ويذكر ان بمكة سوقا للصاغة وسوقا لبيع الحرير وسوقا للعطارين عند باب النبى عليه أفضل الصلاة والسلام .

---

(١) القطبى ، عبد الكريم : تاريخ البلد الحرام ، ص ٨٠ .
— ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٣٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤١ .
— السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ ١ ص ٣٢٤ .

(٣) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ ٣ ص ٣٣ .

(٤) المرجع السابق ، جـ ٣ ص ١٦٦ .

وهذا يعطينا صورة واضحة عن المستوى المترف الذى كان يحياه أهل مكة في ذلك العصر ، ولقد كانت حرفة الصياغة متقدمة لديهم حيث نرى ناظر الحرم بيرم خجا في سنة (٨٥١هـ/ ١٤٤٧م) ، يعتمد على الصاغة من مكة في طلى باب الكعبة وتحليته بالذهب ، وهذا وكانت هناك بعض الحرف الهامة ، كطائفة الخياطين والقبانيه والخبازين والسمانة والنحاسين والبزازين والأطباء .(١)

وفى أحداث سنة (٩٢١هـ/ ١٥١٥م) ، عندما زار حاكم الحجاز الشريف بركات بن محمد سلطان مصر المملوكى الغورى ، تلبية لطلب الغورى الذى أراد تكريم الشريف بركات بن محمد الذى أكرم ولده وزوجته عندما قاما باداء فريضة الحج ، يذكر المؤرخ عز الدين عبد العزيز بن فهد وصف استقبال الشريف عند عودته لمكة وكيف أن أهل مكة قسموا جماعات لأستقباله وذكر منهم أصحاب حرف مثل اجتماع أهل سوق الليل عند الخياطين ، وأهل سويقه وهى مكان تجارى ، والعطارون .(٢)

وهذا يدل على أن هناك منتجات حجازية تصدر الى خارج الحجاز عن طريق موسم الحج أو غيره من الأوقات عبر القوافل التجارية التى كانت تمر بالحجاز سواء عن طريق البحر أو عن طريق القوافل البرية ، وكان فى مدن الحجاز صناعات متنوعة ومن تلك المدن الطائف التى كان بها صناعة دبغ الجلود والأسلحة والعطور وكان طيب الكعبة المشرفة يجلب أساسا من الطائف حتى العصور المتأخرة.(٣)

---

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ ٤ ص ٦٥ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ ٣ ص ٣٢٠ .

(٣) القزوينى ، زكريا : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٩٨ .

ـ القثامى ، مناحى : تاريخ الطائف ، ص ٣٦ .

٤ ـ الطرق التجارية البرية :

تعتبر مكة المكرمة والحجاز عامة ، مركزا من مراكز التجارة البرية والبحرية الواردة من الشرق ، والتى كانت تأتى اليها بطريق البر من عدن ، وبالبحر من عدن أو مباشرة من دول المحيط الهندى فى ذلك الوقت ، ويعتبر الطريق التجارى البرى المار بها من آمن الطرق ، حيث كانت تحرسه قوات حكومة الحجاز على القبائل القاطنة على تلك الطرق ببذل العطاء لشيوخ القبائل وبالتأديب تارة أخرى اضافة الى القوة التى كانت ترافق محامل الحجاج التى ترافقها التجارة ، وكانت تنقل عليه السلع التجارية الخفيفة فى حين كانت السلع الثقيلة تنقل بواسطة الطريق البحرى عبر موانى الحجاز ، وكان يصل الى الحجاز سلع مختلفة من الهند والحبشة وشرق أفريقية ، كما كان يصلها أيضا سلع من أوربا عن طريق مصر والشام ، ويصل مكة المكرمة فى مواسم وصول سفن الهند الى عدن مالا يقل عن ٨٠،٠٠٠ جمل ، يتوقف وصولها فى معظم السنوات فى موسم الحج ، وتستمر فى سيرها الى دمشق والقاهرة ، وتعود بسلع تلك البلدان والغرب الأوروبى الى عدن ، لتنقل بدورها الى الهند .(١)

والى جانب مكة المكرمة كانت هناك المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ذات أهمية تجارية ، لموقعها على طرق التجارة البرية بين اليمن والشام ومصر ، والتى كانت فى نفس الوقت طرقا يسلكها الحجاج القادمون الى الاماكن المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة لاداء فريضة الحج والعمرة والزيارة .(٢)

---

(١) زكى ، نعيم : طرق التجارة ص ١٣٨ .
ـ بابكور ، عمر : حزام الأمن العثمانى ص ١٢ .
ـ الرمال ، غسان : صراع المسلمين مع البرتغال ، ص ٣٦ .

(٢) الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٤٤٠ .
ـ رجب ، عمر : المدينة المنورة ، ص ٣٩ .

أيضا كانت هناك مدينة الطائف وهى من أهم الممرات التى تمر عبرها القوافل التجارية من جنوب بلاد العرب الى شماله ومن العراق الى اليمن .(١)

وتعتبر الحجاز والجزيرة العربية بصفة عامة ذات أهمية تجارية ، لموقعها التجارى الذى كانت السلع الشرقية تمر به ، اما عن طريق القوافل البرية عبر الأراضى العربية من الجزيرة العربية ومنها الحجاز الى الدول المطلة على البحر المتوسط،(٢) لتصدر الى أوروبا ، واما عن طريق البحر الأحمر عبر موانى الحجاز المطلة عليه ، لتحمل بعد ذلك بحرا الى موانى مصر ، لتصدر الى أوروبا أيضا ، سوف نقوم بالقاء بعض الضوء على هذه الطرق التجارية البرية المارة بالحجاز ، والتى يذكرها المؤرخون على أنها طرق للحجيج .

وباعتبار أن موسم الحج موسما دينيا يجمع بين مختلف أجناس المسلمين ، فانه كان فى نفس الوقت موسما تجاريا ، لما كان يقوم به التجار من جلب بضائعهم معهم من البلدان المختلفة لبيعها فى ذلك الموسم ، وسنبدأ بذكر الطريق البرى الذى كان يسلكه الحجاج والتجار بين الحجاز واليمن ، والذى يبدأ من تعز ثم البئر فوادى الحناء فيمر بزبيد ثم جديدة زبيد فالمعازبه وانشال ثم القحمة وجازان والبياضة فحرض ثم يمر بحلى بنى يعقوب وترعة بنى حازم ثم الى ملتقى الواديين ثم الحسنة فيلملم من بئر على ومنها الى مكة المكرمة ،(٣) وينقسم هذا الطريق الى فرعين ،

---

(١) صقر ، د . نادية حسنى : الطائف فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، جدة ١٩٨١م / ١٤٠١هـ ، ص ٤٦ .
ـ القثامى ، مناحى : تاريخ الطائف ، ص ٣٣ .

(٢) المعمرى ، احمد حمود: عمان وشرقى أفريقيه ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومى والثقافة ، ص ٤٣ .

(٣) الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٤٧٠ .

أحدهما طريق جبلى يبدأ من الشحر على سواحل اليمن الجنوبية ،ويخترق الهضبة اليمنية مارا بتعز واب وذمار وصنعاء وصعده ، ومنها الى مكة المكرمة ، وهناك طريقان ساحليان يمتدان على ساحل البحر الأحمر حتى جيزان ، أحدهما يبدأ من موانى اليمن الى جيزان ، والآخر يصل الى جيزان مخترقا تهامة ويمر بالمدن التهامية مثل موزع وحيس وزبيد ومور ، ويلتقى بالطريق الساحلى عند جيزان ، ومن هناك يواصل الطريق امتداده على الساحل الى جده ، أو يتجه الى الداخل حتى مكة المكرمة .(١)

هذا عن الطريق اليمنى الذى تصل منه التجارة القادمة من الشرق الى الحجاز ، ثم تنقل الى بلدان العالم الاسلامى فى الشام ومصر ، لتنقل بدورها من هناك الى دول أوربا فى ذلك الوقت ، وبخاصة الجمهوريات الايطالية .

ومن الطرق التى تنقل منها التجارة الشرقية الى أوروبا والتى تمر بالحجاز الطريق بين مصر والحجاز ، والذى كان يبدأ من مكة الى القاهرة ويمر بالعديد من المحطات ، ومن تتبع ذلك الطريق ابتداءا من القاهرة ، نجد أنه يمر بمحطات منها البركة ثم السويس ثم نخل ثم ايلة ثم العقبة ثم حقل ثم مديس ثم مغارة شعيب ثم عيون القصب فالنبك أو المويلحه ثم الازلم فالوجه ثم أكرى فالحوراء ثم نبط ثم ينبع ثم الدهناء فبدر ثم رابغ ثم خليص ثم عسفان ثم بطن مر ، ومنها الى مكة المكرمة ، وهناك طريق يتفرع من بدر الى المدينة المنورة ، مارا بذى حليفة فالمدينة المنورة .(٢)

---

(١) سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثمانى الأول لليمن ، ص ٤٢ .
- صالح ، محمد امين : تجارة البحر الأحمر فى عصر المماليك الجراكسة ، الداره ، العدد الثانى ، للسنة السادسة ، ربيع أول ١٤٠١ هـ / يناير ١٩٨١م ، ص ١٢٦ .

(٢) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ ٤ ص ٧٣ .

==

بالاضافة الى طرق أخرى منها ، الطريق الذى يمر بساحل نهر النيل الى قوص بصعيد مصر ، ثم يخترق الصحراء الشرقية حتى ميناء عيذاب المواجه لجدة ، ثم يمر بالبحر الاحمر حتى ميناء جدة أو العكس ، حيث يبدأ من ميناء جدة مارا بتلك المراحل حتى الوصول الى القاهرة والطريق البحرى من ميناء السويس الى كل من جدة أو ينبع أو رابغ .(١) أو من جدة وينبع ورابغ الى ميناء السويس.

ولقد كانت كل من بدر ورابغ مناطق تجارية فى طريق الركب المصرى الشامى ،(٢) والذى كان يضم بالاضافة الى الحجاج التجار أيضا ، ولقد اعتنت الحكومات التى تولت السلطنة فى مصر بتأمين الطرق للذهاب والعودة فيها ، فبنو القلاع والحصون ، لتصبح محطات لراحة القوافل ، ومراكز لتخزين المؤن ، ومن هذه القلاع قلعة

- السيوطى الحافظ ، جلال الدين : حسن المحاضرة ، ص ٣١٠ .
- الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٤٤٩ .
- السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص ٣٣٥ .
- عبد الرحمن ، عبد الرحيم : الحجازيون فى مصر ، ص ١٤٣ .
- السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٥٨ .
- جلال ، أمنه حسنى محمد على : طرق الحج ومرافقة فى الحجاز فى العصر المملوكى ٦٤٨/٩٢٣ ، رسالة جامعية ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م . ص ٣٢ .

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٧٣ .
- الشريف ، فريال : مكة المكرمة كما جاءت فى كتب الرحالة المسلمين منذ القرن السادس الهجرى حتى نهاية القرن التاسع الهجرى ، رسالة جامعية ، ص ٩٦ .

(٢) التهامى ، محمد : الاصلاحات المملوكية فى الاراضى الحجازية ، الدارة ، العدد الاول ، السنة الحادية عشر ، شوال ١٤٠٥هـ/ يونيو ١٩٨٥م ، ص ٨٨ .

عجرود بين القاهرة والسويس ، وقلعة نخل بين السويس والعقبة ، وقلعة الوجه على البحر الأحمر ، وقلعة المويلح ، وقلعة الثور بين جده والسويس لتستخدم من السفن في البحر الأحمر .(١)

ومن الطرق المهمة التي تربط الحجاز بغيره من البلدان ، الطريق البري الذي يربط بين الحجاز والشام والذي يبدأ من دمشق ثم الصنمين فدرعا وبصرى، فالزرقاء وزيزاب والكرك فالحسا فمعان ثم العقبه .(٢) وكانت العقبة ملتقى طريق الحج والتجارة بين القادمين من الشام ومصر .(٣)

ثم يسير القادمون من الشام الى الحجاز على نفس محطات الطريق المصري الحجازي ، وكان هناك أيضا الطريق العراقي الى مكة المكرمة ، والذي يبدأ من بغداد ثم صرصر وفراشه وشط النيل والجله ثم بئر سلامه فالكوفه والقادسية فالعذيب والرحبة وسلمى وواقصه فخاديت وزرود ثم أجفر ومرشيت ثم فتن فتخت سليمان وحاج وبصرات وذات عرق ثم وادي نخلة ومنه الى مكة المكرمة .(٤)

ولقد استفاد أمراء الحجاز كثيرا من الطرق التجارية البرية المارة بالحجاز، حيث كانت الأموال المتحصلة على البضائع الوارده الى مكة من العراق واليمن برا ، كانت من نصيب أمير مكة المكرمة خاصة ، وعرفت بالمدني .(٥)

---

(١) الماوي ، فؤاد : العلاقات الاقتصادية والمالية بين مصر والحجاز ، ص ١٩٤ .

(٢) الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٤٥٣ .

(٣) السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ ١ ص ٣٣٦ .

(٤) الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٤٦٥ .

(٥) القلقشندي ، أحمد : صبح الأعشى ، جـ ٤ ص ٢٧٦ .

— المشيقح ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٤٠ .

ولذلك نجد المؤرخ عبد العزيز ابن فهد يقول فى سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م، عند ما رسم سلطان المماليك قايتباى أن البضائع الواصلة الى مكة المكرمة من اليمن تكون بينه وبين الشريف محمد بن بركات حاكم الحجاز مناصفة ، يقول المؤرخ لم تجرى بذلك عادة من قبل .(١)

ولقد شهدت مكة فى ذلك الوقت ازدهارا تجاريا نتيجة قدوم القوافل الواردة من الشام واليمن ومصر والعراق ، بحيث كانت أسواق مكة المكرمة وجده ، وغيرها من مدن الحجاز تحفل دائما بأنواع البضائع المختلفة ، الى أن حولت التجارة الشرقية الى طريق رأس الرجاء الصالح بعد وصول البرتغاليين الى جنوب العالم الاسلامى ، مما جعل الطرق التجارية البرية المارة بالحجاز لم تعد ذات أهمية على مستوى التجارة العالمية .(٢)

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ ٢ ص ٥٢٢ .

(٢) قلعجى ، قدرى : الخليج العربى ، ص ٣٥٦ .

٥ ـ أثر تحول التجارة العالمية عن البحار الاسلامية على الاقتصاد الحجازى :

يعتبر طريق البحر الأحمر التجارى من أكثر الطرق التجارية البحرية أهمية بين الشرق والغرب ، ومن أهم المدن التى خدمت التجارة على هذا الطريق ، الاسكندرية وبيروت وحلب على البحر المتوسط ، بالاضافة الى القاهرة ودمشق والسويس والطور وجده وعدن على البحر الأحمر .(١)

ولقد كانت التجارة تنقل من ميناء عيذاب أو القصير أو السويس الى موانى الحجاز فى جده أو ينبع ، أو موانى اليمن فى المخا أو الحديده ، أو من تلك الموانى الى القصير وعيذاب(٢) والسويس .

ولقد كانت السفن التجارية تتجه من عدن الى داخل البحر الأحمر ، أو الى شرق افريقيه ، حامله البضائع الشرقية لتنقل بعد ذلك الى موانى البحر المتوسط ، وتصدر الى أوروبا ،(٣) ولكن وصول البرتغاليين لطريق ينفذ بهم الى بحار جنوب العالم الاسلامى ، بقصد الهجوم الصليبى على مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والوصول بعد ذلك الى بيت المقدس فى فلسطين ، والاستيلاء عليه ، جعل الدول الاسلامية فى ذلك الوقت تقاوم تلك النوايا البرتغالية وبخاصة دولة المماليك والدولة العثمانية ، مما جعل البرتغاليين يفكرون فى استغلال الطريق البحرى الذى وصلوا منه الى جنوب العالم الاسلامى ، بتحويل التجارة التى كانت تمر بأراضى الدولة الاسلامية

---

(١) زكى ، نعيم : طرق التجارة ، ص ١٨٨ .

(٢) القلقشندى ، أحمد : صبح الأعشى ، جـ ٤ ص ٢٥٨ .

ـ عبد الرحمن ، عبد الرحيم : الحجازيون فى مصر ، ص ١٤٤ .

(٣) صيرفى ، نوال : النفوذ البرتغالى فى الخليج ، ص ٤١ .

اليه ، ليتسنى لهم بذلك اضعاف العالم الاسلامى اقتصاديا وبالتالى الاستيلاء عليه حربيا ، ولا شك أن تحول التجارة الشرقية الى هذا الطريق قد أدى الى انهيار اقتصاديات البلدان الاسلامية فى اليمن ومصر وبالتالى الحجاز ، ويدل على هذا أن سفن البندقية كانت لا تجد لديها المال الكافى لشراء التوابل المكدسة فى الاسكندرية سنة ٩٠٤ هـ/١٤٩٨م ، وفى سنة ٩٠٨ هـ/١٥٠٢م ، لم تجد هذه السفن فى الاسكندرية ما تحمله من التوابل ، وبطبيعة الحال فقدت البندقية أهميتها التجارية فى أوربا (١) .

وفقدت موانى الحجاز وطرقه التجارية البحرية أهميتها ، مما أدى الى تدهور اقتصادى فى البلدان الاسلامية ، التى كانت تجنى الكثير من أرباح التجارة الشرقية المارة بأراضيها الى دول أوربا ، والتى تحولت بعد ذلك الى طريق رأس الرجاء الصالح ، وأصبحت الموانى الحجازية قليلة الأهمية التجارية بعد أن كانت من كبرى الموانى التجارية .

حيث يقول المؤرخ جار الله محمد بن فهد عن ميناء جده وتجارته المزدهرة (يجتمع فيها من أطراف العالم والربح المشكور والمتجر المعمور من ديار مصر والغرب والهند واليمن والعجم خصوصا من قيام موسم الهندى) (٢) .

وفى الحقيقة أن كثرت الضرائب التى فرضتها الدولة المملوكية على التجارة الوارده من الهند وجنوب شرق آسيا والشرق الاقصى الى الموانى المملوكية وفى الموانى الحجازية كانت عاملا ساعد فى تحول تجارة الشرق الاقصى الى طريق رأس الرجاء

---

(١) سالم ، السيد مصطفى: الفتح العثمانى الأول لليمن ، ص ٥٥ .

(٢) ابن فهد ، محمد : رسالة فى فضل جده وشيء من خبرها ، ص ٢٠٥ .

الصالح ، لما وصلت اليه أسعار السلع الشرقية فى الأسواق الأوربية من أسعار خيالية لا تطاق ذلك الضغط على التجار بتحويل سير بضائعهم الى ذلك الطريق مما ادى الى ضعف الموانى الحجازية ومنها ميناء جدة ، حيث يقول المؤرخ ابن اياس ان القائد المملوكى فى جدة حسين الكردى كان يأخذ العشر من تجار الهند مثل عشرة أمثال فامتنعت التجار من دخول بندر جدة وآل امرة الى الخراب.[١] اضافة الى الضغط البرتغالى المؤيد من بلاد اوروبا .

ولكن الموانى الحجازية لم تفقد اهميتها من كونها تستقبل الحجيج القادمين الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وزيارة المسجد النبوى الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام .

---

(١) ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، جـ٥ ص ٩٠ .

٦ ـ الصراع الصفوى المملوكى العثمانى وأثره على الاقتصاد الحجازى :

تعتبر الدولة العثمانية منذ نشأتها على يد عثمان بن أرطغرل ، من كبرى الدول الاسلامية التى خاضت الكثير من المعارك ، وحققت الكثير من الفتوح الاسلامية فى القارة الأوروبية وغيرها من المناطق ، بهدف نشر الدين الاسلامى الحنيف ومحاربة أعدائه ، مع احتفاظ تلك الدولة ببعض العلاقات الحسنة مع جيرانها من الدول الاسلامية ، والتى لم تخلوا فى بعض الأحيان من بعض المنازعات والخصومات والمعارك على منطقة الحدود فيما بينها وبين تلك الدول والامارات فلقد هاجم السلطان العثمانى بايزيد الأول قيصريه سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م ،وكانت تحت الحماية المملوكية ، وعندما أحس بالخطر المغولى ورأى أن يتحد مع الدولة المملوكية ضده ، بعث معتذرا للسلطان المملوكى برقوق فقبل اعتذاره ، وفى سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م بعث بايزيد الأول الى برقوق يحذره من تحرك المغول بزعامة تيمورلنك ، وهذا يدل على التعاون الذى كان قائما بين الدولتين العثمانية والمملوكية فى ذلك الوقت (١).

ومما يدل على هذا التعاون ما قام به الخليفة العباسى فى القاهرة المتوكل على الله حينما بعث تقليدا للسلطان العثمانى بايزيد الأول سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م بناء على طلب من بايزيد الأول ، لكى يعطى دولته صبغة اسلامية معتمدة (٢) ؛ ولكن

---

(١) متولى، أحمد فؤاد: الفتح العثمانى للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة ، دار النهضة العربية بالقاهرة ، ص٤ .
ـ على ، ابراهيم : مصر فى عصر دولة المماليك ، ص ١٦٢ .
(يقول المؤلف ، بعث بايزيد الأول الى السلطان المملوكى برقوق يحذره من تيمورلنك سنة ٧٩٧ وليس سنة ٧٨٦) .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٢ .
ـ متولى ، احمد : الفتح العثمانى للشام ومصر ، ص ٤ .
ـ لويس ، برنارد : استنبول وحضارة الامبراطورية العثمانية ، ص ٣٠ .

العلاقات بين الدولتين العثمانية والمملوكية توترت مرة أخرى فى سنة ٨٠١هـ/١٤٠٠م عند ما قام بايزيد الأول بالاستيلاء على ملطيه ، وكانت تابعة للسيطرة المملوكيـــة ، مما جعل السلطان المملوكى فرج يرفض أن يتحالف معه بعد ذلك ضد المغول ، مما مكن تيمور لنك من مهاجمة الدولتين العثمانية والمملوكية ، وانزال الهزيمة بالمماليك سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م وبالعثمانيين سنة ٨٠٤هـ/١٤٠٢م .(١)

وظلت العلاقات العثمانية المملوكية بعد ذلك تمر بفترات من الهدوء والتوتر ففى عهد السلطان المملوكى المؤيد سيف الدين شيخ المحمودى مرت العلاقـــات بين الدولتين بفترة من الهدوء ، حيث بعث السلطان العثمانى محمد الأول يهنئ السلطان المملوكى بتوليه ادارة شؤون الدولة المملوكية .(٢)

واستمرت العلاقات الحسنة بين الدولتين كذلك فى عهد السلطان المملوكى برسباى ، الذى كانت علاقاته حسنة بالسلطان العثمانى مراد الثانى ، لخـــوف الدولتين من عداوة شاه رخ بن تيمور لنك لكل منهما ، حيث نجد مراد الثانـــى يبعث الى برسباى مهنئا بانتصاره فى قبرص .(٣)

---

(١) المحامى ، محمد فريد : تاريخ الدولة العليه ، ص ١٤٦ .
ـ متولى ، أحمد : الفتح العثمانى للشام ومصر ، ص ٤ .

(٢) متولى ، أحمد : الفتح العثمانى للشام ومصر ، ص ٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤ .
ـ على ، ابراهيم : مصر فى عصر دولة المماليك ، ص ١٦٢ .

وفى أول عهد السلطان العثمانى محمد الثانى الفاتح كانت علاقاته بالمماليك حسنة ، فلقد بعث سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م للسلطان المملوكى اينال يبشره بالنصر الاسلامى الذى حققه بفتح القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية ، حيث بعث أيضا لبقية حكام المسلمين فى ذلك الوقت .(١)

ولكن هذه العلاقات اضطربت بعد ذلك نتيجة لتدخل السلطان العثمانى محمد الثانى فى شؤون بعض الامارات الواقعة على الحدود فيما بين الدولتين العثمانية والمملوكية والتى كانت موالية للدولة المملوكية .(٢)

بعد أن استطاع تصفية الكثير من الامارات الاناضولية ، حيث ضم الى دولته امارات كرمان وايدين وهنتشا وطرابيزون وسينوب .(٣)

---

(١) آصاف ، عزتلو : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٤٦ .
— على ، ابراهيم ، مصر فى عصر دولة المماليك ، ص ١٦٢ .

(٢) سرهنك ، اسماعيل : حقائق الأخبار عن دول البحار ، الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية ببولاق ، مصر المحمية ، سنة ١٣١٢هـ ، جـ ١ ص ٥٢٨ .
— متولى ، أحمد : الفتح العثمانى للشام ومصر ، ص ٤
— على ، ابراهيم : مصر فى عصر دولة المماليك ، ص ١٦٢ .
— دراج ، أحمد : جم السلطان ، ص ٢٠٣ .
— عبد التواب ، عبد الرحمن : قايتباى المحمودى . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٨م ، ص ١٣٩ .
— زكى ، نعيم : طرق التجارة ، ص ٢٢٠ .

(٣) المحامى ، محمد : تاريخ الدولة العليه ، ص ١٦٩ .
— دراج ، أحمد : جم سلطان ، ص ٢٠٤ .

ولم يبق أمامه سوى بعض الامارات ومنها امارة قرمان وامارة ذى القادر الخاضعتين اسميا للدولة المملوكية .[١] انظر ملحق رقم (١٠) عبارة عن خارطة توضح موقع الامارات الواقعه على الحدود فيما بين الدولتين العثمانية والمملوكيه .

ولقد أسس امارة ذى القادر زين الدين قراجا فى منتصف القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى ، وكان الأمير عليها سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م الأمير سليمان بك قراجا ، الذى كان بينه وبين الدولة العثمانية مصاهرة ، حيث كان السلطان محمد الثانى متزوجا أخته ، أما امارة قرمان أوغلو فتنسب الى زعيمها قرمان ، وكان الأمير ابراهيم حفيد علاء الدين قرمان هو الأمير عليها سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م .[٢]

هذا بالاضافة الى امارتين قويتين بأعلى العراق وفارس هما ، امارة الشاه البيضاء وتسمى الاق قيونلو ، والشاه السوداء ، وتسمى القره قيونلو ، وهما قبيلتين تركمانيتين ، وكان يرأس الشاه البيضاء التى كانت تنزل ديار بكر سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م جهانكير ابن الأمير على بك ، الذى استطاع أخوه أوزون حسن اغتصاب الحكم منه فى تلك الامارة ، ويعتبر أوزون حسن من أقوى خلفاء تيمورلنك المعادى فى كثير من الأحيان للدولتين العثمانية والمملوكية .[٣]

---

(١) دراج ، أحمد : حج سلطان ، ص ٢٠٤ .
— زكى ، نعيم : طرق التجارة ، ص ١٤ .
— متولى ، أحمد : الفتح العثمانى للشام ومصر ، ص ٤ .
— على ، ابراهيم : مصر فى عصر دولة المماليك ، ص ١٦٢ .
— محمود ، عبد الرحمن : قايتباى ، ص ١٣٩ .
— المحامى ، محمد بك : تاريخ الدولة العليه ، ص ١٧٢ .

(٢) زكى ، نعيم : طرق التجارة ، ص ١٤ .

(٣) المحامى ، محمد بك : تاريخ الدوله العليه ، ص ١٧٢ .
— زكى ، نعيم : طرق التجارة ، ص ١٤ .

أما قبيلة الشاه السوداء جنوب بحيرة وآن ، فكان الأمير عليها سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م جهان شاه ، وقد آلت أملاك هذه القبيلة للأمير أوزون حسن بعد أن استطاع الاستيلاء عليها سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م .(١)

ولقد تدخل السلطان العثماني محمد الثاني في شئون امارة قرمان بحجة حماية حقوق أبناء عمته ، وذلك عندما توفى أمير قرمان ابراهيم بك سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٣م والذى دفعته كراهيته للعثمانيين الى حرمان أولاده من زوجته الأميرة نفيسة عمة محمد الثاني من حقهم في تولى الامارة ، وفضل عليهم ابنه اسحق بك ، الذى فر بقية أخوته الى استنبول يطلبون المساعدة من السلطان العثماني ، فقام السلطان محمد الثاني سنة ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م بالاغارة على قرمان وهزم أميرها اسحق بك،(٢) مما أغضب الدولة المملوكية ، وفي الحقيقة لم يكن سبب هجوم العثمانيين على امارة قرمان هو وضع أمير موال للدولة العثمانية عليها فقط ، فهناك سبب آخر هو ما كان يقوم به القرمانيون من طعن العثمانيين من الخلف أثناء محاربتهم للدول الأوروبية ، فلقد حث البابا كالكتس الثالث ربيوس الثاني ، وكذلك البنادقة أمير قرمان ابراهيم بك في الاشتراك معهم في حروبهم الصليبية ضد العثمانيين ، وأطلقوا على ابراهيم بك لقب قومان الكبير ،(٣) وحينما لم تقدم الدولة المملوكية المساعدة لأمير قرمان

---

(١) زكى ، نعيم : طرق التجارة ، ص ١٤ .

(٢) المحامي ، محمد : تاريخ الدولة العليه ،ص ١٧٢ .
- زكى ، نعيم : طرق التجارة ، ص ١٤ .
- دراج ، أحمد : جم سلطان ، ص ٢٠٤ .
- على ، ابراهيم : مصر في عصر دولة المماليك ، ص ١٦٢ .
- متولى ، أحمد : الفتح العثماني للشام ومصر ، ص ٤ .

(٣) دراج ، أحمد : جم سلطان ، ص ٢٠٤ .

اسحق بك زمن سلطانها خشقدم ، التجاء لأمير قبيلة الشاه البيضاء أوزون حسن ، الذى رأى فى مساعدته للأمير اسحق بك فرصة للعمل على زيادة رقعة امارته على حساب العثمانيين والمماليك .(١)

أما امارة دلغادر فلقد تدخل السلطان محمد الثانى فى شئونها عندما شب النزاع بين أمرائها على الامارة ، فناصر السلطان محمد الثانى شاه سوار على أخيه بوداق الذى كانت تناصره الدولة المملوكية ، ولقد استطاع الأمير شاه سوار بمساعدة العثمانيين الاستيلاء على امارة دلغادر ، ومن ثم أخذ يهاجم أطراف الدولة المملوكية .(٢)

ونتيجة لهذا التدخل العثمانى فى شئون امارتى دلغادر وقرمان ،بالاضافة الى أمور أخرى منها مناصرة الدولة المملوكية لجم ابن محمد الثانى الذى نازع أخيه بايزيد الثانى السلطة فى الدولة العثمانية بعد وفاة السلطان محمد الثانى ، والذى حينما لم يستطع الانتصار على أخيه بايزيد الثانى التجأ الى السلطان المملوكى قايتباى ، الذى حاول الاصلاح بين الأخوين على أساس تقسيم السلطة بينهما فى الدولة العثمانية ، الا أن السلطان بايزيد الثانى لم يوافق على ذلك ، وأخذ السلطان قايتباى يمد جم بالمال والجند لحرب أخيه ، ولكن جم لم يستطيع احراز نصر على أخيه بايزيد الثانى ، فالتجأ الى فرسان الاسبتاريه بجزيرة رودس، سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م بقصد العبور منها الى أوروبا لاعداد جيشا لمحاربة أخيه بمساعدة أخواله المجريين .(٣)

---

(١) دراج ، أحمد : جم سلطان ، ص ٢٠٤ .

(٢) محمود ، عبد الرحمن : قايتباى ، ص١٣٩ .

(٣) البكرى الصديقى ، محمد بن محمد : المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية .==

ومن تلك الأمور أيضا ، رفض السلطان المملوكى قايتباى السماح لبايزيد الثانى اصلاح بعض القنوات بمكة المكرمة .(١)

ولعل ذلك يرجع لخوفه من نشر النفوذ العثمانى فى الحجاز الذى كان حكامه يرتبطون بعلاقات حسنة مع العثمانيين ، ومن تلك الأمور تهاون السلطان المملوكى قايتباى فى أمر هديه مرسله من بعض أمراء الهند الى السلطان بايزيد الثانى ، اذ استولى عليها نائب السلطنة المملوكية فى جده ، وبعث بها للسلطان قايتباى فى مصر .(٢)

== مخطوط ، ص ١٢ .

— ابن طولون ، شمس الدين محمد : مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان (تاريخ مصر والشام) حققه وكتب له المقدمة والحواشى والفهارس محمد مصطفى وزارة الثقافة والارشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه ج . م . ع ، سنة ١٣٨١هـ/١٩٦٢م ، جـ ٢ ص ٤٧ .

— ابكاريوس ، يوحنا أفندى : قطف الزهور فى تاريخ الدهور ، الطبعة الثانية ، بيروت ، سنة ١٨٨٥ ، ص ٢٦١ .

(أشار الى حرب بايزيد الثانى مع المماليك سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م ، ولم يذكر الخصومة التى قامت بين جم وبايزيد الثانى على السلطة وأنها السبب فى تلك الحرب) .

— دراج ، أحمد : جم سلطان ، ص ٢١٣ .

— متولى ، أحمد : الفتح العثمانى للشام ومصر ، ص ٤ .

— المحامى ، محمد : تاريخ الدولة العليه ، ص ١٨٠ .

(١) على ، ابراهيم : مصر فى عصر دولة المماليك ، ص ١٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

ولعل من أهم هذه الأسباب التى أدت الى العداء الذى قام بين الدولتين العثمانية والمملوكية ، هو التدخل العثمانى فى شئون الامارات التى كانت تخضع اسميا لحكم المماليك ، ومناصرة السلطان قايتباى لجم بن محمد الثانى ضد أخيه السلطان بايزيد الثانى ، ولقد حاول الخليفة العباسى فى القاهرة المتوكل سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م أن يقوم بدور الوساطة فى اصلاح ما فسد فى العلاقات بين الدولتين ، فبعث برسالة الى السلطان العثمانى لتهدئة العداء ، كما أرسل تقليدا للسلطان بايزيد الثانى بأن يكون مقام السلطان على بلاد الروم وما سيفتحه الله على يده من البلاد غير الاسلامية .(١)

اضافة الى أن السلطان العثمانى بايزيد بن محمد الفاتح قام باداء فريضة الحج سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م ، وهى السنة التى تولى فيها حكم الدولة العثمانية مما جعل علاقته بحاكم الحجاز الشريف محمد بن بركات تتسم بالود والصفاء ، بالاضافة الى ارتباطه بعلاقات حسنة مع حكومة الحجاز فأخذت الوفود فيما بينهما فمنها الوفد الحجاز الذى ترأسه خطيب الحرم على محيى الدين عبد القادر الطبرى الذى لقى اكراما عظيما ثم ذهاب شاعر البطحاء الذى احسن وفادته السلطان .(٢) مما جعل الدوله المملوكيه تخشى على علاقتها بالحجاز من التطور فى العلاقات العثمانية ،

---

(١) على ، ابراهيم : مصر فى عصر دولة المماليك ، ص ١٦٢ .
— محمود ، عبد الرحمن : قايتباى ، ص ٢١ .
— على ، ابراهيم : مصر فى عصر دولة المماليك ، ص ٦٨ .
— متولى ، أحمد : الفتح العثمانى للشام ومصر ، ص ٤ .
— اليمنى ، محمد : السنا الباهر ، ص ٤٣ .

(٢) السباعى ، أحمد : تاريخ مكه ، جـ ٢ ص ٣٤٣ .

الحجازية فأخذ تكيل العداء للدولة العثمانية حيث صادف كل تلك الأمور التي حدثت بين الدولتين العثمانية والمملوكية ، ظهور الشاه اسماعيل الصفوى فى فارس سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩م والذى كان والده حيدر متزوجا من ابنه يعقوب بن أوزون حسن ، الذى كان متوليا أمره قبيلة الشاه البيضاء فى ذلك الوقت .(١)

وكان والد حيدر ويدعى جنيد، من المشايخ ببلاد فارس ، وله الكثير من الأتباع والمؤيدين ، فخشى منه زعيم قبيلة الشاه السوداء جهان شاه على امارته فطرده منها ، فتوجه جنيد الى ديار بكر وهى تتبع قبيلة الشاه البيضاء وزعيمها حينئذ عثمان بك بن قتلن بك جد أوزون حسن ، فلما التجأ جنيد لقبيلة الشاه البيضاء صاهره أوزون حسن وزوجة ابنته التى ولدت له ابنه حيدر والد اسماعيل ، ثم بعد أن زالت امارة الشاه السوداء على يد أوزون حسن ، عاد جنيد الى موطنه أردبيل والتى كانت تحت امارة الشاه السوداء ، وحينما توفى أوزون حسن وتولى امارة الشاه البيضاء ابنه يعقوب ، زوج ابنته من حيدر بن جنيد فولدت الشاه اسماعيل الصفوى .(٢)

هذا ولقد قتل جنيد سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٦م فى احدى المعارك التى كانت بينه وبين الامارات المجاورة ، فتولى مكانه ابنه حيدر ، الذى أخذ يجمع الجموع والأعوان من حوله فبعث شروان شاه أمير شروان الى الأمير يعقوب بن أوزون حسن يخبره بالتفاف الناس حول حيدر ، فبعث الأمير يعقوب الى حيدر يمنعه من أن يجمع الجموع من حوله ، فأبى أن يطيع أمر الأمير يعقوب ، عند ذلك اتفق الأمير يعقوب مع أمير شروان على قتال حيدر ، وتمكن من أسر ابنه اسماعيل ، فلما توفى

---

(١) الشيلى ، محمد : السنا الباهر ، ص ٤٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٢ .

الأمير يعقوب سنة ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م حدث نزاع بين أبنائه على الامارة ، مما مكن أبناء حيدر ومنهم اسماعيل على الهروب (١) والاختفاء .

ولقد اختبأ اسماعيل في بيت رجل يسمى نجم زركر في بلاد لاهجان الكثيرة الفرق الضالة ، وفي فترة اختباء اسماعيل هذه تعلم مذهب الرفض (٢) في حين كان أبوه على مذهب أتباع السنة ، وخرج اسماعيل من لاهجان سنة ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م ، بعد التفاف أتباع أبيه حوله ، واستطاع هزيمة امارة شروان التي قاتلت والده ، ثم قاتل مراد بيك بن يعقوب أمير الشه البيضاء فهزمه ، واستمر في هجماته حتى استطاع الاستيلاء على تبريز واذربيجان وبغداد والعراقين (٣) .

ومما سبق ذكره يتضح أن لامارة الشاه البيضاء دورا كبيرا في المساعدة على حماية الصفويين في الفترة التي صاحبت ظهور مبادئ الرافضية ، الشيعة (الاثنا عشريه) في فارس ، فلذلك خاض العثمانيون ضد الشاه اسماعيل الصفوي الحرب ، لما قام به من نشر للمذهب الشيعي ، (٤) واظهار الرفض في بلاد فارس وغيرها من المناطق ، ووضع التاج الأحمر على رؤوس عسكره (٥) .

---

(١) الشيلي ، محمد : السنا الباهر ، ص ٤٣ .

(٢) الرفض : معناها التشيع على مذهب الاثنا عشريه .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٤ .

(٤) الشناوي ، عبد العزيز : الدولة العثمانية ، ج ١ ص ١٨ .

(٥) الشيلي ، محمد : السنا الباهر ، ص ٤٣ .
(يقول أن أول من وضع التاج الأحمر على رؤوس جنده ومعناها اظهار الرفض هو الشيخ حيدر والد اسماعيل الصفوي) .
ـ البكري ، محمد : المنح الرحمانية ، ص ٢٦ .

وكان لظهور سلالة شيعية قويه فى فارس ، وتمركزها فى المنطقة الغربيــــة قرب الحدود العثمانية ، كان بمثابة اقامة الحواجز بين الدولتين العثمانية والصفوية وهى حواجز العقيدة والخوف من الأطماع السياسيه وكان كل من السلطان العثمانــى والشاه الصفوى فى نظر الآخر ملحدا وغاصبا لا يطاق [١] .

فلما تولى زمام الحكم فى الدولة العثمانية السلطان سليم الأول ابن بايزيـد الثانى نجده يأمر بقتل أخوته حتى لا يكون له منازع فى الحكم ، ولكن استطاع أبنـــاء أخيه أحمد الفرار ، فالتجأ أحدهما وهو الأمير مراد الى بلاد فارس ، والآخـــر وهو الأمير علاء الدين الى سلطان مصر المملوكى قانصوه الغورى ، ولقد أبى كل مــن سلطان المماليك والشاه الصفوى تسليمهما الى السلطان سليم الأول ، فكان ذلــك مدعاه للحرب بينه وبينهم [٢] .

وفى الحقيقة لقد كان السلطان العثمانى سليم الأول مهتما بتحركـــــات الصفويين قبل أن يتولى السلطنة العثمانية ، لما كانوا يقومون به من نشر للمذهــب الشيعى ومن نشاط سياسى داخل هضبة الاناضول ، وذلك حينما كان سليم الأول أميرا على طرابزون فى عهد ابيه ، فبعث الى والده ينبهه لذلك ، فلم يهتم والده بايزيد الثانى للأمر [٣] .

---

(١) لويس ، برنارد : استنبول وحضارة الامبراطورية ، ص ٣٩ .

(٢) المحامى ، محمد : تاريخ الدولة العليه ، ص ١٨٨ .

— سرهنك ، اسماعيل : حقائق الأخبار ، ص ٥٢٥ .

— أفندى ، يوحنا : قطف الزهور ، ص ٢٦٢ .

(٣) فؤاد ، أحمد : الفتح العثمانى للشام ومصر ، ص ٨٩ .

ولقد سعى الشاه اسماعيل الصفوى لدى حكام الدول المحيط بالدولة العثمانية لتكوين اتحاد ضد الدولة العثمانية ، وساعده فى ذلك أنه وجد نفس الرغبة لدى سلطان المماليك قانصوه الغورى فى مصر .(١)

وقد يرجع التعاون الذى قام بين كل من المماليك والصفويين ضد الدولة العثمانية الى رغبة المماليك فى الحد من السيطرة العثمانية على طرق تجارة الرقيق التى كانت تلقى رواجا من ناحية سلاطين المماليك ، والتى استطاع العثمانيون سد الطريق أمام هذه التجارة سنة ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م فى عهد السلطان محمد الثانى ، الذى تم له الاستيلاء على الامارات التركمانية فى شمال العراق وأرمينيا مثل امارة طرابيزون وكرمان ودلغادر ومرعش .(٢)

وحيال ذلك جمع سليم الأول رجال الحرب والوزراء والعلماء فى الدولة العثمانية سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م وذكر لهم أن الجهاد ضد الزنادقة ويعنى بهم الشاه اسماعيل ودولته واجب دينى .(٣)

---

(١) جمعه ، بديع : تاريخ الصفويين ، ص ٧٦ .

(٢) حتى ، فليب : موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ترجمة د . أنيس مزيحة ، دار الثقافة ، بيروت ، سنة ١٩٦٥م ، ص ٢٢٧ .
- زكى ، نعيم : طرق التجارة ، ص ٢٢٠ .
- اليوزبكى ، توفيق : تاريخ تجارة مصر البحرية ، ص ٣٠ .
- الاسكندرى ، عمر وأ . ج . سفرج : تاريخ مصر الى الفتح العثمانى مع نبذة من أخبار الأمم التى ارتبطت بمصر الى ذلك العهد ، مطبعة المعارف بمصر ، سنة ١٢٣٣ - ١٩١٥ ، ص ٢٦٨ .
- ماجد ، عبد المنعم : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٢٢٥ .
- العرينى ، السيد الباز : الفارس المملوكى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الخامس سنة ١٩٥٦ ، ص ٤٨ .

(٣) جمعه ، بديع : تاريخ الصفويين ، ص ٧٨ .

ومن ثم خرج بجيشه قاصدا حرب الصفويين ، ونتيجة للتعاون بين الصفويين والمماليك بعث السلطان المملوكي قانصوه الغوري الى امرائه في الشام بمنع القوافل التجارية من الذهاب بالميره والمؤن الى الجيش العثماني . (١)

ولقد وقعت الحرب بين سليم الأول واسماعيل الصفوي في صحراء جالديران سنة ٩٢١هـ/١٥١٤م ، والتي انتهت بهزيمة الشاه اسماعيل الصفوي . (٢)

---

(١) البكري ، محمد : المنح الرحمانيه ، ص ١٦ .
- العمري العثماني ، أحمد : ذخيرة الأعلام تاريخ أمراء مصر في الاسلام ، مخطوط ، ص ١٤٤ .
- البحراوي ، محمد : فتح العثمانيين عدن ، ص ٨٦ .
- طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ٥٢ .
- جمعه ، بديع : تاريخ الصفويين ، ص ٧٨ .
- زكي ، نعيم : طرق التجارة ، ص ٣١ (يقول المؤلف أن الغوري لزم الحياد) .

(٢) بكري ، حسين بن محمد بن الحسن الديار : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ، بيروت ، سنة ١٢٨٣ ، جـ ١ ص ٣٩ . (يقول أن المعركة وقعت سنة ٩٢٠ هـ) .
- يوسف ، عزتلو : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ١٥٢ (يقول أن المعركة وقعت في سنة ٩٢٠ هـ) .
- المحامي ، محمد : الدولة العليه ، ص ١٩٠ .
- جمعه ، بديع : تاريخ الصفويين ، ص ٧٨ .
- زكي ، نعيم : طرق التجارة ، ص ٣١ .
- الماوي ، فؤاد : العلاقات الاقتصادية والمالية بين مصر والحجاز ، ص ١٨٠ .
- علي ، ابراهيم : مصر في عصر دولة المماليك ، ص ١٦٢ .
- دسوقي ، محمد : أهمية الحجاز في مطلع العصور الحديثة ، ص ٤١٦ .

ثم بعد ذلك قامت الدولة العثمانية بمهاجمة الدولة المملوكية لأسباب عدة ، منها كما ذكرنا التحالف الذى قام بينها وبين الدولة الصفوية فى فارس ضد الدولة العثمانية (١) .

ومنها محاولة العثمانيين الوصول الى البرتغاليين فى جنوب العالم الاسلامى بعد عبورهم لطريق رأس الرجاء الصالح ، لمحاربتهم نتيجة للتحالف الذى تم بينهم وبين الصفويين ضد الدولة العثمانية ، ذلك التحالف الذى تقوم فيه البرتغال بمد الصفويين بالمعونات الحربية والخبراء ، وبعد هزيمة الصفويين أمام العثمانيين نجدهم يتنازلون للبرتغاليين عن هرمز على امل قيام البرتغاليين بتزويد الصفويين بالسفن ، لمد نفوذهم نحو البحرين والقطيف فى الجزيرة العربية (٢) .

وأمام هذا النشاط البرتغالى من الجنوب والصفوى من الشرق وضعف الدولة المملوكية لم يكن لدى العثمانيين سوى السيطرة على الاراضى المملوكية قبل تمكين الخطر البرتغالى وللمحافظة على قدسية مكة المكرمة والمدينة المنورة اللتان استهدف البرتغاليون فى ما يسمى بكشوفهم الجغرافية غزوهما (٣) .

وبخاصة بعد هزيمة المماليك فى موقعة ديو البحرية سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م ، فرأى سليم الأول مهاجمة الدولة المملوكية ، وكان انتصاره على السلطان قانصوه الغورى الذى قتل فى سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م فى معركة مرج دابق بالشام ، ثم على

---

(١) المحامى ، محمد : تاريخ الدولة العليه ، ص ١٩٢ .
— فؤاد ، أحمد : الفتح العثمانى للشام ومصر ، ص ٧٤ .

(٢) بابكور ، عمر : حزام الأمن ، ص ٦١ .
— صيرفى ، نوال : النفوذ البرتغالى فى الخليج ، ص ١٥٢ .

(٣) شاكر ، محمود : شبه جزيرة العرب ، نجد ، ص ١٦٦ .

السلطان طومان باى الذى تولى بعد الغورى فى معركة الريدانية سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م فى مصـــر . (١)

---

(١) الغزى ، نجم الدين : الكواكب السائره ، جـ ١ ص ٢٠٨ .
— الحنبلى ، ابن الفلاح : شذرات الذهب ، جـ ٨ ص ١٠٢ .
— الشيلى ، محمد : السنا الباهر ، ص ١٩١ .
— ابن ظهيره : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، تحقيـــق مصطفى السقا وكامل المهندس ، الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة ، مركز تحقيق التراث ، سنة ١٩٦٩ ، ص ٥٢ .
— بكرى ، حسين : تاريخ الخميس ، ص ٣٩٠ .
— البكرى ، محمد : المنح الرحمانية ، ص ١٦ .
— السنجارى : منائح الكرم ، ص ١٦٥ .
— دحلان ، أحمد : خلاصة الكلام ، ص ٥٠ .
— الشرقاوى ، عبد الله بن حجازى : تحفة الناظرين فيمن ولى مصر مـن الولاة والسلاطين على هامش كتاب أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول ، ص ٢٢١ .
— الاسحاقى المنوفى ، محمد عبد المعطى بن أبى الفتح : أخبـــار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول ، سنة ١٢٩٦ ، ص ٢١١ .
— قلعجى ، قدرى : الخليج العربى ، ص ٣٧ .
— يوسف ، عز تلو : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٥٤ .
— الشناوى ، عبد العزيز : الدولة العثمانية ، جـ ١ ص ١٩ .
— حتى ، فليب : موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٢٧ .
— البحراوى ، محمد : فتح العثمانيين ، عدن ، ص ٨٧ .
— طلس ، محمد : عصر الانحار ، ص ٧٦ .
— سعداوى ، نظير حسان : دولة البرين والبحرين ، ص ١٦٢ .
— لويس ، برنارد : استنبول وحضارة الامبراطورية ، ص ٤٠ .
— سليم ، محمد رزق : عصر سلاطين المماليك ، ص ٦١ .
— الماوى ، فؤاد : العلاقات الاقتصادية والمالية بين مصر والحجاز ، ص ١٨٠ .
— عنان ، محمد : مصر الاسلامية ، ص ١٤٧ .

ويهمنا من كل ما سبق أثر تلك الحروب التي وقعت بين الدولة المملوكية والعثمانية والصفوية على الاقتصاد الحجازى وغيره من اقتصاد المناطق الواقعة تحت السيطرة المملوكية ، فكما ذكرنا استطاعت الدولة العثمانية قفل الطريق أمام تجارة الرقيق التي كان المماليك يعتبرونها الدعامة الوحيدة التي يرتكز عليها السلطان المملوكي ضد الفئات الأخرى من المماليك ، مما زاد في سعر هؤلاء المماليك في وقت كانت فيه الدولة المملوكية في حاجة ماسة الى الأموال لمواجهة ثورات المماليك الجلبان ، بسبب تأخر استلامهم لرواتبهم ، وما تواجهه الدولة المملوكية من غزو برتغالي استحوذ على معظم تجارة الهند وأرباحها ، (١) والتي كان المماليك يستفيدون منها كثيرا ، مما جعل هؤلاء المماليك يقومون بفرض اتاوات على الناس في أرزاقهم ووظائفهم وفائض أوقافهم . (٢)

واستحدثوا سياسة الاحتكار في الزراعة والتجارة ، لتغطية نفقاتهم وحملاتهم الحربية ، مما أدى الى قيام ثورات في مختلف الولايات المملوكية ، نتيجة لما يلاقيه سكانها من اضطهار مملوكي ، أو لعدم مقدرة الدولة المملوكية على السيطرة وقمع الحركات الداخلية في بعض الولايات ، نتيجة الصراع على السلطة فيها ، كما حدث في الحجاز حيث نجد الغوري سنة (٩١١هـ/١٥٠٥م) يقوم باعداد ثلاث حملات حربية ، احداهما لمحاربة البرتغاليين في المحيط الهندى ، والثانية لضرب المفسدين في ينبع من منطقة الحجاز ، والثالثة الى الكرك لاخماد الثورات بها . (٣)

---

(١) العريني ، السيد الباز : الغارس المملوكي ، ص ٦٦ .

(٢) سعداوى ، نظير : دولة البرين والبحرين ، ص ١٦٠ .

(٣) سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثماني الأول لليمن ، ص ٦٠ .

هذا بالاضافة الى المكوس والضرائب التى فرضها المماليك على التجار والحجاج القادمين الى بلاد الحجاز ، ولقد عبر المؤرخ نجم الدين عمر بن فهد عن ذلك الوضع بقوله : (فان العاده لم تزل من قديم الدهر فى الجاهلية والاسلام ان الملوك تحمل الأموال الجزيلة الى مكة المكرمة لتفرق على اشرافها ومجاوريها فانعكست الحقائق وصار المال يحمل من مكة ويلزم أشرافها بحمله) .(١)

ويقول ابن اياس أن الكردى القائد المملوكى بجده كان يأخذ العشر من تجار الهند المثل عشره أمثال فامتنعت التجار من دخول ميناء جده وآل أمره للخراب .(٢)

---

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ ٢ ص ٦٢١ .

(٢) ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، جـ ٥ ص ٩٠ .

الفصل الرابع

الأوضاع الاجتماعيّة والعلميّة في تلك الفترة

الفصـــل الرابـــع

الاوضاع الاجتماعية والعلمية فى تلك الفتـــــرة

١ - التركيب الاجتماعى لسكان الحجاز وأثره فى العادات والتقاليد الاجتماعية :

تعتبر الحجاز من المناطق التى تتنوع فيها الأجناس المختلفة ، التى كانـــت تؤلف المجتمع الحجازى فى ذلك الوقت ، وبخاصة فى أهم مناطقه مكة المكرمة والمدينـــة المنورة ومدينة جدة والطائف . فلقد كان المجتمع المكى فى ذلك الوقت يتكون مـــــن الاشراف وهم أمراء الحجاز فى ذلك الوقت ، وهم من أبناء قتادة بن ادريس الحسنى وكانت امرتهم تتراوح بين حكم مكة المكرمة والمناطق التابعة لها وتمتد احيانا الـــــى المدينة والمناطق التابعة لها والى جيزان جنوبا والى تربه وحرة البقوم شرقا وذلك حسب قوة الشريف الذى يحكم مكة وضعفه ، كذلك من المجتمع الحجازى فى ذلك الوقت القـــواد، مثل القواد العمرة والحميضات وهم من الموالى ، فالعمرة ينسبون الى عمر بن ابـــــى مسعود مولى الشريف أبى سعيد بن على بن قتادة أمير مكة المكرمة ، أما القـــــــواد الحميضات فينسبون الى حميضة بن أبى نمى الأول أى مواليه ، ومن القواد أيضـــــا أفراد ولاؤهم لأفراد وليسوا بجماعات مثل سعيد بن جبروه وسعيد البليني وشكر وزيـــر الشريف حسن بن عجلان وبديد بن شكر وزير الشريف بركات، وبقية الاشراف الذيـــــن ينسبون الى فروع أخرى غير فرع الشريف قتادة . ومن ضمن المجتمع الحجازى والمكى فـــى ذلك الوقت ، الاجناد وهم جماعة المماليك المقيمين فى مكة المكرمة وهم الذين كـــان السلطان المملوكى يرسلهم لخدمة المصالح المملوكية فى الحجاز والمحافظة على تدعيــم الحاكم فى مكة ، وكان لهم دور كبير فى الاضطرابات التى تحدث بالحجاز ، ثم كـــان هناك العلماء الذين يكونون جزءاً من المجتمع فى ذلك الوقت ، ولقد كان لهـــــؤلاء العلماء الكثير من التلاميذ الذين تخرجوا على ايديهم ، ولقد كان لهم دورا كبيـــــرا فى الحياة العلمية فى ذلك الوقت ، وكان هناك التجار أيضا ، الذين كانوا يكونـــــون جزءاً من المجتمع الحجازى ، فلقد ازدهرت التجارة فى ذلك الوقت بعد تحـــــول

تجارة الشرق من ميناء عدن الى ميناء جدة فى الحجاز مما أدى الى ظهور طبقة فى المجتمع المكى والحجازى تهتم بأمور التجارة ، كذلك كان فى الحجاز المجاورون الذين كانوا يقضون فترة من حياتهم فى المجاورة بمكة أو المدينة المنورة تقربا لله أو للمجاورة كاملة فى مكة المكرمة أو المدينة المنورة للعبادة وطلب العلم والتعليم ثم الاستقرار ، وضمت طبقة المجاورين جنسيات مختلفة منهم العلماء والتجار (١) . ومنهم أيضا من تخلف فى فترة الحج والعمرة لقلة مابيده من أموال تساعده فى العودة أو لطلب الرزق فى الاماكن المقدسة وعلى مر القرون ازداد الغرباء الوافدون زيادة كبيرة وقل عدد أهلها الأصليين .بالنسبة الى الوافدين والمقيمين فيها (٢) .

كذلك كانت هناك طبقة الطواشية (أغوات الحرمين) الذين يقومون بخدمة الحرمين الشريفين ، (٣) وأول من استخدمهم لذلك السلطان صلاح الدين الأيوبى (٤) .

هذا بالاضافة الى سكان مكةالمكرمة الاصليين ، وهم قلة من بطون قريش التى بقيت بمكة المكرمة (٥) .

وبالاضافة الى أهل الجهات الموالية لمكة مثل قبائل بجيلة وزهران وغامد (٦) وبالحارث وحرب وعتيبة وثقيف وبنى سليم وجهينة وهذيل وكنانه وغيرهم من القبائل الحجازية .

وكثرت فى المدينة المنورة الجنسيات الاسلامية المتنوعة سواء من داخل

---

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٥٢ .
(٢) السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٠٧ .
(٣) باقاسى ، عائشة : بلاد الحجاز فى العصر الايوبى ، ص ١١٢ .
(٤) ان عادة الخصاء معروفة وشائعة فى كثير من البلاد التى فتحها المسلمون فى عهد الفتوح الاسلامية والشريعة الاسلامية لا تقر مبدأ الخصاء الا للضرورة .
(٥) السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٠٧ .
(٦) ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٦٤ .
ـــ السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ٢ ص ٣٢٣ .

الحجاز أو من خارجه فى حين كان سكانها من الأوس والخزرج قلة.[(١)]

كذلك كانت جدة فى ذلك الوقت تضم فئات عديدة ومختلفة من أبناء العالم الاسلامى فى ذلك الوقت ، مثل الاحباش واليمنيين والهنود والترك والشاميين والمصريين.[(٢)] اضافة الى السكان الاصليين سواء من بنى هاشم وقريش عامة وغيرهم من القبائل الحجازية.

ولقد امتزجت هذه الاجناس المتنوعة فيما بينها بالزواج والمعاشرة لتكون مجتمعا واحدا يربط فيما بينه روابط الأخوة الاسلامية ، بغض النظر عن اللهجات المتنوعة والألوان المختلفة قال تعالى فى كتابه الكريم : (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم).[(٣)]

وفى الحقيقة هذا التنوع البشرى فى المجتمع الحجازى بصفة عامة كان له كبير الأثر فى العادات والتقاليد التى سادت ذلك المجتمع ، فلقد كان يجلب اليه ابناء الأمة الاسلامية المترامية الاطراف كثيرا مما كان يسود مجتمعاتهم من عادات وتقاليد مختلفة ، مما جعل المجتمع الحجازى كثير المظاهر الحضارية والاحتفالات الدينية والعلوم بمختلف انواعها من دينية وتاريخية وحضارية وللمجاورين أثر فعال فى صبغ مكة المكرمة وغيرها من مدن الحجاز بهذا المزيج من العادات والتقاليد[(٤)] ومن العادات السائدة فى المجتمع الحجازى والمكى خصوصا فى ذلك الوقت

---

(١) السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢١٨.

(٢) ششه ، نوال سراج : جدة فى مطلع القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى ، رسالة ماجستير مطبوعة ، الطبعة الاولى ، مكتبة الطالب الجامعى ، مكة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص ١٠١.

(٣) سورة الحجرات الآية (١٣).

(٤) المشيقح ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٤٧.

الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، حيث كانوا في ليلة الثاني عشر من ربيع الاول من كل عام يقومون بزيارة مكان مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسوق الليل بمكة المكرمة[١] والقيام بالعمرة الرجبية ، تأثرا بالمجتمعات المجاورة في بعض الاقطار الاسلامية واحتفالهم بالسابع والعشرين من رجب ، وهي ذكرى اتمام عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بناء الكعبة سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م.[٢] والاحتفال بليلة النصف من شعبان ، حيث يبادرون الى أعمال البر من طواف وصلاة واعتمار[٣] ومن المظاهر الدينية لديهم تعدد الائمة في الصلوات الخمس بالمسجد الحرام.[٤] وكان أهل مكة المكرمة يحتفلون ببعض الاصلاحات في المسجد الحرام ، ويحتفلون بأبنائهم عند اتمام حفظ القرآن الكريم ، ويحتفلون عند تولي سلطان جديد من مصر أو عند تولي حاكم جديد بمكة المكرمة وكانت تقام العرضة.[٥] وكان يحتفل بقدوم محمل الحاج المصري ، وكان المكيون يهتمون بحفلات الزواج ، وكان الزواج يكثر بعد موسم الحج ، ويعملون عقد النكاح بالمسجد الحرام[٦] وكان أكثر لباسهم يغلب عليه اللون الأبيض ، ويستعملون الطيب ويكثرون السواك[٧] وكما ذكرنا فان اندماج ابناء الكثير من الشعوب الاسلامية بالمجتمع

---

(١) ابن ظهيرة ، محمد : الجامع اللطيف ، ص ٣٢٥.
— القطبي ، عبد الكريم : تاريخ البلد الحرام ، ص ١٤٧.
(الاحتفال بالمولد النبوي من العادات التي انتقلت الى مكة من الفاطميين الشيعة في مصر وعمت البلاد الاسلامية وهي من الأمور المبتدعة لم يعملها السلف الصالح)

(٢) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٦٧.
— ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٣.
(عمرة رجب والاحتفال بالسابع والعشرين من رجب وهي ذكرى اتمام عبد الله ابن الزبير بناء الكعبة هذه عادة بدأها عبد الله بن الزبير حين اتم بناء الكعبة سنة ٦٤هـ)

(٣) ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٦٥.

(٤) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٦٧.
— ابن ظهيرة ، محمد : الجامع اللطيف ، ص ٢١٣.
— ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٦٠.
(تعدد الائمة في الصلوات الخمس بالمسجد الحرام عادة قائمة منذ القرن السادس الهجري ولا يعلم من احدثها ولا متى وهي بدعة ممقوته)

(٥) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٣ ص ٧٩.

(٦) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٦٧.
— ابن المجاور ، يوسف : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، القسم الاول ، ص ٦.

(٧) ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١٤٩.

الحجازى أدى الى ازدهار الحركة التجارية والاقتصادية.[(١)] وأكسبه عادات وتقاليد مختلفة سلبية او ايجابية.

ولكن لكثرة من جاور بمكة سواء لغرض دينى أو تجارى او للاستقرار وطلب الرزق ، ادى الى ضيق أهل الحجاز لأن هؤلاء المجاورين كانوا يأخذون معظم الصدقات التى كانت ترد الى الحجاز عن طريق المحمل الشامى والمصرى وغيرها من الصدقات . وكانت موارد الحجاز الاقتصادية بيد الاشراف ، مثل عشور مراكب التجارة والمكوس[(٢)] والمواريث الحشرية وما يهدى اليهم من سلاطين البلاد الاسلامية ، وكانوا ينفقون من ذلك على القادة والعبيد وما كانوا مكلفين به من قبل السلطة من الانفاق على المحمل المصرى.[(٣)]

ومما سبق يتضح لنا أن تنوع الهجرات الى الحجاز جعل هناك الكثير من الطباع التى اندمجت سويا مكونة الكثير من العادات والتقاليد والاحتفالات والمناسبات وكان له تأثير على اللغة فى ذلك الوقت.[(٤)] وامتد تأثيرها الى الوقت الحاضر.

---

(١) عبد الرحمن ، عبد الرحيم : الحجازيون فى مصر ، ص ١٤٢ .

(٢) ما يؤخذ من ضرائب على التجارة.

(٣) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٥٢ .

ـ طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ١٩٤ .

(٤) السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٠٧ .

٢ - الناحية العلمية فى الحرمين الشريفين وأثر المجاورين فى ذلك :-

كان الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه أول معلم يعلم المسلمين تعاليم الدين الاسلامى الحنيف فى مكة قبل الهجرة النبوية الشريفه فى دار الارقم ، ثم بعد فتحه لمكة المكرمة أصبحت بمسجدها الحرام مركز نور واشعاع لمدرسة علمية ثانية للمدرسة الاولى التى تأسست فى المسجد النبوى بعد هجرة المصطفى الى يثرب وظل المسجد الحرام مركزا مهما لنشر العلوم حتى القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى وما بعده من قرون ، ولم يكن العلماء الذين يدرسون فيه جميعهم يتقاضون مرتبا من الدولة ، وانما كان عملهم فى سبيل الله سبحانه وتعالى . وكان الطالب عندما يستوعب درس شيخه يقوم بمنحه اجازة (١) ، فى حين كانت هناك بعض حلقات الدروس فى المسجد الحرام كانت بها دروس يقررها بعض الأمراء أو التجار من المسلمين ويقومون بدفع أجر معلوم للشيخ الذى يدرسها مثل الدرس الذى قرره يلبغا الخاصكي أحد مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، فلقد قرر درسا فى الفقه الحنفي فى سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م ، ودرسه الشيخ محمد الصاغانى (٢) ، والدرس الذى قرره شاه شجاع بن محمد بن ملك شيراز (٣) ، فلقد قرر درسا فى الحديث وممن تولى تدريسه الشيخ على الفوى المتوفى سنة ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م ، والدرس الذى قرره بدر الدين الخروبى أحد تجار الكارم بمصر . وتولى تدريسه الشيخ علي بن محمد الحسينى ، والدرس الذى قرره بشير الجمدار أحد أمراء المماليك بمصر ، ودرسه القاضى جمال الدين بن ظهيرة والقاضى أحمد العقيلى الملقب بمحب الدين النويرى (٤) سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م ، والدرس الذى قرره السلطان المملوكى قايتباى فى مدرسته بمكة سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م ودرسه الشيخ البرهان بن ظهيرة (٥) .

---

(١) (أن يجيز الشيخ لطالب لديه تدريس كتاب معين أو ماسمع عنه فى عدة مؤلفات)

(٢) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٣ ص ٢٩٦ .
- المصدر السابق ، جـ٤ ص ١٦٠ .
- عبد الله ، عبد الرحمن صالح : تاريخ التعليم فى مكة المكرمة ، الطبعة الاولى ، دار الفكر ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م ، ص ٤٢ .

(٣) (سلطان بلاد فارس ، توفى سنة ٧٨٧هـ)
- ابن تغرى بردى ، يوسف : الدليل الشافى على المنهل الصافى ، جـ١ ص ٣٤ ترجمة رقم ١١٧٢ .

(٤) عبد الله ، عبد الرحمن صالح : تاريخ التعليم فى مكة المكرمة ، ص ٤٢ .

(٥) الغزى ، نجم الدين : الكواكب السائره ، جـ١ ص ٢٩٧ .

ويعتبر القرن الثامن والتاسع الهجرى الرابع عشر والخامس عشر الميلادى من قرون النشاط فى العلوم الدينية والأدبية واللغوية والفلسفية والشعر والحكمة وغيرها من العلوم (١) فى الحجاز وغيرها من مناطق العالم الاسلامى ، حيث حظيت الحياة الثقافية بالحجاز باهتمام الحكام المسلمين خصوصا فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وكذلك السلاطين المماليك لما ظهر فى أول عهدهم من اهتمام بالعلم والعلماء وتخصيص الأوقاف وما يتحصل منها للانفاق على القائمين بأمور الثقافة الاسلامية والعلوم الدينية. (٢) بالاضافة الى موسم الحج الذى يعتبر مؤتمرا اسلاميا يلتقى فيه ابناء العالم الاسلامى ومنهم العلماء ، فيتدارسون فيما بينهم الأمور الدينية ويأخذون عن بعضهم البعض الحديث والتفسير والفقه والعربية ويعود أكثرهم الى بلاده وقد استفاد ، بينما يطيب لبعض منهم البقاء بمكة المكرمة ، أو المدينة المنورة ويدرسون ويدرسون ، ويطمئنون الى جوار الحرمين الشريفين جوار الله سبحانه وتعالى. (٣)

وعليه فلم تقتصر فائدة الدروس التى كانت تلقى بالمسجد الحرام والمسجد النبوى على ساكنه أفضل الصلاة والسلام على المكيين أو الحجازيين أنفسهم ، بل نهل منها علماء من شتى بقاع العالم الاسلامى. (٤)

ويعتبر أكثر المجاورين بالأراضي المقدسة من العلماء بالاضافة الى قلة من

---

(١) المشيقح ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٤٦.

— سبيع ، عبد العظيم عبد العزيز : حاضر العالم الاسلامى ، الطبعة الاولى ، مكتبة السلام العالمية ، القاهرة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م ، ص ٩٦ (يقتصر المؤلف على النشاط العلمى على حد القرن الثامن الهجرى ثم يقول تلى ذلك فترة ركود علمى).

(٢) التهامى ، محمد : الاصلاحات المملوكية فى الاراضى الحجازية ، ص ٩١.

(٣) السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٣.

(٤) عبد الله ، عبد الرحمن : تاريخ التعليم ، ص ٤٣.

الذين نفـوا من مصر أو كبار التجار أو غيرهم ممن تخلف في الحج والعمرة ، وتعـود جنسيات هؤلاء العلماء وغيرهم من المجاورين الى جنسيات متنوعة فمنهم المصريـون والشاميون وهم الأغلبية لكون المماليك حكام مصر والشام لهم علاقات مميزة مع الحجاز اضافة الى العراقيين والمغاربة واليمنيون وهم قلة.(١)

ولقد كان الاهتمام بالحرمين الشريفين وعلمائهما ومجاوريهما وتشجيـع العلوم بمختلف أنواعها من اهتمامات الحكام المسلمين في ذلك الوقت ، فلقد ارسل السلطان مظفر شاه سلطان الكجرات في ذلك الوقت وكان حسن الخط مصحفا الـى المدينة المنورة(٢) قام بخطه ، وعندما قام السلطان المملوكي الظاهر بيبرس بالحج سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م ، قام بزيارة المسجد النبوي الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وتصدق على المجاورين به وبالمسجد الحرام وفرق كساوى على أهل الحرم وغسل الكعبة.(٣) هذا مما يدل على حبه للخير ، وعندما قام الأمير سلار كافـل السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالحج سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م ، قام باكـرام المجاورين وأوفى عنهم ديونهم ، وأعطى لكل واحد منهم مئونة سنه وفرق على جميـع أهل مكة والمدينة الصدقات .(٤) كذلك عندما حج الامير بشتاك سنـة

---

(١) السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٣٠

ــ العبيكان ، طرفه عبد العزيز : الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة ، رسالة ماجستير ، جامعة الملك سعود ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م ، ص ١٩٩.

(٢) النهروالي ، قطب الدين : البرق اليماني في الفتح العثماني ، ص ١٢.

(٣) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٣ ص ٩٧.

ــ التهامي ، محمد : الاصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية ، ص ٩٠

(٤) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٣ ص ١٣٩.

ــ التهامي ، محمد : الاصلاحات المملوكية في الاراضي الحجازية ، ص ٩٠

٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م ، فرق الأموال على المجاورين وعلى أهل مكة [١] تقربا الى اللـــه باكرام سكان الاراضى المقدسة .

ولقد كان سلاطين المماليك فى مصر دائما يعملون على راحة سكان الحرميـن الأصليين والمجاورين ، ويقدمون لهم المساعدات المالية . [٢] ومن أشهر الذيـــن جاوروا بمكة المكرمة فى ذلك العصر للتعليم أو طلبا للعلم ومنهم على سبيل المثـــال الشيخ محمد بن عبد القوى بن محمد البجائي الاصل الذى نهل العلم من الكثير من علماء مكة فى ذلك الوقت وأجازوا له التدريس والفتوى . توفى سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م بمكة المكرمة [٣] والشيخ أحمد بن على بن عمر الكلاعى الحميرى الشوائطي نسبة الى بلـدة شوائط قرب تعز باليمن الشهير بالمقرى والذى قرأ على يد الكثير من علماء مكة المكرمة ، والذى توفى بمكة المكرمة سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م . [٤] والشيخ محمد بن عبد الرحمـــن السخاوى الذى له مؤلفات عديدة منها ترجمة ابن حجر ، والضوء اللامع فى أخبـــار القرن التاسع ، وتحرير الميزان ، وعمدة القارىء والسامع فى ختم الصحيح الجامــع ، وغنيمة المحتاج ، وتوفى فى مكة المكرمة أو المدينة المنورة سنة ٩٠٢ هـ /١٤٩٦م [٥] ، والشيخ حسين بن مضر الدين البلخى البهارى الذى توفى بمكة المكرمـــــة

---

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٣ ص ٢١٧ .
— التهامى ، محمد : الاصلاحات المملوكية فى الاراضى الحجازية ، ص ٩٠ .

(٢) العبيكان ، طرفه : الحياة العلمية والاجتماعية فى مكة ، ص ٢٠٢ .

(٣) ابن فهد الهاشمى ، عمر : معجم الشيوخ ، تحقيق وتقديم محمد الزهــى ، مراجعة وقابله على الاصل حمد الجاسر ، دار اليمامة ، المملكة العربيـــة السعودية ، ص ٦١ .
— المشيقح ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٤٩ .

(٤) ابن فهد ، عمر : معجم الشيوخ ، ص ٦٧ .

(٥) الغزى ، نجم الدين محمد بن أحمد : الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة تحقيق د . جبرائيل سليمان جبور ، دار النشر محمد أمين دحج وشركـــاه بيروت ، لبنان ، جـ١ ص ٥٣ .

سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م .[١] والشيخ بدر الدين أحمد بن محمد العمرى الكازروني نزيل مكة المكرمة .[٢] والشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن عياش الشهير بابن عياش زين الدين الدمشقي الأصل جاور بمكه مده طويله وتصدى لتدريس الطلبه في الحرمين وصار شيخ الاقراء الذى توفى بمكة المكرمة سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م.[٣] والشيخ محمد بن عبد الله بن بهاء الدين الطبرى خطيب مكة المتوفى سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م،[٤] والشيخ محمد بن عبد الله بن ظهيرة قاضي مكة وخطيبها و مفتيها المتوفى بمكة المكرمة سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م[٥] والشيخ محمد بن أبى بكر عبد الله بن ابراهيم رضى الدين ابو عبد الله العسقلاني شيخ الحرم ومفتيه المتوفى بمكة سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م[٦] والشيخ محمد بن عبد الله جمال الدين بن فهد قاضي مكة ومفتيها المتوفى سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م[٧] والشيخ محمد بن محمد بن حسين بن على بن ظهيره كمال الدين ابو البركات بن ابى السعود قاضي مكة المتوفى سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م.[٨] وغير هؤلاء الكثير خاصة من العوائل التى اشتهرت بمكة المكرمة في ذلك الوقت بالعلم

---

(١) الحسنى ، الشريف عبد الحي بن فخر الدين : نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، الطبعة الثانية ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن ، الهند ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م ، جـ٣ ص ٦١ .

(٢) الهاشمى ، محمد جار الله بن عبد العزيز بن عمر بن فهد : تحفة اللطائف فى فضائل الحبر بن عباس ووج والطائف ، تعليق ومراجعة محمد سعيد جمال ، محمد منصور الشقحاء ، نادى الطائف الادبى ، ص ١٤٩ .

(٣) المشيقح ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٥٠ .

(٤) ابن تغرى بردى ، يوسف : الدليل الشافى ، جـ٢ ، ترجمة ٢٢١٨ ، ص ٦٤٥

(٥) المصدر السابق ، جـ٢ ، ترجمة ٢٢١٩ ، ص ٦٤٥ .

(٦) المصدر السابق ، جـ٢ ، ترجمة ٢٢٢٠ ، ص ٦٤٥ .

(٧) المصدر السابق ، جـ٢ ، ترجمة ٢٢٢١ ، ص ٦٤٦ .

(٨) المصدر السابق ، جـ٢ ، ترجمة ٢٣٩٦ ، ص ٧٠١ .

والافتاء أمثال آل فهد والنويرى والطبرى ، والكثير من العلماء الذين جاوروا في مكة المكرمة والمدينة المنورة لغرض مجاورة المدينتين المقدستين أولا ، وللافادة والاستفادة من التدريس والعلوم التي كانت تدرس بالمسجد الحرام بمكة والمسجد النبوى بالمدينة المنورة ثانيا ، ومن المجاورين كذلك جماعة من غير العلماء منهم ، محمود بن أحمد القاواني من اقليم جيلان المطل على بحر قزوين الذى حج في شبابه وأقام في مكة المكرمة فترة من الزمن ثم انصرف الى التجارة في الخليج العربي (١) ، ومنهم قانم الفقيه الطاهرى الذى كان قائد جند المماليك المرابطين بمكة المكرمة (٢) ، ومنهم شمس الدين محمد بن عمر الشهير بابن الزمن وكيل وتاجر السلطان المملوكي قايتباى في الحجاز ، وشاد عمائره الأمير سنقر الجمالي (٣) ، ومنهم ابراهيم بن النجم عبد الكريم بن عمر الدمشقي ثم القاهرى المندى أقام بمكة المكرمة والمدينة المنورة وكان من التجار (٤).

ويهمنا من ذكر هؤلاء المجاورين الأثر العلمى والاجتماعى الذى كان لهم في الحياة العامة في الحجاز في ذلك الوقت من نقلهم لكثير من العلوم والعادات والتقاليد الى الحجاز ، وما كان لهم من دور في ازدهار العلوم وكذلك التجارة والصناعة والبناء في بلاد الحجاز ، اضافة لما كان لعلماء الحجاز وتجارها الاصليين من دور في الحياة العلمية والتجارية في بلاد الحجاز.

---

(١) الحميدان ، عبد اللطيف : مكانة السلطان أجود بن زامل الجبرى في الجزيرة العربية ، ص ٥٧.

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ٣ ص ٢٢١.

(٣) النهروالى ، قطب الدين : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، جـ٣ ص ٢٢٥.
(سنقر الجمالى ناظر الخاص يوسف بن كاتب حكيم الدين أبو السعادات ترقى حتى عمل الشاديه على عمائر السلطان بمكة والمدينة واضيفت اليه الحسبه بمكة).
ـ السخاوى ، محمد : الضوء اللامع ، جـ٣ ص ٢٧٧.

(٤) السخاوى ، محمد : الضوء اللامع ، جـ١ ص ٦٩

٣ - المدارس والبيوت العلمية فى تلك الفترة :

لم تخل بلاد الحجاز فى تلك الفترة من المدارس والبيوت العلمية التى أسهمت كثيرا بجانب التدريس بالمسجد الحرام والمسجد النبوى فى تخريج أجيال من العلماء الأفاضل . وكانت هذه المدارس مدارس مجانية يساهم فى اقامتها المجتمع الاسلامى ، فلقد تنافس السلاطين والامراء والتجار فى انشاء هذه المدارس ورصدوا الأراضى والممتلكات للانفاق عليها ، ووزعوا الأرزاق على الطلاب والمعلمين لسد مطالبهم في الحياة.(١)

ومن هنا نشأ نظام الأوقاف التى يحبسها القادرون على المدارس على مر العصور الاسلامية تمكينا لها من أداء رسالتها ، ثم انفصلت المدرسة عن المسجد بعد أن كانت المدارس الاولى ملحقة بالمسجد الحرام وغيره من المساجد .(٢)

ولعل الظروف التى مرت على العالم الاسلامى قبيل بسط النفوذ العثماني على معظمه من غزو صليبى برتغالي استهدف تخريب الاماكن الاسلامية المقدسة في الحجاز ، وحينما عجز عن تحقيق أهدافه اتجه نحو اضعاف العالم الاسلامى اقتصاديا ، كل ذلك كان له أثر على سير الحياة العامة ليس فى الحجاز فقط انما فى سائر البلاد الاسلامية وليس صحيحا ما يقال أن المماليك وصراعهم على السلطة قد فرض التخلف الذى تعرض له العالم الاسلامى في ذلك العهد .(٣)

---

(١) ساعاتى ، د . يحيى محمود : الوقف ونبيه المكتبة العربية استبطان للموروث الثقافى ، الطبعة الاولى ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ١٦ .
عبود ، د .عبدالغنى : دراسة مقارنة لتاريخ التربية ، الطبعة الاولى ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٨م ، ص ٢٣٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥٨ .

ولكن يمكن القول أن صراع المماليك وثوراتهم قد أوجد الفرصة للبرتغاليين وغيرهم من الصليبيين لكي يصلوا الى جنوب العالم الاسلامى ، ويتمكنوا من تهديد التجارة الاسلامية بما فيها البحر الاحمر ومن خلاله هددت الاماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، بالاضافة الى ما أحدثه هذا الصراع على السلطة من ثورات ومنازعات بين المماليك أضعفهم داخليا ، وانعكس ذلك سلبا على البلاد ذات الصلات المميزة بالدولة المملوكية ، وادى ذلك الى اهمال الشئون الداخلية في دولة المماليك ، وضياع تجارة الشرق الأقصى من ايديهم ، التى كانت تعود عليهم بالكثير من الموارد تنعكس على الناحية العلمية ، وحينما نذكر المدارس في المنطقتين المقدستين ، نجد أن المدارس كانت بها منذ فترة قديمة ، كما ذكر تقى الدين الفاسى فى كتابه " شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام " ومنها : مدرسة الملك الأفضل عباس بن الملك المجاهد صاحب اليمن اوقفها قبل سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م [(١)] ويذكر المؤرخ محمد بن أحمد المكى المعروف بالصباغ فى مؤلفه تحصيل المرام فى أخبار البيت الحرام والذى كان حيا سنة ١٢٤٣ -١٣٢١هـ الموافق ١٨٢٧ - ١٩١٢م وان هذه المدرسة تعرف فى زمانه باسم ابن عباد الله [(٢)] وتقع هذه المدرسة شرق المسجد الحرام ومدرسة بدار

---

(١) الفاسى ، أحمد بن على الحافظ ابن الطيب تقى الدين : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، جـ١ ص ٣٢٨ .
— ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٣ ص ٣٠٩ .

(٢) الصباغ ، محمد بن أحمد المكى : تحصيل المرام فى أخبار البيت الحرام ، ص ١٥٥ .
- ساعاتى ، يحيى : الوقف وبنية المكتبة العربية استبطان للموروث الثقافى ، ص ١٩ .
(ذكر المؤلف ان تاريخ وقفية هذه المدرسة هو سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م وان وقفيتها على الفقهاء الشافعية)
- العبيكان ، طرفه : الحياة العلمية والاجتماعية فى مكة فى القرنين السابع والثامن للهجرة ، ص ٥٦ .
(ذكرت المؤلفة ان هذه المدرسة اوقفت قبل سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م ، وابتدأ التدريس بها سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م وهذا أقرب للصواب) .

المجلة فى الناحية الشمالية من المسجد الحرام ولا يعرف تاريخ وقفيتها ولا من اوقفها ، ويذكر أن الأمير ارغون النائب عمل فيها درسا للحنفيه قبل سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م أو بعدها[١] ويعرفها الصباغ بأنها تعرف فى عهده باسم مدرسة عبد الباسط وان وقفيتها كانت على أئمة مقام الحنفى[٢] وكانت هناك مدارس فى الناحية الغربية من المسجد الحرام منها ، مدرسة الأمير فخر الدين الشلاج امير مكة من قبل (زمن الدولة الرسولية باليمن).[٣] ويذكر الصباغ انها كانت تعرف فى عهده باسم دار السلسلة وقد أوقفها الأمير فخر الدين نائب عدن على مكة المكرمة على علماء الحنفية سنة ٥٩٨هـ / ١٢٠١م ، على باب العمرة.[٤] ومدرسة الملك المجاهد صاحب اليمن من جنوب المسجد الحرام وتاريخ وقفها فى ذى القعدة سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م ،على الفقهاء الشافعية[٥] ويذكر الصباغ انها كانت تعرف بسكنها قضاء مكة[٦] ومن المدارس بمكة المكرمة أيضا مدرسة الملك المنصور غياث الدين ابن المظفر أعظم شاه بن السلطان اسكندر شاه صاحب بنجاله جنوب المسجد الحرام ، ويرجع انشائها الى سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م ، أو فى سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م[٧] حينما أوفد مبعوثه ياقوت السلطانى لمكة المكرمة لانشاء مدرسة على المذاهب الأربعة وأشترى حديقتين بوادى مر (وادى فاطمة) واوقفها للانفاق على المدرسة وأوقف عليها ايضا دار تقابلها تعرف بدار أم هانى .

---

(١) الفاسى ، أحمد : شفاء الغرام ، جـ١ ص ٣٢٨ .
(٢) الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٥ .
(٣) الفاسى ، أحمد : شفاء الغرام ، جـ١ ص ٣٢٨
(٤) الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٥ .
(٥) الفاسى ، أحمد : شفاء الغرام ، جـ١ ص ٣٢٨ .
(٦) الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٦ .
(يذكر المؤرخ أن تاريخ وقفيتها هو سنة ٧٣٥هـ)
(٧) الفاسى ، أحمد : شفاء الغرام ، جـ١ ص ٣٢٨ .

ومن المدارس مدرسة ابن علي بن أبي زكريا جنوب المسجد الحرام وتعرف بمدرسة أبي طاهر المؤذن وتاريخ وقفها سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م.(١) ومدرسة الأرسوفي قرب باب العمرة وهو العفيف عبد الله بن محمد الارسوفي أوقفت سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٥م)(٢) ومدرسة ابن الحداد المهدوي قرب المدرسة السابقة وتعرف بمدرسة الاشراف للأدارسة لاستيلائهم عليها وتاريخ وقفها ربيع الآخر سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م على المالكية(٣) ومدرسة النهاوندي بقرب الموضع الذي يقال له الدريبة.(٤)

وذكر المؤرخ نجم الدين عمر بن فهد المدارس التي كانت قائمة في عهده ومنها المدرسة الكلبرجيه التي أنشأها السلطان شهاب الدين أبوالمغازي أحمد شاه سلطان كلبرجه في الهند على باب الصفا في دار كانت ملكا للسيد بركات بن حسن ابن عجلان في سنة ١٨٣١هـ/ ١٤٢٧م وعين لها الشيخ جمال الدين عبد الواحد المرشدي مدرسا ، والمدرسة الباسطية نسبة لزين الدين عبد الباسط ناظر الجيش في سلطنة الأشرف برسباي على باب العجلة سنة ٨٣٥هـ/ ١٤٣١م ، والمدرسة الزمامية التي أنشأها الطواشي خشقدم الزمام ، ومدرسة في رباط رامشت انشئت سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م حينما أمر ناظر الحرم بردبك التاجي باصلاح رباط رامشت وجعله رباطا ومدرسة ، ومدرسة صاحب كنباية غياث الدين محمد شاه التي أنشئت في سنة

---

(١) الفاسي ، احمد : شفاء الغرام ، جـ١ ص ٣٢٨.
— ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٣ ص ٥٤.
(يقول المؤرخ ان هذه المدرسة تعرف في عهده باسم بيت ورثة الشيخ اسماعيل الزمزمي)
— طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ٢٠٢.
(يقول انشئت سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م).

(٢) الفاسي ، أحمد : شفاء الغرام ، جـ١ ص ٣٢٨.

(٣) المصدر السابق ، جـ١ ص ٣٢٨.

(٤) المصدر السابق ، جـ١ ص ٣٢٨.
— الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٥.
— السليمان ، علي : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٥.
— السباعي ، محمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص ٣٢٩.
— العبيكان ، طرفه : الحياة العلمية والاجتماعية ، ص ٩٦.

٨٦٦هـ/ ١٤٦١م وكان الناظر عليها الخواجا سراج الدين عمر بن الظاهر ، ومدرسة الأشرف قايتباى التى أمر بانشائها سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م وعمرها له الخواجا شمس الدين عمر بن الزمن وشاد عمائره الأمير سنقر الجمالي . (١) بالاضافة الى المدارس القديمة التى أنشئت قبل عهد ابن فهد ومنها ، المدرسة الشرابية بباب السلام وقام باصلاحها ناظر الحرم سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م ، والمدرسة الغطيفية التى أصلحت ...

---

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٨٢ .
- النهروالى ، قطب الدين : الاعلام باعلام البيت الحرام ، جـ٣ ص ٢٢٥ .
- الطبرى ، على : الأرج المسكى فى التاريخ المكى ، ص ١٦ .
- العصامى ، عبد الملك : سمط النجوم العوالي ، جـ٤ ص ٤٤ .
- الطبرى ، محمد : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٢٦ .
- الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٨
- الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٦ .
- ابن الفتح ، محمد : أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول ، ص ٢٠٨ .
- ابن طولون ، شمس الدين : مفاكهة الخلان ، ص ٣٣ .
- المشيقح ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٥٤ .
- اليوزبكي ، توفيق : تاريخ تجارة مصر البحرية ، ص ٢٩ .
- السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص ٣٢٨ .
- مورتيل ، ريتشارد : الأحوال السياسية ، ص ١٥٦ .
- محمود ، عبد الرحمن : قايتباى ، ص ٢٠٦ .
- طلس ، محمد : عصر الانحدار ، ص ٢٠٢ .
- شكرى ، د . محمد أنور : لوحان أثريان للسلطان قايتباى والسلطان سليمان القانوني فى قسم الحضارة الاسلامية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية قسم التاريخ والحضارة الاسلامية ، مكة المكرمة ، مطابع دار الثقافة ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، ص ٣٩ .
- ابن دهيش ، عبد اللطيف عبد الله : المكتبات الخاصة فى مكة المكرمة ، ـــ

سنة ٨٦١هـ/١٤٥٦م ، والمدرسة المجاهدية والمدرسة الأفضلية التي لم تنل نصيبا في الاصلاحات في ذلك الزمن. اضافة الى مدرسة السلطان احمد شاه سلطان الكجرات التي أنشأها بمكة المكرمة وعرفت بالمدرسة الكنبائية.[٢] ومدرسة للسلطان مظفر الكجراتي أنشأها في مكة المكرمة أيضا.[٣] وكانت آخر مدرسة انشئت بمكة المكرمة في عهد المماليك تلك المدرسة التي أنشأها السلطان المملوكي قانصوه الغوري سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م.[٤] ولم تخل المدينة المنورة من المدارس في ذلك الوقت ومن أهم مدارسها ، مدرسة السلطان المملوكي قايتباى الذي قام بانشائها بعد الحريق الذي لحق بالمسجد النبوي الشريف على صاحبه افضل الصلاة والسلام سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م[٥] وكان المشرف على بنائها الخواجا شمس الدين بن الزمن ، ولم تكن الدراسة قاصرة في ذلك الوقت على المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف والمدارس التي ذكرناها ، بل كان هناك دور بارز لبعض البيوت العلمية التي قصرت همتها على العلم ، ومن أشهرها آل ظهيرة وآل الطبري

= الطبعة الاولى ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ص ١٢.

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٨٢.

(٢) النهروالي ، قطب الدين : البرق اليماني في الفتح العثماني ، ص ١٢.

(٣) المصدر السابق ، ص ١٣.

(٤) المشيقح ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٥٥.

(٥) الحنبلي ، ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ ٨ ص ٧.

- ابن اياس ، محمد : بدائع الزهور ، جـ٣ ص ١٩٦.
- عبد المعطي ، محمد : أخبار الأول ، ص ٢٠٩.
- النهروالي ، قطب الدين : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، جـ٣ص ٢٢٩
- اليوزبكي ، توفيق : تاريخ تجارة مصر البحرية ، ص ٢٩.
- محمود ، عبد الرحمن : قايتباى ، ص ٢٠٦.

وآل فهد وآل الفاسي وآل النويرى وآل المرشدى وآل الصاغاني ، اضافة الى مجلس الشريف محمد بن بركات أمير الحجاز فى ذلك الوقت ، والذى كان يعتبر ندوة لكبار العلماء.(١)

ولقد اشتهر من آل ظهيرة فى هذا العهد ، محمد أبو السعود وابراهيم وجمال الدين محمد بن عبد الله وصلاح الدين وعبد القادر عفيف الدين ، كما اشتهر من آل الطبرى شيخ الاسلام ابراهيم بن محمد بن ابراهيم والشيخ رضى الدين وقاضي مكة نجم الدين وزين الدين وشهاب الدين وأم سلمه بنت المحب الطبرى وأحمد بن العليف وأحمد الحرازى وأحمد علاء الدين وتقي الدين محمد الفاسي والشيخ نجم الدين بن فهد وابنه عبد العزيز والشيخ مجد الدين بن يعقوب الفيروزابادى وعالم مكة الشيخ محمد بن الفقيه وامام الحنابلة محمد بن عثمان البغدادى وشهاب الدين بن البرهان وعبد الله بن عمر الصوفي وشهاب الدين أحمد ابن على وعبد الحق اليسنباطى وعبد الكبير الحرازى والسيد محمد الخطاب.(٢)

وكان من هؤلاء العلماء والمشايخ من جمع بين العلم والافتاء والقضاء والنظر فى شئون الحرم وغير ذلك من الأمور ، ومن النماذج لترجمات بعض هؤلاء العلماء ترجمة الشيخ ابراهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة القرشي المخزومي أبو اسحاق برهان الدين قاضي مكة ولى قضاءها نحو ثلاثين سنة ومولده ووفاته فيها كان شافعيا انتهت اليه رياسة العلم فى الحجاز ورحل الى مصر مرتين ،(٣)

---

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٦١ .
— المشيقح ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٥٦ .

(٢) السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص ٣٢٧ .

(٣) الزركلى ، خير الدين : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمتبصرين والمستشرقين ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٨٠م ، جـ١ ص ٥٢ .

ومنهم أيضا الشيخ أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن أبى بكر بن عبد الوهاب المرشدى المولود سنة ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م الذى جلس لتدريس العلم فى المسجد الحرام وأخذ عنه النجم عمر بن فهد[١] والشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم النويرى المكى المولود سنة ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م الذى تولى القضاء بمكة والخطبة فى المسجد الحرام وتوفى سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م[٢] وهذه الترجمات تبين لنا مدى ماكان هؤلاء العلماء يتمتعون به من العلم والمعرفة. هذا وكان للنساء دور بارز فى اثراء الحركة العلمية فى مكة المكرمة بخاصة والحجاز بصفة عامة ، ومن هؤلاء ست قريش فاطمة بنت محمد بن محمد بن فهد ، ورقية ابنة عبد القوى المكى ، وست الأهل ابنة عبد الكريم ابن أحمد بن عطية بن ظهيرة القرشي ، وزينب بنت محمد بن أبى بكر بن الحسين المراغي ، ومريم بنت أحمد بن محمد الأذرعى ، وستيتة بنت محمد الدمياطي ، وخديجة بنت محمد بن الحسن القسطلانى ، وحسن ابنة محمد بن حسن السعدى المكى[٣] اضافة الى ما اشتهر من بيت الطبرى من عالمات يزيد عددهن على اكثر من خمسين عالمة منهن الشيخة علماء بنت محمد بن أحمد ابراهيم الطبرية محدثة سمعت على عمتيها الفاطمتيتين أم الحسن وأم الحسين ابنتي احمد بن الرضى وروى عنها النجم ابن فهد وتوفيت بمكة سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م[٤]. ولقد ساهم المماليك فى نشر وازدهار الثقافة الاسلامية بالحجاز نتيجة لاهتمامهم بالعلماء والمتعلمين ، وتخصيص أموال الأوقاف المختلفة للانفاق عليهم ، فضلا عن توفير الكتب بوجه عام[٥] كغيرهم من قادة الامة الاسلامية على مختلف العصور ، ومما تجدر به الاشارة ان هناك مكتبات قام بتأسيسها بعض السلاطين والامراء والتجار ومنها ، مكتبة الامير شرف الدين التى تأسست سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م ، وكان بمكة المكرمة مكتبة تعرف بخزانة الكتب المالكية كان تأسيسها فى القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى[٦] ، وفى سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م أنشأ الملك الأفضل على بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رباط فى مكة المكرمة أوقف فيه نفائس من الكتب[٧] وعندما أسس السلطان شرف الدين اقبال الشرابى العباسى المدرسة

---

(١) المشيقح ، ابراهيم : تاريخ أم القرى ، ص ٥٦.

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧.

(٣) المرجع السابق ، ص ٦١.

(٤) كحالة ، عمر رضا : اعلام النساء فى عالمى العرب والاسلام ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، مؤسسة الرسالة ، جـ٣ ص ٣٣٢.

(٥) التهامى ، محمد : الاصلاحات المملوكية فى الاراضى الحجازية ، ص ٨٤.

(٦) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٢ ص ٤٨٨.
— ابن دهيش ، عبد اللطيف : المكتبات الخاصة فى مكة المكرمة ، ص ١٠.

(٧) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٢ ص ٥٦٦.

الشرابية بمكة سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م جعل بها فى سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م مكتبة كبيرة ، وفى أواخر القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى أوقف الشيخ عبد الله بن ابى بكر الكردى المتوفى سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م بعض الكتب للرباط الذى أسسه ملك اليمن نور الدين بن صلاح الدين ، وأوقف الشيخ أحمد بن سليمان التروجى المتوفى سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م ، بعض الكتب لرباط الخوزى بمكة المكرمة قبل وفاته كتبا كثيرة ، وأنشأ السلطان شاه شجاع ملك بلاد فارس رباط فى مكة ثم أوقف فيه سنة ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م كتبا كثيرة. وخلال النصف الاول من القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى كانت توجد بمكة المكرمة مكتبة العالم تقي الدين الفاسي ، وكذلك المكتبة التى انشأها قايتباى مع مدرسته سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م ، بالاضافة الى مكتبات مشاهير العلماء فى ذلك الوقت.(١)

---

(١) ابن دهيش ، عبد اللطيف : المكتبات الخاصة فى مكة المكرمة ، ص ١٠ .
- البركاتى ، د . ناصر عبد الله سلطان : التطور التاريخى لمكتبة الحرم المكى الشريف ، مجلة العصور ، المجلد الثانى ، الجزء الثانى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ص ٣٢٣ .

٤ ـ الحج وأثره الديني والاجتماعي :-

الحج ركن من أركان الاسلام ، وهو من أقدم العبادات التي عرفتها الانسانية منذ أن أوحى الله سبحانه وتعالى الى أبي الأنبياء ابراهيم صلوات الله عليه وأقام له أول بيت وضع للناس على أساس التوحيد لله سبحانه وتعالى . وكان المسلمون في سبيل أدائهم لهذا الركن لا يبالون بالصعاب في البحر والبر في سبيل نيل ثواب الله سبحانه وتعالى . قال تعالى في كتابه الكريم : (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم)(١) .

وقد فضل الله سبحانه وتعالى البلاد المقدسة التي يفد اليها جميع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها لأداء هذه الفريضة الاسلامية . ويعتبر الحج مؤتمرا اسلاميا ، يلتقي فيه أبناء هذه الأمة كل عام ، يتدارسون فيه العلوم الدينية والدنيوية ، وأحوالهم الاسلامية بصفة عامة . وقد حرص المماليك في مصر والشام كغيرهم من الدول الاسلامية بأمور الحجاج القادمين الى مكة المكرمة ، من تنظيم قيام ركب الحج من مصر والشام وفق مراسيم خاصة ، والقيام بالاصلاحات والتسهيلات للحجاج على امتداد الطريق في الأراضي الحجازية ، من توفير الأمن والحماية لركب الحج القادم من تلك المناطق ، وحفر الآبار لتوفير المياه عصب الحياة ، والاهتمام بالأسواق التي تمدهم بالمؤن وما يحتاجون اليه ، والقيام بالاصلاحات في الحرم المكي والمسجد النبوي الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وتخصيص الأوقاف للانفاق على القائمين بأمور الحرمين الشريفين .(٢) الا أن الحالة الأمنية لم تكن مستقرة على الدوام بسبب ما كان يتعرض له الحجاج في بعض الأوقات من غارات القبائل على طول الطريق الى الحجاز عند تأخر اعطياتهم من قبل حاكم الحجاز ،

---

(١) سورة الحج ، الآية (٢٧) .

(٢) التهامي ، محمد : الاصلاحات المملوكية في الاراضي الحجازية ، ص ٨٤ .
(لم يقتصر عمل الاصلاحات والتسهيلات على طول امتداد الطريق من البلدان الاسلامية الى الاراضي المقدسة على دولة دون أخرى ، فلقد حرصت معظم الدول الاسلامية التي كانت باسطة سيطرتها على منطقة المقدسات الاسلامية في مكة والمدينة على عمل الاصلاحات والتسهيلات للحجاج القادمين لأداء الفريضة)

أو عندما يحدث صراع بين الأشراف الذين كانوا يتولون السلطة على الحجاز في ذلك الوقت ، مثلما حدث سنة ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م عندما نهب عرب حرب الحاج الشامي أثناء عودتهم من الحج بالقرب من وادي مر الظهران ، فبعث الشريف محمد بن بركات بعض جنده الذين استطاعوا رد كثيرا من الأموال لأصحابها.[١]

ومثلما حدث سنة ٩٠٧هـ / ١٥٠١م عندما هاجم الشريف أحمد الجازاني الحاج الشامي اثر خلافه مع أخيه الشريف بركات بن محمد أمير الحجاز على السلطة ، وكذلك مهاجمته الحاج المصري الذي كان تحت حماية أخيه الشريف بركات لخلخلة الأمن في الحجاز وذلك من باب الضغط السياسي على أخيه الشريف بركات.

ويهمنا في هذه النقطة أن نتحدث عن الأثر الديني والاجتماعي الذي كان يتركه موسم الحج ، ليس في الحجاز فقط، بل في جميع أرجاء العالم الاسلامي ، من ازدهار للعلوم الدينية نتيجة لتدارس العلماء المسلمين لأمور الدين حينما يلتقون في موسم الحج ، وما يتركه من آثار اجتماعية على أبناء الأمة الاسلامية من اختلاط في العادات والتقاليد الاجتماعية وصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم :

(وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم)[٣]

ولقد اعتنت الدول الاسلامية في ذلك الوقت بتنظيم شؤون المحامل التي كانت تسير الى البلاد المقدسة في موسم الحج وغيره من المواسم ، وكان المحمل يترأسه أمير وتسير الأمور داخله على حسب الوظائف والرتب التي كان يشملها ،[٤] ولقد كانت تقام الاحتفالات بقدوم المحمل الى الاراضي المقدسة[٥] ، بالاضافة الى

---

(١) الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٤.

(٢) الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٤.

(٣) سورة الحجرات ، الآية (١٣)

(٤) الجزيري ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ١١٧.

(٥) القلقشندي ، احمد : صبح الاعشى ، جـ٤ ص ٢٧٦.

الاحتفالات الدينية الأخرى مثل احتفالهم بالعمرة الرجبية[١] وعمرة الأكمه[٢] وغسيل الكعبة المشرفة،[٣] والاحتفال بليلة النصف من شعبان[٤] والاحتفال بقدوم شهر رمضان المبارك.[٥]

---

(١) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٩٥ .

(٢) ــ المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

(٣) ــ المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

(٤) ــ المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(٥) ــ المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

٥ - شئون الحرمين الشريفين :-

كان المماليك في ذلك العهد يشرفون بالنظر على شئون الحرم المكي والمدني ، عن طريق احتفاظهم بحامية عسكرية في مكة المكرمة الذي أصبح رئيسها يشرف على شئون الحرم في بعض الأحيان [١] ففي سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م كان ناظر الحرم بيرم جحا ، ثم عين بعده الأمير بردبك ناظرا للحرم [٢] ، في سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م ، وفي سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٤م ورد مرسوم من مصر يتضمن أن تكون نظارة المسجد الحرام للشيخ الخطيب برهان الدين ابراهيم بن علي بن ظهيرة عوضا عن الامير طوغان شيخ الذي تولى قبله [٣].

ويتضح لنا أن الدولة المملوكية كانت تعين على نظارة الحرم مشايخ وعلماء من مكة المكرمة ترى فيهم اخلاص العمل لله سبحانه وتعالى . وكانت هناك مناصب أخرى بالحرمين الشريفين مثل القضاة والمشيخة والخطابة والامامة والمؤذنون ومنصب شيخ الخدم بالحرمين الشريفين [٤].

ولقد اعتنى المماليك ببعض الاصلاحات في الحرمين الشريفين لهدف المحافظة بعلاقاتهم المميزة بالاماكن المقدسة بالحجاز وبصفتهم محيين الخلافة

---

(١) عبد الله ، عبد الرحمن : تاريخ التعليم ، ص ٢٥ .

(٢) القطبي ، عبد الكريم : تاريخ البلد الحرام ، ص ٩٢ .
- السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص ٣٢٠ .

(٣) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٢٦٢
- أبي المحاسن ، جمال الدين : النجوم الزاهرة ، جـ٨ ص ٩٣ .
- النهروالي ، قطب الدين : الاعلام باعلام بيت الله الحرام ، جـ٣ ص ٢٢٠
- السليمان ، علي : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٤١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

الاسلامية فى القاهرة بعد سقوطها فى بغداد على أيدى التتار ، ومن اصلاحاتهم فى ذلك العهد ، ماقام به السلطان خشقدم من ارساله للحرم المكى منبرا من خشب ليخطب عليه بمكة المكرمة سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م (١) وفى سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م عمر الأمير شاهين الجمالي شاد العمائر بالمسجد الحرام الجانب الشمالى من المسجد الحرام . (٢)

وفى سنة (٨٨١هـ/ ١٤٧٦م أصلح خشب المسجد الحرام بالرواق الشرقى ، وغير رخام الحرم الشريف من داخله وخارجه وأصلحت الشقوق التى بين أحجار المطاف. (٣)

وفى سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م أجرى الخواجا شمس الدين ابن الزمن بعض الاصلاحات بجدار الكعبة المشرفه . (٤)

ومما عمره السلطان المملوكي قانصوه الغورى بالحرم المكى ، باب ابراهيم بعقد كبير وجعل علوه قصرا ومن جانبيه مسكنين وبيوتا معدة للكراء حول باب ابراهيم ووقف الجميع على جهات الخير ، ورمم الحجر وفرغ منه سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م. (٥) ولم يخل المسجد النبوى الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام من الاصلاحات فلما حدث به حريق فى شهر رمضان سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م بسبب صاعقة فى وقت مطر ،

---

(١) السنجارى ، على : منائح الكرم ، ص ١٥٠ .

(٢) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٨٠

— الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٦ .

(٣) — ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٨٠

— القطبى ، عبد الكريم : تاريخ البلد الحرام ، ص ٩٣

(٤) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٨٠

(٥) القطبى ، عبد الكريم : تاريخ البلد الحرام ، ص ٩٤ .

نزلت على المئذنه فأحرقتها وأحرقت سقوف المسجد الشريف ، قام السلطان المملوكى قايتباى بتجديده.(١)

وما سبق يتضح لنا مدى اهتمام الدولة المملوكية بشئون الحرمين الشريفين وحرصها على محاولة الاصلاح فى المسجدين الحرام بمكة والنبوى بالمدينة المنورة لكسب سمعة بذلك لدى العالم الاسلامى .

---

(١) السيوطى ، الحافظ جلال الدين : تاريخ الخلفاء ، ص ٥١٦ .
— ابن الحسين ، يحيى : غاية الامانى ، ص ٦١٢ .
— النهروالى ، قطب الدين : الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ، جـ٣ ص ٢٢٩
(يقول كان الحريق فى سنة ٨٨٩هـ)
— سليم ، محمود : عصر سلاطين المماليك ، ص ٥٥ .

٦ - الاربطة وأثرها الاجتماعي :-

حرص سلاطين وأمراء وأغنياء العالم الاسلامي في ذلك الوقت على اقامة الأربطة لسكنى المنقطعين والمتعبدين في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وأوقفوا عليها أوقافا كثيرة ، ومن الاربطة في مكة المكرمة كما ذكرها الحافظ ابن الطيب تقي الدين أحمد بن على الفاسي ،رباط السدرة بالجانب الشرقي من المسجد الحرام ، ولا يعرف من أوقفه الا أنه كان موقوفا في سنة ٤٠٠/١٠٠٩م (١) ورباط قاضي القضاة أبي بكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم المراغي الملاصق للرباط السابق (٢) وتاريخ وقفيته سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م ، ويزيد المؤرخ محمد بن أحمد المكي المعروف بالصباغ الذى كان حيا سنة ١٢٤٣ - ١٣٢١هـ / ١٨٢٧ - ١٩٠٣م ، القول بأن باب رباط قاضي القضاه عند باب المسجد الحرام المعروف بباب النبي صلى الله عليه وسلم ويقول ان هذا الرباط ورباط السدرة استبدلهما السلطان المملوكي قايتباى وبنى محلهما رباطه جهة المروة (٣) ومن الأربطة رباط عند باب المسجد الحرام المعروف بباب الجنائز - باب النبي - ويعرف باسم القيلاني لسكناه به ، وتاريخ وقفه سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م ، أوقفه على الصوفية الواصلين لمكة المكرمة والمقيمين والمجتازين من عرب وغيرهم. (٤) ومنهم رباط الامير اقبال الشرابي وزير المستنصر العباسي عند باب بني شيبة بالمسجد الحرام ، وتاريخ عمارته ٦٤١هـ/١٢٤٣م. (٥) ورباط أم الخليفة العباسي الناصر ، ويعرف بالعطيفيه لأن الشريف عطيفه أمير مكة كان يسكنه وتاريخ وقفه سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م ، وقف على الفقراء الصوفية. (٦)

---

(١) الفاسي ، تقي الدين أحمد : شفاء الغرام ، جا ص ٣٣٠.

(٢) المصدر السابق ، جا ص ٣٣٠.
— ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٢ ص ٥٤٢.

(٣) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٨٤.
— الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٦.

(٤) الفاسي ، شفاء الغرام ، جا ص ٣٣٠.

(٥) المصدر السابق ، جا ص ٣٣٠.
— الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٦.

(٦) الفاسي : شفاء الغرام ، جا ص ٣٣٠.
— ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٢ ص ٥٤٩.

ورباط الحافظ أبي عبد الله بن منده ملاصق لزيادة دار الندوة ويعرف باسم رباط البرهان الطبري ، أوقفه على القادمين من اصبهان أربعين يوما وعلى سائر الناس عشرة أشهر وعشرين يوما.[١] ويزيد المؤرخ محمد الصباغ ان باب الرباط المذكور يخرج الى السويقه.[٢] ومنها رباط الشيخ ابي حفص عمر بن عبد المجيد الميانشي قرب الرباط السابق ، ورباط الشيخ جعفر قرب سويقة ، ورباط عند زيادة دار الندوة أيضا يقال له رباط الفقاعيه ، وتاريخ وقفه سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م ، أوقفه قهرمانه الخليفة العباسي المقتدي على المنقطعين من الأرامل[٣] ويذكر المؤرخ محمد الصباغ أن تاريخ وقضيت الرباط السابق يرجع الى سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م[٤] ومنها رباط قرب الرباط السابق يقال له رباط صالحة لا يعرف تاريخ وقفيته ولا من اوقفه.[٥]

ومنها بالجانب الشمالي من المسجد الحرام ، رباط يعرف برباط القزويني كان موجودا في أثناء القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، ورباط قبالة الرباط السابق يقال له رباط الخاتون ويعرف بابن محمود ، وتاريخ وقفه سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م ، وقف على الصوفيه من العرب وغيرهم ، أوقفته الشريفة فاطمة بنت الأمير أبي ليلى محمد بن أنو شروان الحسني.[٦] ومن الأربطة أيضا رباط الزنجبيلي عند باب العمرة وتاريخ وقفيته سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م ، ومنها رباط الخوزي بباب ابراهيم ، أوقفه الأمير قرامر بن محمود بن قرامر الأقدري الفارسي على الصوفيه الفرباء والمتجردين ، وتاريخ وقفيته ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م[٧]. ويقول المؤرخ محمد الصباغ ان تاريخ وقفيته سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧م.[٨]

---

(١) الفاسي ، احمد : شفاء الغرام ، جـ١ ص ٣٣٠.

(٢) الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٦.

(٣) الفاسي ، احمد : شفاء الغرام ، جـ١ ص ٣٣٠.
— ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٢ ص ٤٨٩.

(٤) الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٦.

(٥) الفاسي ، احمد : شفاء الغرام ، جـ١ ص ٣٣٠.

(٦) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٢ ص ٥٤٤.
— الفاسي ، احمد : شفاء الغرام ، جـ١ ص ٣٣٠.

(٧) المصدر السابق ، جـ١ ص ٣٣٠.

(٨) المصدر السابق ، جـ١ ص ٣٣٠.

ومنها رباط رامشت عند باب الحزوره من المسجد الحرام ، ورامشت هو الشيخ أبو القاسم واسمه ابراهيم بن الحسين الفارسي ، أوقفه على جميع الصوفيه الرجال دون النساء من سائر العراق ، وتاريخ وقفه سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م.(١) ويقول المؤرخ محمد الصباغ أن تاريخ وقفيته سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥.(٢)

ومنها رباط الشريف حسن بن عجلان حاكم الحجاز ، وتاريخ وقفه سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م ، ومنها رباط الجمال محمد بن فرج المعروف بابن بعلجد(٣) قرب باب الحزوره ، وتاريخ وقفيته سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م ، موقوف على الفقراء المنقطعين بمكة المكرمة ، ومنها رباط قباله باب أجياد بالمسجد الحرام قام بانشائه وزير مصر تقي الدين عبد الوهاب بن عبد الله المعروف بابن أبي شاكر سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م ، ومنها رباط السلطان شاه شجاع صاحب بلاد فارس قبالة باب الصفا بالمسجد الحرام ، ويقال له رباط الشيخ غياث الدين الابرقوهي الطبيب ، وتاريخ وقفيته سنة ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م ، وهو وقف على الأعاجم دون الهنود .

ومنها قرب الرباط السابق رباط يقال له رباط البانياسي ، وتاريخ وقفيته سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م ، أوقفه الامير فخر الدين أيار بن عبد الله البانياسي على الفقراء . ومنها الرباط المعروف برباط العباس بالمسعى ، وكان مطهره عمله الملك المنصور لاجين المنصورى والذى عمله رباط الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ومنها كذلك رباط الشيخ أبى القاسم بن كلاله بالمسعى ، وتاريخ وقفيته سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م.

ومنها رباط بالمسعى يقال له رباط التميمى أوقفه الشيخ ابوالعباس ويقال أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن عبد الملك بن مطرف التميمى المرينى الفنجيرى ،

---

(١) الفاسى ، أحمد : شفاء الغرام ، جـ١ ص ٣٣٠.
— ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٢ ص ٥٠٤.
(٢) الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٦.
(٣) الفاسى ، احمد : شفاء الغرام ، جـ١ ص ٣٣٠.
— ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٣ ص ٤٢٣.

أوقفه على الفقراء من العرب والعجم على أن يكونوا من أهل الخير والدين والفضل سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م (١). ويقول المؤرخ محمد الصباغ ان تاريخ وقفيته سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م (٢).

وبأعلى مكة المكرمة عدة أربطة ، منها رباط علي بن أبي بكر بن عمران العطار المكي ، أوقفه سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م ، ورباط يعرف برباط ابن سماحه لسكناه به قرب المجزره على يمين الذاهب الى المعلاه ، أوقفه الامير قايمار عبد الله السلطاني سلطان الروم والارمن أبي الفتح قليج بن ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان السلجوقي على المجاورين والمقيمين بمكة ممن هم على مذهب الامام ابي حنيفة سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م ومنها بأعلى مكة ثلاثة ربط يقال لها ربط الأخلاطي ، بعضها وقف على النساء الحنفية من المجاورات والقادمات ، ومنها وقف على أهل مدينة اخلاط ، وبعضها وقف في سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م ، وبعضها في سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م ، ومنها رباط يقال له رباط الوتش ، ورباط العطيه بن خليفة المطيرن أحد تجار مكة المكرمة ، كذلك يوجد بزقاق الحجر بمكة المكرمة رباطان ، أحدهما رباط المقر ابراهيم بن محمد الاصبهاني أوقفه على الفقراء المجاورين بمكة من العرب والعجم سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م ، والثاني رباط السيده أم الحسين بنت قاضي مكة شهاب الدين الطبرى ، موقوف على المساكين سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م ، وتوجد بسوق الليل عدة أربطة ، منها رباط يقال له رباط سعيد الهندى لسكناه فيه ، ومنها الموضع الذى يقال له بيت المؤذنين وأوقفه الأمير قرامر بن محمود بن قرامر الأقدرى الفارسي ، وتاريخ وقفيته سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م ومن الأربطة الموضع الذى يقال له زاوية أم سليمان ، وتاريخ وقفيته سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م ، وبجياد عدة أربطة منها رباط الزيت لا يعرف تاريخ وقفيته . ورباط غزى أوقفه على بن محمد المصرى على الفقراء من أى جنس سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م ورباط يعرف برباط الملك الأفضل نور الدين على بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ،

---

(١) الفاسى ، احمد : شفاء الغرام ، جـ١ ص ٣٣٠.

(٢) الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٦.

وتاريخ وقفيته سنة ٥٩٤هـ/١١٩٧م ، ورباط بقرب الرباط السابق أنشأة الشريف حسن بن عجلان سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م ، وكذلك رباط بنت التاج ، وهو وقف على النساء الصوفيات والمجاورات . ورباط السكينه . ومن الأربطة بالحزامية ، رباط الدمشقيه ، وقف على الصوفيه وتاريخ وقفيته سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م ، ورباط الزرندى الذى أوقفه الشيخ نجيب الدين أبو الحسن بن محمد بن جبريل الزرندى على أهل سادة زرند ، ورباط السبتيه الذى كان موجودا سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م ، ورباط بنت الحرابي ، ورباط الوراق ، ورباط القاضي جمال الدين علي بن عبد الوهاب الأسكندرى على فقراء العرب ، أوقفه سنة ٦٠٤هـ/١٢١٧م ، ومن جهة الشبيكة والمسفلة ، ورباط ابن قتيبة ويقال له رباط العفيف وهو الأرسوفي ، وشريكه فيه القاضي عبد الرحيم بن علي البيساني ، تاريخ وقفيته سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م ، ورباط الطويل ، ورباط الجهة وهى الادر الكريمه جهة الطواشي فرحات زوج الملك الأشرف اسماعيل بن الفضل ملك اليمن ، وتاريخ وقفه ٨٠٦هـ/١٤٠٣م ، وكذلك رباطان قرب الموضع الذى يقال له الدريبه ، أحدهما رباط ابن السوداء ، تاريخه ٥٩٠هـ/١١٩٣م والثانى رباط ابن غنايم ، أوقفه السلطان الملك العادل ملك الجبال والغور والهند محمد بن أبي علي ، سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م.(١)

ويذكر المؤرخون المعاصرون لفترة بحثنا هذه الأربطة التى أنشئت فى عهدهم والتى بقيت من الأربطة السابقة ، فيقول المؤرخ نجم الدين عمر بن فهد ، عن

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، جـ١ ص ٣٣٠.
_ الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٦.
(يتوقف المؤلف عند ذكر رباط التميمي . ويذكر أن الفاسي ذكر أربطة المعلا والمسفلة والشبيكة وبزقاق الحجر . غير أنه يذكر أن معظم تلك الأربطة كان في زمانه غير معروفة) .

الأربطة فى عهده ، منها رباط أوصى بانشائه القائد شكر وزير الشريف حسن وابنه الشريف بركات قبل وفاته ، وأوقفه سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م ، ورباط أوقفه كاتب السر الزين أبو بكر بن مزهر بباب الصفا سنة ٨٧١هـ/١٤٦٦م ، ورباط أنشأه ابن الزمن للسلطان قايتباى جهة المروه سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م.(١)

وهناك اربطة انشئت قبل هذه الفترة ، منها رباط الموفق ، ورباط السدرة ورباط رامشت.(٢) ومن الأربطة أيضا فى ذلك الوقت ، رباط النساء بالمسغلة ، ورباط ربيع بجياد ، ورباط الشريف محمد بن بركات(٣) ورباط القائد يديد بالسوق الصغير ورباط الظاهرية بالسوق الصغير ، ورباط بعلجد قرب باب ابراهيم بالمسجد الحرام

---

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٨٤.
- الغزى ، نجم الدين : الكواكب السائره ، ص ٢٩٧.
- ابن الفلاح ، عبد الحى : شذرات الذهب ، جـ٨ ص ٧
- السنجارى : منائح الكرم ، ص ١٥٣.
- الطبرى ، على : الأرج المسكي فى التاريخ المكي ، ص ١٥.
- النهروالى ، قطب الدين : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، جـ٣ ص ٢٢٥
- القطبى ، عبد الكريم : تاريخ البلد الحرام ، ص ٩٣.
- العصامى ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٤٤
- محمود ، عبد الرحمن : قايتباى ، ص ٢٠٦
- السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٢٥.
- السباعى ، احمد : تاريخ مكة ، جـ١ ص ٣٢٨.

(٢) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ٤ ص ٨٤.

(٣) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ٢ ص ٥٩٩.
- الطبرى ، على : الأرج المسكى فى التاريخ المكي ، ص ١٥.
- الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٩٢.
- محمد ، عبد الهادى : الدر الفاخر ، ص ٤١.
- العصامى ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ٤ ص ٢٧٩.

ورباط الشريف حسن بن عجلان بالسوق الصغير ، ورباط السيد بركات بن محمد[١] ورباط السيد شولق بالشبيكة ، ورباط السلطان محمود قريب باب العمرة بالمسجد الحرام ، ورباط الزمامية شمال المسجد الحرام[٢] بالاضافة الى الرباط الذى انشأه أمير الحاج المصرى فائق سنة ٨٧١هـ/١٤٦٦م.[٣] ورباط البعدانى الذى أقامة الملك الظافر سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م[٤] ورباط أنشأه أحمد شاه شهاب الدين أبوالمغازى صاحب كليرجخ وما والاها من بلاد الهند.[٥] ولم تقتصر اعمال البر بمكة المكرمة والمدينة المنورة بل كذلك كان هناك رباطا فى جده ينسب لابى هريرة رضى الله عنه.[٦] ولعل تلك التسمية ترجع الى التيمن باسم ذلك الصحابى الجليل رضى الله عنه.

ولم يكن دور هذه الأربطة مقتصرا على السكنى فقط ، فلقد كان يقطنها أناس من أفاضل العلماء فى ذلك الوقت ، وطلبة العلم وبخاصة من الذين أتوا مكة المكرمة والمدينة المنورة للمجاورة وطلب العلم ، فلقد كانت تجمع بينهم السكنى

---

(١) الطبرى ، على : الأرج المسكى فى التاريخ المكى ، ص ١٥ .
- العصامى ، عبد الملك : سمط النجوم العوالى ، ج٤ ص ٢٩٢ .

(٢) الطبرى ، على : الأرج المسكى فى التاريخ المكي ، ص ١٥ .

(٣) الرشيدى ، احمد : حسن الصفا ، ص ١٤٦ .

(٤) الديبع ، عبد الرحمن : الفضل المزيد ، ص ٢٣٥ .

(٥) السخاوى ،: الضوء اللامع ، ج١ ص ١٩٤ .

(٦) الحميرى ، محمد : الروض المعطار ، ص ١٥٧ .

والالفة والمحبة والاخوة الاسلامية مما جعل هناك نوعا من الترابط الاجتماعي ،نتيجة للتكافل الاجتماعي الذي أدى الى بناء مثل هذه الأربطة من قبل الملوك والامـــراء والتجار والأغنياء طلبا للثواب من الله سبحانه وتعالى ، وتشجيعا للعلم والعلمـــاء وتهيئة السبل أمامهم لنيل العلم والاستفادة من علماء العالم الاسلامي ، الذيـــن كانوا يجتمعون سنويا في موسم الحج لتدارس أحوال المسلمين والافادة والاستفـــادة من غيرهم .

٧ ـ اقامة السبل لخدمة الحجيج وطلاب العلم :

تعتبر السبل والمياه بصفة عامة من أهم الضروريات والخدمات المقدمة للحجيج وطلاب العلم وأهل البلاد ، ومن السبل فى مكة المكرمة فى ذلك الوقت سبيل عطيه بن ظهيره شمال مكة ، (١) وسبيل قاسم الزنكى عند مسجد الراية ، (٢) وسبيل السيده أم الحسين بنت القاضى شهاب الدين الطبرى بالمسعى ، (٣) وسبيل لابن بعلجد عن عين بازان عند منارة باب على بالمسجد الحرام ، (٤) وسبيل الشريف حسن بن عجلان برباطه ، (٥) وسبيل لأم سليمان بالمعلاه ، (٦) وسبيل أنشأه القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٢م بالمعلاه ، (٧) وكذلك سبيل لعطيه المطير ، (٨) وسبيل جهة منى للشريف حسن بن عجلان أنشأه سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م ، (٩) وسبيل الست بطريق منى ، (١٠) والست هى أخت

---

(١) الفاسى ، أحمد : شفاء الغرام ، ص ٣٣٧ .
ـ الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٩ .
(٢) الفاسى ، أحمد : شفاء الغرام ، ص ٣٣٧ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٣٣٧ .
ـ الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٩ .
(٤) الفاسى ، أحمد : شفاء الغرام ، ص ٣٣٧ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٣٣٧ .
ـ الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٩ .
(٦) الفاسى ، أحمد : شفاء الغرام ، ص ٣٣٧ .
ـ الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٩ .
(٧) الفاسى ، أحمد : شفاء الغرام ، ص ٣٣٧ .
(٨) نفس المصدر ، ص ٣٣٧ .
(٩) نفس المصدر ، ص ٣٣٧ .
(١٠) نفس المصدر ، ص ٣٣٧ .
ـ الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٩ .

الناصر حسن صاحب مصر أنشأته سنة ٧٦١هـ/١٣٥٩م ، وسبيل المعلم عبد الرحمن ابن عقبة المكي قرب منى ، وسبيل بمنى أيضا لمطيه المطير ،[١] وبشمال مكة المكرمة مما يلي التنعيم عدة سبل ، منها سبيل الزنجيلي وتاريخ عمارته ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣م .[٢] وسبيل بنت القاضي عبد الرحمن بن عقبة المكي ، وسبيل أنشأته السيدة زينب بنت القاضي شهاب الدين الطبري سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٢م ، وسبيل الملك المنصور صاحب اليمن ، وسبيل الجوخي بناه المقتدر العباسي سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م ، وسبيل عمره الشهاب المكين .[٣]

ولقد اهتم سلاطين وملوك وأمراء العالم الاسلامي وأغنيائه بتوفير السبل للحجاج وطلاب العلم في مكة المكرمة والمدينة المنورة وعلى طول الطريق البرى من الحجاز الى بلدان العالم الاسلامي في ذلك الوقت ، فلقد اهتم المماليك بمصر بتوفير المياه لشرب الحجيج ، حيث نجد أنه في سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م في عهد السلطان المملوكي جقمق عمر ناظر الحرم بير خوجا عين حنين ، وأصلح مجاريها ورممها على نفقته .[٤]

---

(١) الفاسي ، أحمد : شفاء الغرام ، ص ٣٢٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢٧ .

ـ الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٩ .

(يقول بعد هذا السبيل سبيل المكين،ويقول الفاسي أن المكين عمرو وسبيل الزنجبيلي سنة ٨٠٨هـ) .

(٣) الفاسي ، أحمد : شفاء الغرام ، ص ٣٢٧ .

(٤) شكري ، د . محمد : لوحان أثريان ، ص ١٥ .

كما قام السلطان قايتباى المملوكى بارسال الأمير سنقر الجمالى سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م ، وأمره باصلاح عين عرفات بعد أن كان ماؤها قد انقطع لترة مائة عـــام ، وبنى بجوار مسجد الخيف سبيلا وعمر بركة خليص على نفقته (١) .

ومن أعمال الشريف محمد بن بركات أمير الحجاز فى ذلك الوقت سبيــل بالنوريه من طريق وادى مر الظهران ، وسبيل بطريق جده (٢) ، عند بئر شميس .

ويذكر لنا المؤرخ نجم الدين عمر بن فهد السبل التى أنشئت فى ذلـــك العهد وهى ، سبيل الخواجا شهاب الدين أحمد الكواز بالأبطح ، أنشيء سنـــة ٨٤١هـ/١٤٣٧م ، وسبيل بالمعلاه للأمير مقبل القديدى ، أنشأه سنة ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩م ، وسبيل الخواجا أحمد بن العاقل ، أنشأة سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م ، وسبيل الشيخ موسى بن عبد السلام الزمزمى فى طريق منى ،أنشاه سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م ، وسبيل الخواجا بدر الدين الطاهر بمنى ، أنشأه سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م ، وسبيـــل

---

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ ٤ ص ٤٠٦ .
— ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٣ ص ٥٦ .
— الجزيرى ، عبد القادر : درر الفوائد ، ص ٣٣٦ .
— الصيرفى ، على بن داود الجوهرى : أنباء الهصر بأبناء العصر . تحقيق وتقديم د . حسن حبشى بدار الفكر العربى ، القاهرة ، سنة ١٩٧٠م ، ص ٢٤٦ .
— بكرى ، حسين : تاريخ الخميس ، ص ٣٨٨ .
— محمود ، عبد الرحمن : قايتباى ، ص ٢٠٥ .
— السليمان ، على : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢١٨ .

(٢) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ ٤ ص ٨٥ .
— الطبرى ، محمد : اتحاف فضلاء الزمن ، ص ١٣٤ .
— السنجارى : منائح الكرم ، ص ١٥١ .
— العصامى ، عبد الملك : سمط النجوم العوالى ، جـ ٤ ص ٢٧٩ .

الشيخ أبو بكر الشحرى بمنى أيضا ، والسبيل الذى أنشأه بيرم خجا ناظر الحـرم سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م ، [١] وسبيل السلطان قانصوه الغورى بباب ابراهيم بالمسجد الحرام ، [٢] وكان السلطان قانصوه الغورى قد بنى بركة وادى بدر وآبار فى طريـق الحج سنة ٩١٧ هـ/١٥١١م . [٣]

ولقد أصلح الغورى عين عرفه قبل ذلك فى سنة ٩١٦هـ/١٥١٠م ، بعـد أن كان قد أصلحها قبله السلطان قايتباى ، وتمت عمارة عين عرفه على يد الأمـير خاير بك ، [٤] بالاضافة الى اصلاحات قام بها السلطان غياث الدين سلطان البنغال على عين زبيده ، [٥] التى كانت زوجة الخليفة العباسى هارون الرشيد قد قامـت ببنائها فى سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م . [٦]

وبالاضافة الى السبل كانت توجد بمكة المكرمة وأيضا الآبار ، ويقال أن مجمل ما احتوى عليه سور مكة من الآبار ثمانية وخمسون بئرا . [٧]

---

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ ٤ ص ٨٥ .

(٢) الطبرى ، على : الأرج المسكى ، ص ١٦ .

(٣) بكرى ، حسين : تاريخ الخميس ، ص ٣٩٠ .
ـ العصامى ، عبد الملك : سمط النجوم ، جـ ٤ ص ٥٣ .

(٤) السنجارى : منائح الكرم ، ص ١٦١ .
ـ شكرى ، محمد : لوحان أثريان ، ص ١٥ .

(٥) السباعى ، أحمد : تاريخ مكة ، جـ ١ ص ٢٢٠ .

(٦) الفاسى ، أحمد : شفاء الغرام ، جـ ١ ص ٣٤٧ .
ـ شكرى ، محمد : لوحان أثريان ، ص ٩ .

(٧) الصباغ ، محمد : تحصيل المرام ، ص ١٥٨ .

وكان لاهتمام الملوك والسلاطين والأمراء والأغنياء بالعالم الاسلامى فى ذلك الوقت بتوفير الماء الصالح للشرب لحجاج بيت الله الحرام والمقيمين فى مكة من طلاب العلم والمجاورين كبير الأثر فى خدمة الحجيج ، وساعدة طلاب العلم على نيل علومهم فى راحة ويسر ، الأمر الذى شجع على تزايد اعداد الحجيج والمعتمرين للاماكن المقدسة والمجاوره بها لتوفير ما يصبون اليه من راحة وطلب العلم على يد مشائخها والمرتادين من علماء الامة الاسلامية .

الخاتمة

مما سبق عن تاريخ منطقة الحجاز في الفترة من سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٤م الى سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م ، يتضح لنا أنه مر بفترتين سياسيتين ، الأولى في عهد الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان ، التى امتازت بالهدوء السياسي والأمن والتوسع لسيطرة الشريف محمد بن بركات على مقاليد الأمور في بلاده ، وذلك نتيجة تصرفه السليم في ادارة شئون البلاد على الصعيد الداخلي والخارجي ، وكذلك تصرفه السليم تجاه الدولة المملوكية التى كانت لها السيادة الاسمية على الحجاز ، بحيث كان يرضى الأطماع المملوكية ببذل العطايا والأموال لتلك الدولة على شكل هدايا في حين كان يحافظ لها على السيادة الاسمية على الحجاز ، وأن لم يخل عهده من بعض الفتن التى استطاع السيطرة عليها قبل استفحالها ، مثل خروج وزيره بديد عليه سنة ٨٦٤هـ/١٤٥٩م ، وخروج أخيه الشريف علي عليه سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٨م ، وخروج الشريف رميثه بن أبى القاسم عليه أيضا سنة ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م ، ولكن الشريف محمد بن بركات استطاع بذكائه وحسن تصرفه في معالجة الامور بحكمه مكنته من البقاء على سلطة الحجاز ، واستطاع أن يقضى على تلك الفتن ويبقى مده طويلة في الوقت الذى أظهرت الدولة المملوكية اطماعها المادية من جمع الاموال لخزينة تلك الدوله .

لقد مارس الشريف محمد بن بركات كامل صلاحياته من سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م بتدعيم من الدولة المملوكية له وفي الحقيقة تعتبر فترة تولي الشريف محمد بن بركات حكم الحجاز من أهدأ وأطول الفترات بالنسبة لغيره من الأشراف الذين تولوا السلطة في الحجاز .

أما الفترة السياسية الثانية التى مرت بالحجاز فى فترة بحثنا هذا فكانت فترة مضطربة ، مما أثر على سكان الحجاز والمجاورين بالمدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة وكذلك على الحجاج ، وذلك حينما تولى الامارة الشريف بركات بن محمد بعد وفاة والده الشريف محمد بن بركات سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧م ، حيث كان مشاركا لأبيه فى آمرة الحجاز منذ سنة ٨٧٨هـ/١٤٧٣م ، فلقد خرج عليه أخوه الشريف هزاع بن محمد الذى طلب التأييد من الدولة المملوكية بمصر ، ولكن السلطان المملوكى رأى عدم تأييده لخوفه من خروج الشريف بركات بن محمد على السيادة المملوكية على الحجاز الذى قد يحرمها من مكاسب مادية ومعنوية لما يتمتع به الشريف بركات من خبره سياسيه وقوة شخصية وشبعيته لدى السكان ولكن الشريف هزاع لقى مؤيدا له فى سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م عندما أيده الأمير المملوكى قانصوه المحمدى الذين عين أميرا على الشام من قبل السلطان المملوكى قانصوه الغورى ، نتيجة حقده على الشريف بركات بن محمد الذى لم يلتفت اليه سابقا عند ما قدم الحجاز مطرودا من السلطان طومان باى .

وفى الحقيقة ما كان الشريف هزاع يسيطر على الحجاز لولا موافقة الدولة المملوكية التى وافقت على تأييده والاعتراف به وارسال الخلع له قدمه لها من أصول ، فى حين كانت تلك الدولة تظهر أنها تنوى الصلح بين الأخوة من أبناء الشريف محمد بن بركات .

وتذكر لنا بعض المصادر أن السلطان المملوكى الغورى قد أيد صراحة الشريف هزاع على سلطة مكة المكرمة ،[1] واستمر الوضع عدائيا بين الشريفين بركات

---

(١) ابن فهد ، عبد العزيز : غاية المرام ، جـ ٣ ص ١٠٣ .

وهزاع الى أن توفى الشريف هزاع سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م ، لتبدأ فترة صراع أخرى بين الشريف بركات وأخيه الشريف أحمد الجازانى الذى تولى بعد أخيه الشريف هزاع حكم مكة المكرمة ، وكعادة الدولة المملوكية كانت تبعث بالمراسيم والخلع للشريف الذى يستولى على السلطة بالقوة العسكرية ويدفع أكثر قدرا ممكن من الاموال لها فبعثت بها للشريف أحمد لأخذه السلطة بالقوى العسكرية ودفع أموال وهدايا للدولة المملوكية بغض النظر عما سببه ذلك الصراع من اضطراب داخل الحجاز ، ولقد مر الصراع بين الأخوين بركات وأحمد بالكثير من المعارك والاضطراب فى الحجاز ، ولم تقف الدولة المملوكية عند تأييدها للشريف أحمد بل قبضت على الشريف بركات وأخذته الى القاهرة سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م لتأمن جانبه على سيادتها الاسميه ، وجعلت البلاد بيد الشريف أحمد وأنصاره مثل الشريف يحيى بن سبع أمير ينبع ، ومالك ابن روى الزبيدى من أهل خليص ، ولكن الشريف أحمد قتل فى المسجد الحرام سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م على يد جماعة من الترك المقيمين بمكة المكرمة وقد يكون قتله بايحاء من الدولة المملوكية لخوفها زيادة نفوذه ولتعيين أخيه الشريف حميضه على الحجاز ، وفى ذلك الحين استطاع الشريف بركات الفرار من سجنه بالقاهرة ، الى الحجاز ، وتمكن من استعادة سلطته بالحجاز ، ووصلته المراسيم المملوكية بالتأييد والاعتذار عن ما حصل له وقد يكون ذلك لخوفها من أن يثير الشريف بركات مشاكل ضدها ويسىء لسمعتها كحامية للحرمين الشريفين وخاصة فى تلك الظروف التى تمر بها الدولة المملوكية فى حين لم تكن تلك الدولة تستطيع أن تقاوم الشريف بركات لما كانت تواجهه من مشاكل داخلية وخارجية فى ذلك الوقت .

ومن تلك الأمور يتضح لنا مدى ما وصلت اليه السياسة المملوكية تجاه الحجاز من اثارة الفتن بين أشراف الحجاز لكى تستطيع بسط سيطرتها على تلك المنطقة وبخاصة بعد ازدهار موانى الحجاز التجارية بعد أن أصبح البحر الأحمر الطريق الذى تسلكه بضائع الشرق المارة بمصر والشام ، لتنقل بدورها الى أوربا ، وما كانت

تجنيه الدولة المملوكية من أرباح هائلة من تلك التجارة .

وباستعراض علاقات الحجاز الخارجية بالقوى الاسلامية فى ذلك الوقت ، اتضح أن للحجاز علاقات مشتركة تقوم على روابط الأخوة الاسلامية والمصالح المشتركة والتجارة المتبادلة بينها وبين كل من اليمن وشرق الجزيرة العربية والعراق والدولة العثمانية ، وغيرها من الدول .

ولكن تلك الفترة منيت بالغزو الصليبى البرتغالى لسواحل بحار جنوب العالم الاسلامى فى آسيا وأفريقيا فى محاولة صليبية لغزو الحجاز فى أهم منطقتين فى العالم الاسلامى مكة المكرمة والمدينة المنورة للقضاء على الاسلام والمسلمين .

فلقد تعرض العالم الاسلامى فى تاريخه لحقد وكراهية من القوى الصليبية فى العالم تستهدف القضاء على ذلك الدين القيم ، ومما يدل على حقدهم على الاسلام قول البوكرك نائب الملك البرتغالى فى الهند فى خطبه ألقاها على رجاله ، قوله بأنه سيقدم خدمة جليلة الى الله بطرد العرب من هذه البلاد ، وباطفائه شعلة محمد صلى الله عليه وسلم بحيث لا يندلع لها هنا بعد ذلك لهيب ، وأنه على يقين أن مكة والقاهرة ستصبحان أثر بعد عين .(١)

ولقد سمى هذا الاعتداء بالكشوف الجغرافية وهل كانت تلك الاماكن غير معروفه ليكتشفوها ويأتوا بجديد؟ مع أن هدفه الحقيقى هو ضرب الاسلام والمسلمين ، ولقد كانت هناك محاولة للتحالف بين البرتغاليين والأحباش على البلاد الاسلامية ،

---

(١) سعداوى ، د . نظير : دولة البرين والبحرين ، ص ١٦٢ .

ولكن اختلاف المذهب المسيحى بين الدولتين أوجد نوع من الحذر بينهما ، فلقد كانت الحبشة تتبع الكنيسة المرقسية فى مصر والبرتغال تتبع الكاثولكية الخاضعة للبابا فى روما ، وكانت البرتغال تنوى ادخال المذهب الكاثولكيى الى الحبشه ، وحينما عجزت البرتغال عن تحطيم القوى الاسلامية فى المحيط الهندى نرى أنها تفرض على التجارة الشرقية سلوك طريق رأس الرجاء الصالح بدلا من الطريق المار بالدولة الاسلامية لكى تستطيع اضعاف العالم الاسلامى اقتصاديا وبالتالى تستطيع السيطرة عليه حربيا ، فقاومت الدولة المملوكية ذلك النفوذ البرتغالى بمساعدتها القوى الاسلامية التى تعرضت للهجمات الصليبية عن طريق ارسال الأمير حسين الكردى القائد المملوكى لمحاربة البرتغاليين بوصفها حامية الحرمين الشريفين فى ذلك الوقت ، .

ولكن استطاع البرتغاليون الحاق الهزيمة بالقوات المملوكية فى معركة ديو البحرية فى المحيط الهندى سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م ولكن المماليك استطاعوا اعادة بناء أسطولهم مرة أخرى بمساعدة من الدولة العثمانية التى كانت على خلاف مع الدولة المملوكية ولكنها رأت أن ذلك واجبا عليها لمحاربة الصليبيين .

وحاولت الدولة المملوكية محاربة الصليبين البرتغاليين مرة أخرى ولكن نجد أن ذلك الأسطول بدلا من أن يهاجم البرتغاليين يقوم بالاشتباك مع الدولة الطاهرية باليمن لعدم تقديم تلك الدولة المساعدات للأسطول أثناء رحلته المستهدف منها ضرب القوى الصليبية البرتغالية ، لخوف الطاهريين من أن تقديم مساعدتهم للأسطول يعنى خضوعهم للدولة المملوكية .

وفى الحقيقة كان على الدول الاسلامية فى ذلك الوقت وخاصة المملوكية والطاهرية مراعاة الظروف التى يمر بها العالم الاسلامية ، والاتحاد لمواجهة الغزو الصليبى بدلا من أن يتربص كل منها بالآخر ، وكان على الدولة الطاهرية تقديم كل

ما أمكن من المساعدات لتدعيم الأسطول المملوكي لمواجهة البرتغاليين المستهدفين تخريب مكة المكرمة والمدينة المنورة بصفة خاصة والعالم الاسلامي بصفة عامة ومنه الدولة الطاهرية .

أيضا كان على الدولة الصفوية أن تهاجم البرتغاليين بدلا من أن تتعاون معهم ضد الدولة العثمانية الاسلامية التي استطاعت أن تقضي على الدولة المملوكية والتي أخذت على عاتقها نشر الاسلام في أوربا في ذلك الحين ، مما أعطى البرتغاليين فرصة لتثبيت وجودهم في المحيط الهندي ، فلو كانوا وجدوا الدول الاسلامية متضامنة فيما بينها لما استطاعوا احراز أي نصرا ضد المسلمين .

اما الناحية الاقتصادية في الحجاز في تلك الفترة والمتمثلة في الحج ومردوده الاقتصادي على الحجاز ، ودور الموانى الحجازية في التجارة الدولية التي من أهمها ميناء جده وينبع ورابغ وغيرها من الموانى الحجازية التي أسهمت بدور كبير في التجارة العالمية في ذلك الوقت .

وأيضا ما لعبته الطرق التجارية البرية التي كانت تمر بالحجاز ، وتوصل اليه سلعا مختلفة عن طريق عدن والشام والعراق ومصر ، وبخاصة في موسم الحج ، حيث كان الحجاج ومنهم تجار يأتون الى مكة المكرمة محملين ببضائع مختلفة من بلدانهم ويقومون بمبادلتها ببضائع البلاد الأخرى .

ولكن بعد تحول التجارة الشرقية الى طريق رأس الرجاء الصالح نجد أن الحجاز وغيرها من مناطق العالم الاسلامي تتأثر كثيرا في ذلك الوقت ، ولولا أن موانى الحجاز تستقبل الحجاج سنويا لفقدت أهميتها نهائيا كموانى ، مما أثر على الاقتصاد الحجازي بصورة كبيرة ، ومن الأمور التي أثرت على الاقتصاد الحجازي أيضا

الصراع الذى دار بين كل من الدولة المملوكية والصفوية والعثمانية بسبب الصراع على مصالحهم السياسية ، حيث تمكنت الدولة العثمانية من قفل الطريق الذى كانت الدولة المملوكية تستقدم منه المماليك الجلبان من أواسط آسيا الى مصر ، وهم يكونون عنصرا مهما فى الدولة المملوكية ، مما أوجد نوعا من العلاقات المضطربة بين الدولتين العثمانية والمملوكية ، اضافة الى التعاون القائم بين الدولتين الصفوية والمملوكية ضد الدولة العثمانية التى كانت على خلاف مع الدولة الصفوية نتيجة لاختلاف المذهب والاختلاف فى السياسة مما أدى لمواجهة بين العثمانيين والصفويين سنة ٩٢١هـ/١٥١٤م وانتصار العثمانيين على المماليك والقضاء على الدولة المملوكية سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م .

ولعل هذا الصراع يفسر لنا طمع الدولة المملوكية لجمع الأموال واثارة الفتن والمنازعات بين أشراف الحجاز للحصول على أكبر قدر من الأموال لمواجهة الفتن والمعارك التى كانت بينها وبين الدولة العثمانية وغيرها .

ولقد عبر المؤرخ نجم الدين عمر بن فهد عن ذلك الوضع بقوله :

(فان العادة لم تزل من قديم الدهر فى الجاهلية والاسلام ، أن الملوك تحمل الأموال الجزيلة الى مكة لتفرق فى أشرافها ومجاوريها ، فانعكست الحقائق وصار المال يحمل من مكة وأهلها) .(١)

ولقد أستعرضت بعد ذلك التركيب الاجتماعى لسكان الحجاز وما كان سائدا من عادات وتقاليد كانت تجلب اليه من أبناء الأمة الاسلامية التى تفيد الى مدنه وخاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة اضافة الى عادات وتقاليد الحجاز العامة .

---

(١) ابن فهد ، عمر : اتحاف الورى ، جـ ٣ ص ٦٢١ .

ثم تطرقنا الى الناحية العلمية فى الحرمين الشريفين وأثر علماء الحجاز والمجاورين فى مختلف العلوم فى تلك الفترة حيث كانت الحجاز ملتقى كثير من علماء العالم الاسلامى يدرسون ويدرسون ويطمأنون الى جوار بيت الله الحرام .

حيث نشأت المدارس والبيوت العلمية فى تلك الفترة مستعرضين بنظرة عامة شئون الحرمين الشريفين والاصلاحات فى المسجد الحرام والمسجد النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام .

واستعرضنا الأربطة المقامة فى كل من مكة والمدينة وأثرها على الناحية الاجتماعية والعلمية فى ذلك الوقت حيث كان يسكنها الكثير من طلاب العلم من مختلف أجناس العالم الاسلامى حيث حرصت الدولة المملوكية ومن قبلها ، وكثير من أغنياء العالم الاسلامى على توفير سبل الراحة والمعيشة لطلاب العلم والمنقطعين من حج وعمره والمجاورين والمنقطعين للعباده فى مكة المكرمة والمدينة المنورة فقاموا بانشاء الكثير من الأربطة والسبل خدمة لطلاب العلم والحجيج .

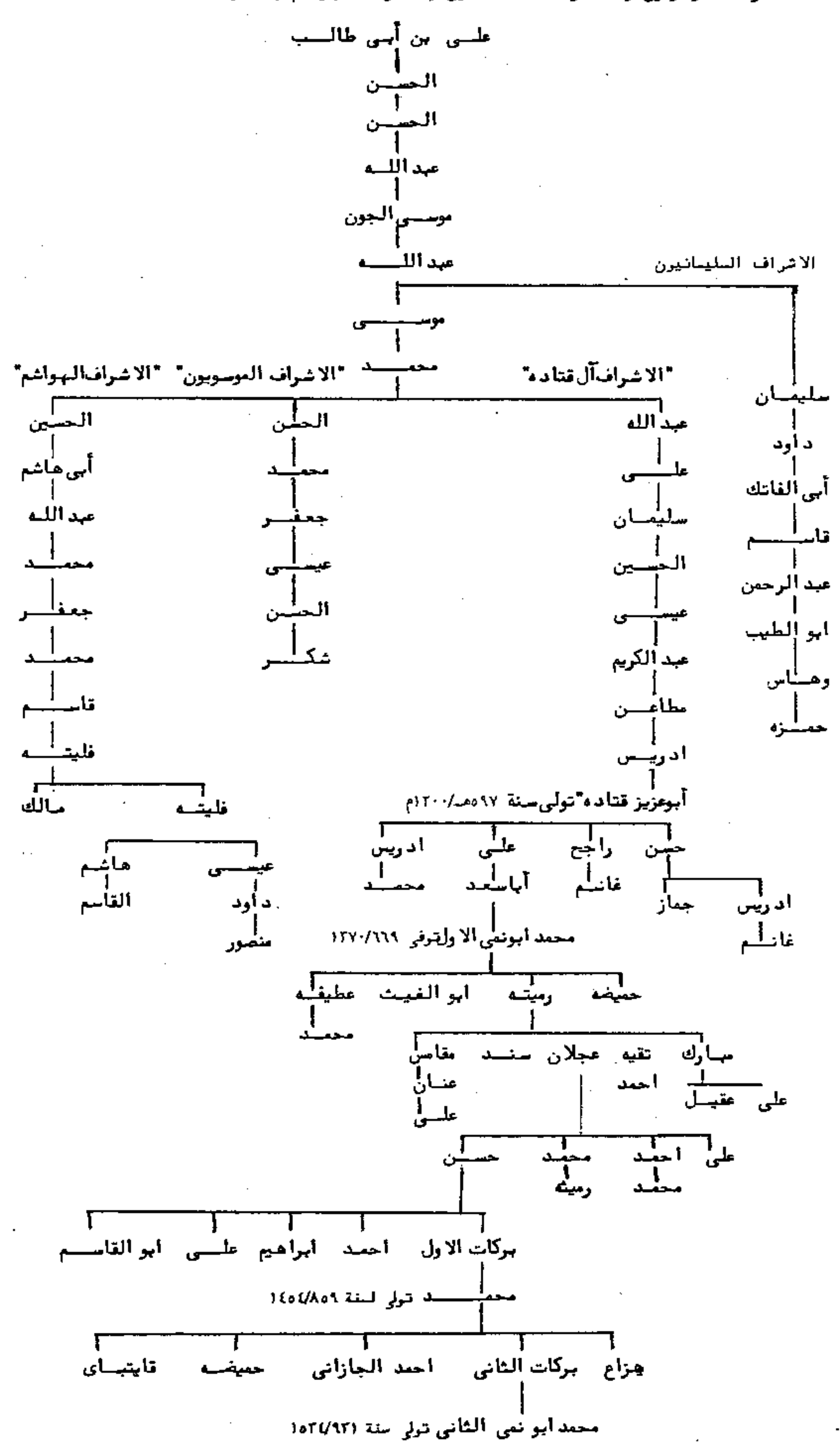
أسأل الله أن أكون قد وفقت فى استعراض أهم الأحداث السياسية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية فى تلك الفترة بهدف ايضاح جزء من تاريخ تلك المنطقة العزيزة على كل المسلمين لما تضمه من مقدسات فى أقدس وأطهر بقعتين على وجه الأرض مكة المكرمة والمدينة المنورة .

والله من وراء القصد أنه حسبى ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

الملاحق

ملحـــق رقــم (١)

" صورة توضيحيه تبين تسلسل نسب آسر الاشراف التى حكمت مكة المكرمة فى ذلك الوقت وهم الاشراف الموسويون و الاشراف السليمانيون والاشراف الهواشم والاشراف آل قتاده " .



ثم أنحصر حكم مكة المكرمة فى أبناء الشريف محمد ابو نمى الثانى حيث تداول الحكم فى ابنائه أولا آل زيد وآل بركات ثم بعد ذلك فى آل عون من العبادله .

ملحق رقم (٢)

نص رسالة السلطان العثماني محمد الفاتح الى شريف مكة يبشره بفتح القسطنطينية .

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . أدام الله علو المقر الكريم السيدى السندى الشريفي الأشرفى الاكرمى الأعلمى الأورعى الامامى الهمامى الاوحدى الامجدى العاملي العالمي الأعظمي الأولوى الأعلوى العلوى المشيدى المؤيدى النصيرى الظهيرى الظاهرى معلى قواعد الموسم والحرمين ، حامى مشاهد البقاع الشريفة والمروتين ، مؤسس مواسم العظمة والجلال ، مؤكد معاقد المقاصد والآمال ، مطلع لوامع العز والتمكين ، مظهر مآثر الملك والدين ، فلذة أكباد الرسول زبدة أحفاد البتول ، أمير المسلمين وولى المؤمنين ، خلاصة أولاد شفيع المذنبين ، وهو السيد الشريف والقرم المنيف سلطان بيت الله تعالى شرفه الله وحواليه ، علاء الدولة والملة والدين السيد الأحسبى العجلانى الحسنى ، زاد الله تعالى سعادته وأدام سيادته ولا خلا فى دولة لا تنهدم دارها ونعمة لا تنفصم آثارها ، ولا زالت أسباب مودته ومحبته مؤكدة وعقود موالاته وهمته منتظمة منضدة مدى الدهور والأعوام ، بحرمة سيد الأولين والآخرين . وبعد : فقد أرسلنا هذا الكتاب مبشرا بما رزق الله لنا في هذه السنة من الفتوح التى لا عين رأت ولا أذن سمعت ، وهي تسخير البلدة المشهورة بقسطنطينية الملاصقة بمرج البحرين ، وفى مقابلتها مدينة أخرى موسومة بغلطة ، وفى جانبها الشرقى بلدة أخرى معلمة بأسكدار ، أما الاولى فكأنها ثعبان له سبع رؤوس من قللها المشتهرة وتلك القلل سبع رواس شامخات حصينة رفيعة مهيأة بأمر الله عز وجل لمقر الخلافة الاسلامية ومرزوقة لنا بتقدير الحكم السبحانية ولا شك أنها سلطان البلاد . والأخريان من جنبيها يمينا وشمالا كخادمين فى طرفى السلطان ، فلما توجهنا وعزمنا عليها هجم علينا الكفار المملوءة فيها خارجا وداخلا ، وحاربوا معنا ، فقام المحاربة بيننا وبينهم قريب

شهرين بعد ابائهم عن اعطاء الجزية الشرعية ، ثم عجزوا عن القتال وهربوا من الجدال ، فازدحم أهل الاسلام وجاهد كل من المجاهدين عن البر والبحر حق الجهاد ، فقربوا من السور وصعد جم كثير من الكماة الموحدين فوق منافذ جدرانها المندرسة من المنجنيق والمرادة ، فدخلوا فى نفس هذه البلدة المتبركة المنورة بقدوم الموحدين بالتكبير والتهليل يوم الثالث والعشرين من شهر جمادى الاولى ، فقطع فى مبدأ الاول رأس رأس هذه الملاعين - أعنى التكفور اللعين - أولحق بجهنم مع سائر المقتولين من المشركين ، فخربوا دورهم وكسروا صلبانهم وأغاروا على خزائنهم وأموالهم ، وأسروا ذراريهم وصبيانهم وجعلوا معابدهم القسيسية مساجد الأمة المحمدية ، وجمع الأمة الأحمدية ، وطهر تلك المواقع عن الارجاس الرهبانية والانجاس النصرانية : فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين . وأما بقية السيوف فعفونا عنهم وقطعنا عليهم الجزية السنوية سعيا لبيت المال . فلما تشرف منابر الخطب بشرف ألقابنا العلية الباهرة ، وتزين وجوه الدراهم والدنانير المسكوكة بزينة اسمائنا الجلية الطاهرة ، جهزنا الى خدمتكم فخر المقربين وزين حجاج الحرمين خواجه حاجي محمد الزيتوني ، حفظه الله فى الذهاب والاياب ورزقه الوصول والمعاودة بالخير والصواب ، لتبليغ الرسالة وترسيل البشارة ، فالمأمول من مقر عزكم الشريف أن يبشش بقدوم هذه المسرة العظمى والموهبة الكبرى مع سكان الحرمين الشريفين والعلماء والسادات والمتهدين والزهاد والعباد والصالحين والمشايخ الأمجاد الواصلين والائمة الاخيار المتقين والصغار والكبار أجمعين ، المتمسكين بأذيال سرادقات بيت الله الحرام التى كالعروة الوثقى لا انفصام ، والمشرفين بزمزم والمقام ، والمعتكفين فى قرب جوار رسول الله عليه التحية والسلام ، داعين لدوام دولتنا فى العرفات ، متضرعين من الله بنصرتنا - أفاض الله علينا بركاتهم ورفع درجاتهم بالنبي النبيه وآله وذويه - وبعثنا مع المشار اليه هدية لكم خاصة ألفي فلورى من الذهب الخالص التام الوزن والعيار المأخوذ من تلك الغنيمة ، وسبعة آلاف فلورى أخرى للفقراء ، منها ألفان للسادات والنقباء ، والألف للخدام

المخصوصة بالحرمين ، والباقي للمتمكنين المحتاجين فى مكة المعظمة والمدينة المنورة ـ زادهما الله شرفا ـ فالمرجو منكم التقسيم بينهم بمقتضى احتياجهم وفقرهم واشعار كيفية السير الينا وتحصيل الدعاء منهم لنا دائما باللطف والاحسان ان شاء اللـــه تعالى . والله يحفظكم ويبقيكم بالسعادة الابدية والسيادة السرمدية الى يوم الدين آمين يارب العالمين . وصلى الله على خاتم الانبياء والمرسلين وآله وصحبه اجمعين .[1]

---

(١) حمادة ، ماهر : سلسلة وثائق الاسلام ، جـ٦ ص ٤٥٢ .

متانة حصنها مشهورة بين الأنـام ، وحصانة سورها معروفة عند الخواص والعـوام ، وحمدنا الله تعالى بتيسير ذلك الأمر العسير وتحصيل ذلك المهم الخطير حمـدا يوافى نعمه وشكرا يكافي كرمه ، على أن أداءها فريضة مشكلة ، واحصاءها خارج من الطاقة البشرية ، مقربن بالعذر والتقصير راجين الاعانة منه فى طاعته انه على ذلـك قدير ، حسب ماورد فى الاخبار من الاخيار أن اعتراف العبد بقصور خدمته لمـولاه عند الغفلة سهوا أو من عدم الاقتدار سعيا ، معدود من أحسن العبادات ، والقبول موقوف على رضائه حال التضرع فى الخلوات.

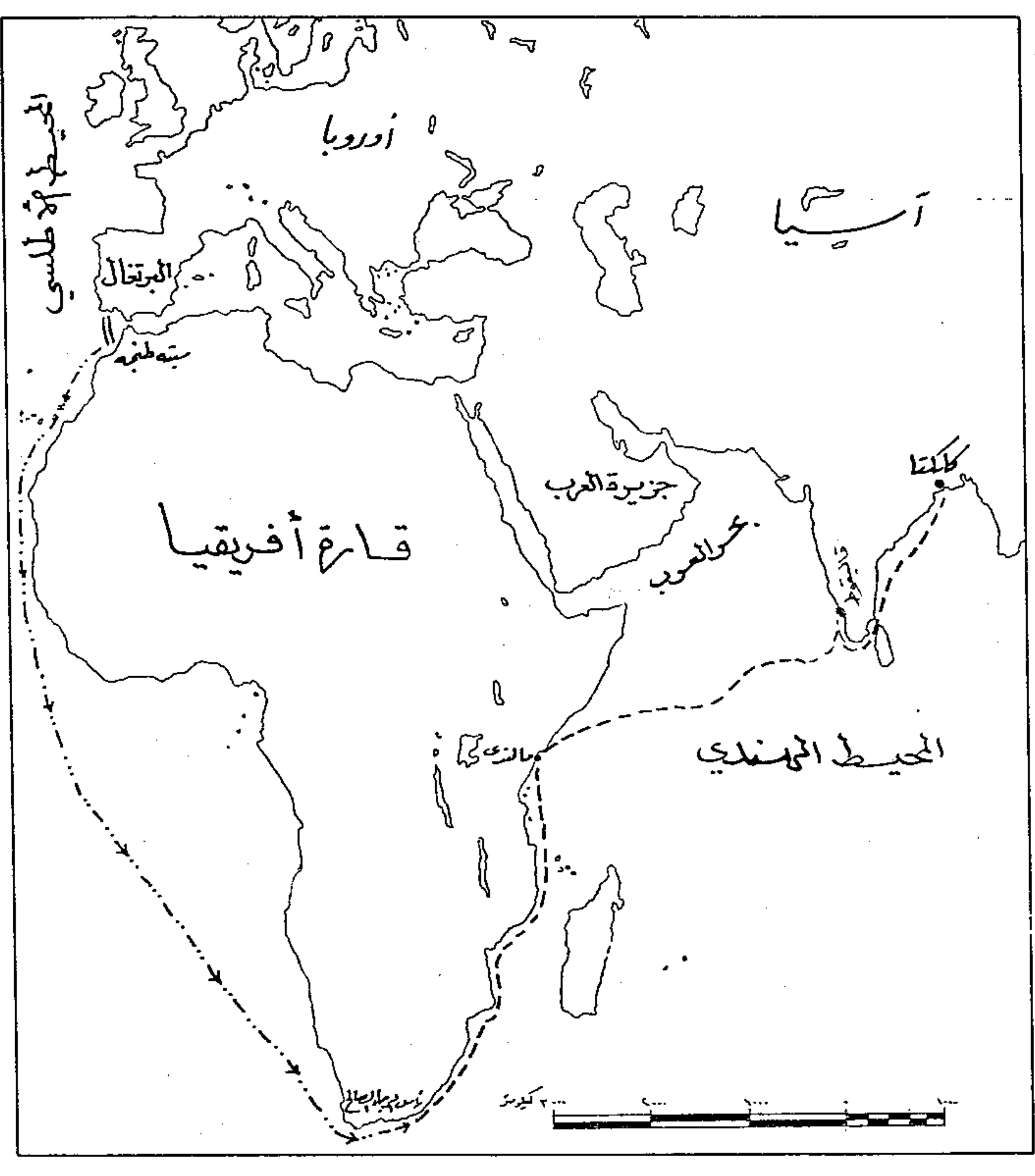
اللهم يارب الكعبة وعرفات ، ويانور الارض والسماوات : انصر من نصر الدين واحفظ من حفظ المسلمين ، واكتب السلامة على كافة الغزاة وعامة المجاهديـن والمسافرين فى برك وبحرك يارب العالمين ، وفرحنا بها نهاية المسرة وبشتنا بذلك غاية البشاشة ، وابتهجنا من احياء مراسم آبائكم العظام ، والسلوك بمسلك اجدادكم الكرام ، روح الله أرواحهم وجعل أعلى غرف الجنان مكانهم ، فى اظهار المحبـة لسكان الأراضي المقدسة من الغرق الاسلامية عملا بمدلول : والحب يتوارث ، واهدائكم لنا ولسائر السادات والفقراء والصلحاء والعلماء والمسرورين بما قال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم " خيار أمتى قوم يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سـرا خوف عذاب ربهم بالغداة والعشي فى البيوت الطيبة يدعون بألسنتهم رغبا ورهبـا ويسألـون بأيديهم خفضا ورفعا ، مؤونتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم كثيرة" الحديث تسعة آلاف فلوريات الجديدة بالسكة المحمدية من أنفال تلك البلدة العظيمـة المعينة تقسيمها فى مراسلتكم اللطيفة ، فعملنا بحسب الاشارة الشريفة ، فقبض كـل واحد من المستحقين كل القبض. وقال الناظرون عليها : النرجس الأصفر خير مـن الابيض ، واستلأت أكف الفقراء من الذهب الأصفر فصاروا كطالبي الاكسير الواصليـن الى الكبريت الأحمر ، داعين لكم بخلوص الجنان راجين قبوله من اللـه الملك المنان كما قال عليه السلام : دعاء المحسن اليه للمحسن لا يرد ، حامدين الله على أنعمـه فى الأيام وساعاتها عملا بما قال عليه السلام : " الحمد لله على النعمة أمان من زوالها"

والمسؤول من فضل الله الكامل أن ينالكم خير الدارين العاجل والآجل كما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم : " جنة عدن في السماء العليا لا يدخلها الا نبي أو صديق أو امام عادل . . . " الى آخر الحديث . والملتمس من جنابكم السامي أن يحيط علمكم على أموال فقراء هذه الديار بالأصل والفرع ، يويزيد لطفكم على الضعفاء المتمكنين بواد غير ذى ذرع ابتغاء لمرضاة الله يوم معاده كما قال عليه السلام : " خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير : الايمان بالله والنفع لعباده " ، وبعثنا مع الحاجي زين الدين المشار اليه قدوة الصلحاء والمتورعين مولانا نجم الدين السيوطى ، زاد الله تقواه ، لينوب منابنا في تقبيل سدتكم السنية وتلثيم عتبتكم العلية ، وأتحفنا لخدمتكم برقع باب مكة المعظمة والأقمشة الهندية المنوعة سبع طقوزات وعشرين شاشاة ، المبلولة بماء زمزم ، ورأس رمكة معلمة طائرة في الهواء كحمامة الحرم ، فالمرجو من نواب أبوابكم العالية الانعام بالقبول والعذر عند كرام الناس مقبول . أدامكم الله وأيدكم بالدولة القاهرة والسلطة الباهرة الى يوم الدين آمين .(١)

---

(١) حماده ، ماهر : سلسلة وثائق الاسلام ، جـ٦ ص ٤٦٠ .

ملحق رقم (٤)



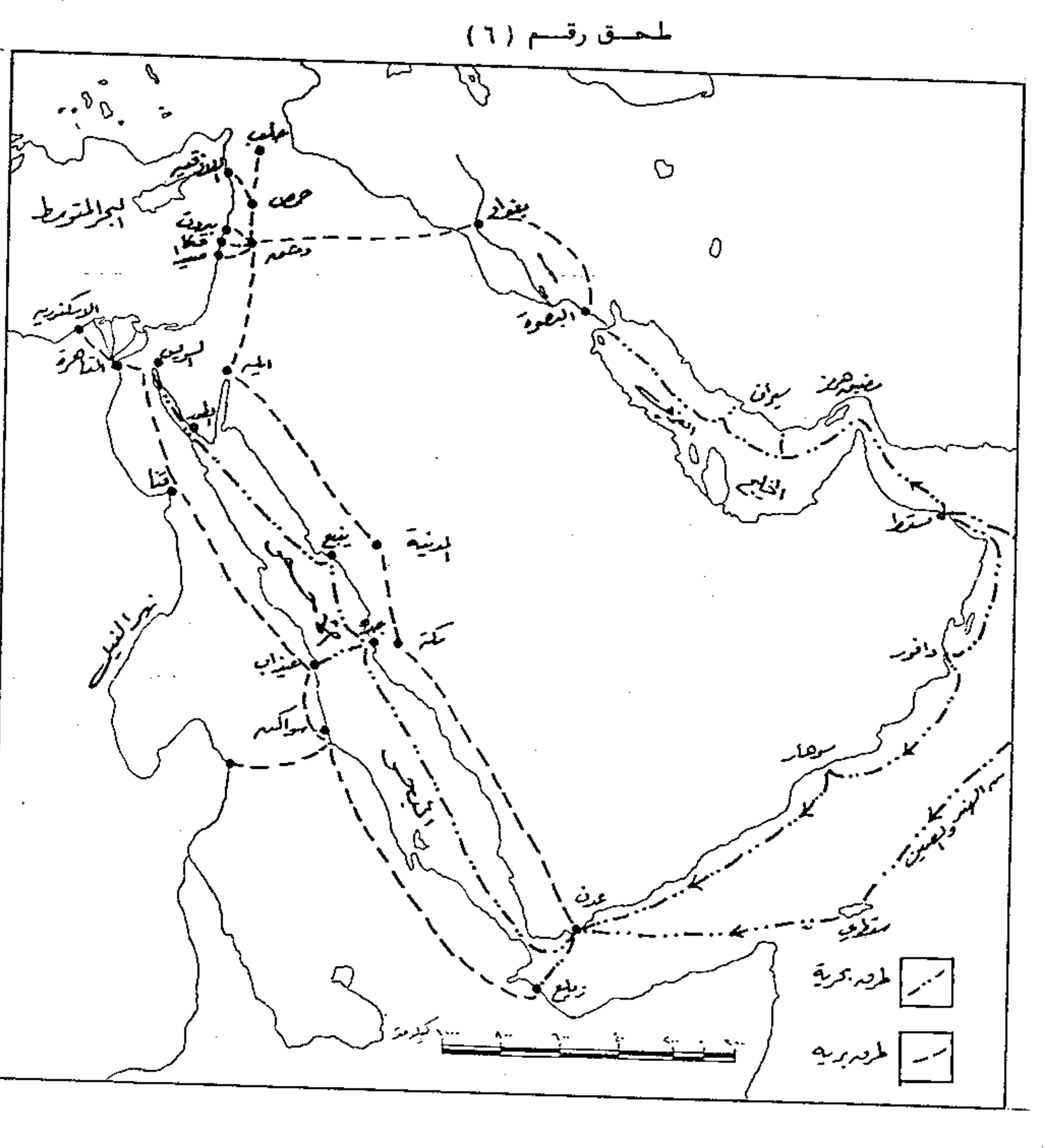
═══ وصول البرتغاليون إلى الساحل المراكشي لأفريقيا ــــ.. وصول بارثلوميو دياز إلى رأس الرجاء الصالح

ــ.. ــ وصول فاسكو دي جاما إلى شرق أفريقيا وسواحل الهند

ملحق رقم (٥)

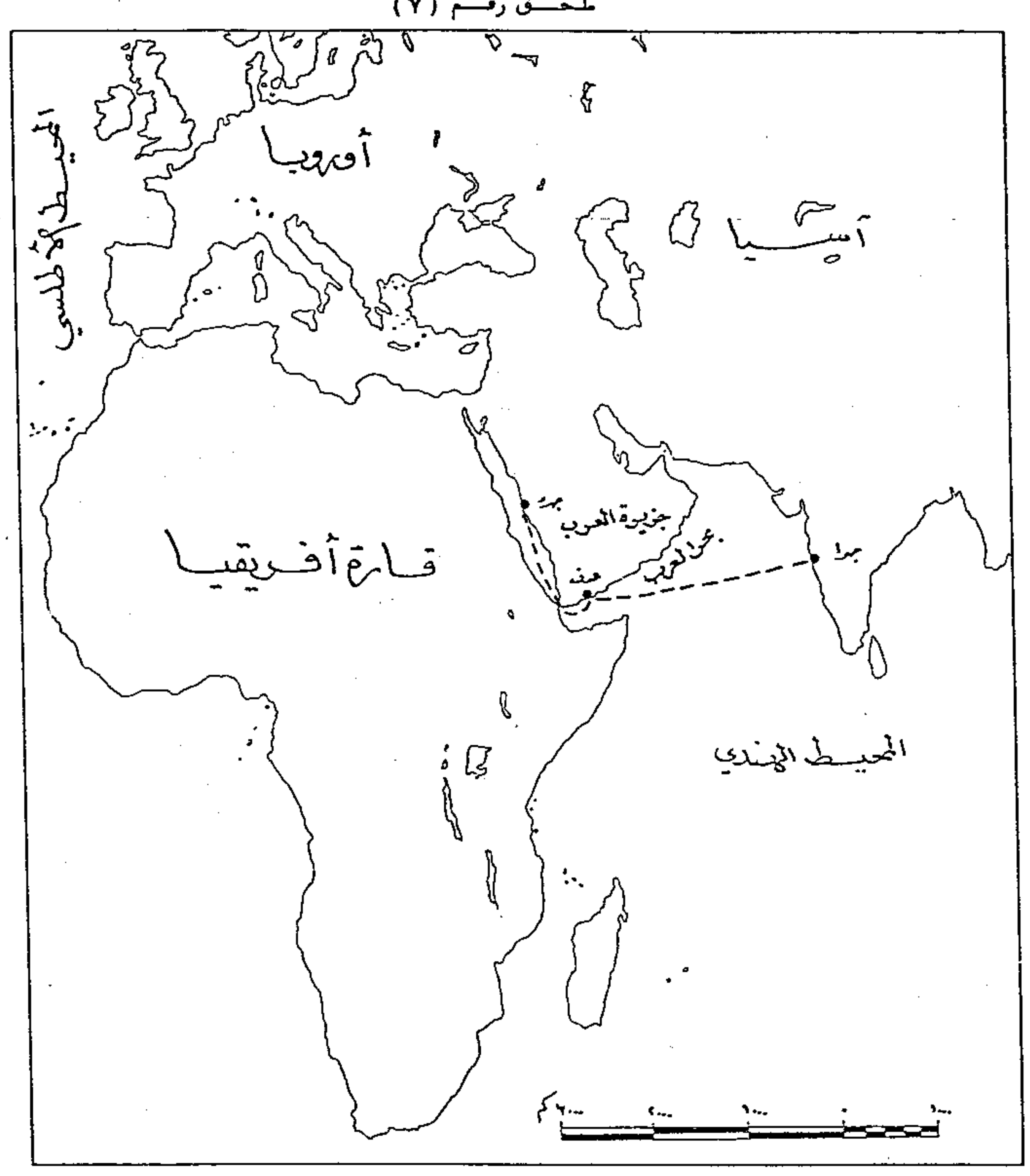
منطقة نفوذ الدولة المملوكية

ملحق رقم (٦)



طرق التجارة البرية والبحرية المارة بأراضي الدولة المملوكية في الشام ومصر

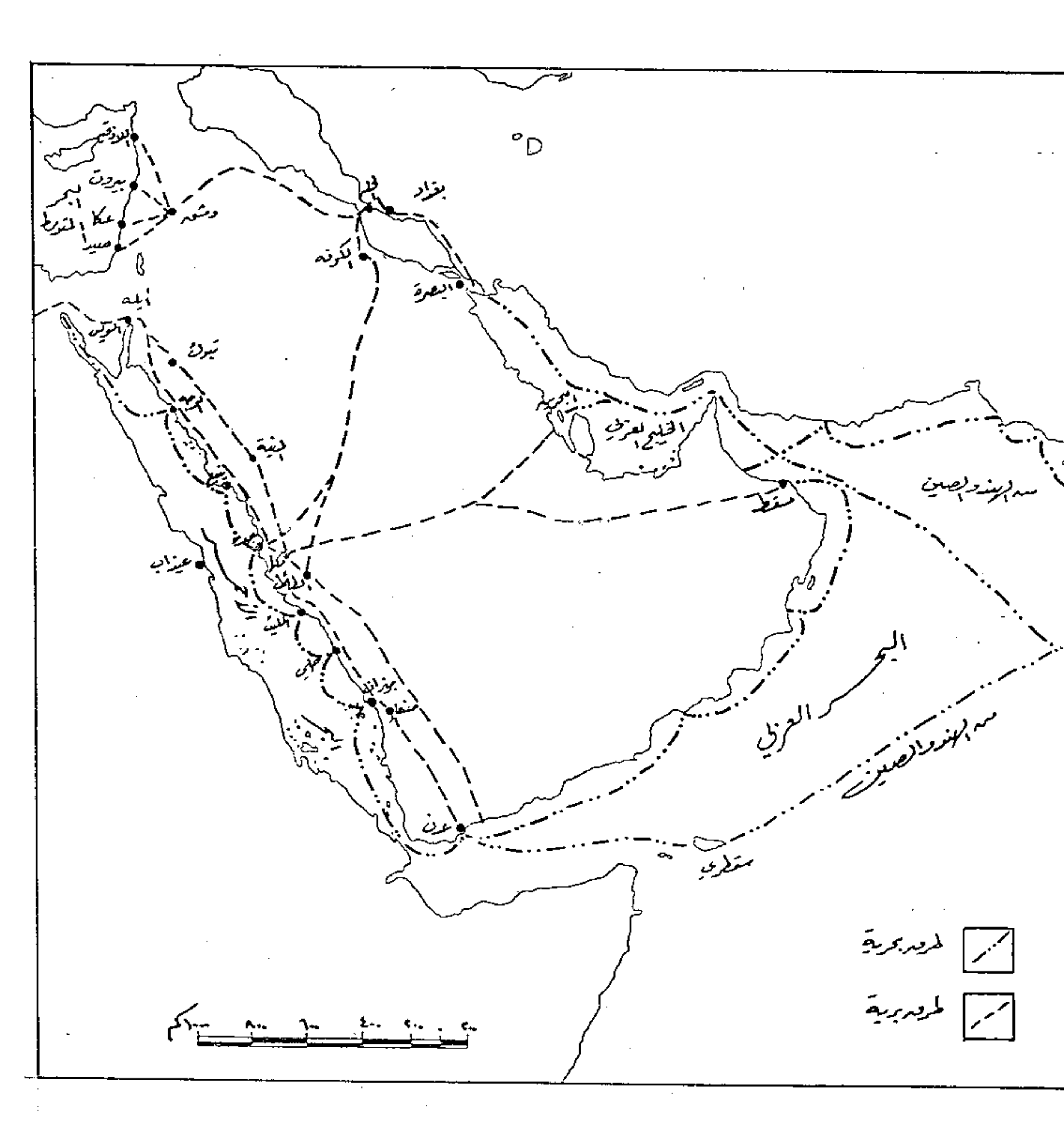
ملحق رقم (٧)



---- محاولة البرتغاليين الوصول إلى جدة بقيادة البوكيرك سنة ٩١٩هـ / ١٥١٢م والتي لم يتم لها تحقيق أغراضها بسبب ريح بعثها الله على المعتدين.

ثم محاولة لوبو سواريز سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٧م والتي استطاع صدها القائد سليمان الريس.

ملحـــق رقـــم (٨)



الطرق البحرية والبرية المارة بالحجاز

ملحق رقم (٩)

البحر الأسود
سينوب
طرابزون
كرميان
ايدين
منتشا
قرمان
ولغادر
بحيرة وان
الشاه السوداء
القره قيونلو
نهر دجلة
العراق
الشاه البيضاء
الاق قيونلو
نهر الفرات
بلاد الشام
البحر المتوسط

الإمارات الواقعة على الحدود بين الدولة العثمانية والدولة المملوكية

المصادر والمراجع

المصادر والمراجـــــع

أولا : القرآن الكريم :

ثانيا : المخطوطــات :

— ابن حميد ، سالم بن محمد .

العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثه ، مخطوط ، جامعـــة أم القرى ، المكتبة المركزية ، رقم ٢٣٧٠ .

— البسنوى ، على بن د.د.ه.

مناقب مكة المكرمة ، مخطوط ، جامعة أم القرى ، مكتبة معهد البحـــوث العلمية بجامعة أم القرى . مصورة عن مكتبةعارف حكمت بالمدينةالمنورة رقم ١٦٠٧ .

— الحضراوى ، أحمدبن محمد بن أحمد ت ١٣٢٦هـ.

* الجواهر المعدة فى فضائل جدة ، مخطوط ، مكتبة الحرم ، رقـــــم ٢٧ د هلوى .

* تاج تواريخ البشر وتتمة جميع السير ، جـ٢ ، مخطوط ، مكتبة مكـــة رقم ١٢٢ .

— السنجارى المكى ، على بن تاج الدين ت ١١٢٥هـ.

منائح الكرم فى أخبار والبيت وولاة الحرم ، مخطوط ، جامعة أم القـــرى المكتبة المركزية ، رقم ٢٧٥٠ .

— الشافعى ، عبد القادر بن أحمد بن محمد بن فرج ت ١٠١٠هـ.

السلاح والعدة فى تاريخ جدة ، مخطوط ، مكتبة الحرم ، رقم ٢٨ د هلوى

— الشيبانى ، عبد الرحمن بن على بن محمد بن عمر الديبع ، ت ٩٤٤هـ

قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون ، مخطوط ، معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى ، مصورة عن مكتبة باريس رقم (٣٩٠)

- الشيلى ، محمد بن أبى بكر الحسن ، جمال الدين ت ١٠٩٣.

  السنا الباهر بتكميل النور السافر فى أخبار القرن العاشر.

- الصباغ ، محمد بن أحمد بن سالم بن محمد ، المكى المالكى (كان حيا ١٢٤٣ - ١٣٢١).

  تحصيل المرام فى أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام ، مخطوط ، مكتبة الحرم ، رقم الفلم ١٠٦٦.

- الصديقى ، محمد بن محمد أبو السرور زين العابدين محمد بن أبى المكارم البكرى ت ١٠٨٧ هـ.

  المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية ، مخطوط ، جامعة أم القرى ، مكتبة معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى ، رقم ٤٦٣.

- الطاهر ، عبد الهادى بن محمد صالح (كان حيا سنة ١١١٦ هـ)

  الدر الفاخر فى خبر الاوائل والأواخر ، مخطوط ، مكتبة الحرم ، مصورة بمكتبة معهد البحوث العلمية ، جامعة أم القرى برقم ٢٥٠ تاريخ .

- الطبرى ، على عبد القادر ت ١٠٧٠ هـ.

  الارج المسكى من تاريخ المكي ، مخطوط ، مكتبة الحرم ، رقم الفلم ٢٣٦٣

- الطبرى ، محمد بن على بن فضل بن عبد الله بن يحيى الحسينى ، ت ١١٦٣ هـ

  اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن وولاية قتادة ، جـ١ ، مخطوط مكتبة الحرم ، رقم ١٢٦ دهلوى .

- العثمانى ، أحمد بن سعد الدين العمرى ت ١٠٥٠ هـ.

  ذخيرة الأعلام تاريخ أمراء مصر فى الاسلام ، مخطوط ، جامعة أم القرى ، مكتبة معهد البحوث العلمية ، رقم ٢٦١.

- الكبسي الحسني ، محمد بن اسماعيل محمد بن يحيى بن أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بدر الدين .

اللطائف السنية في أخبار المماليك اليمنية ، مخطوط ، مكتبة معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى ، مصورة عن مكتبة كورسني بايطاليا ، رقم (٤١٦)

- المعبرى ، زين الدين عبد العزيز .

تحفة الناظرين في بعض أحوال البرتكاليين ، معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى ، رقم ( )

- الموزعي ، عبد الصمد بن اسماعيل .

الاحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان (أو تاريخ الموزعي في الدولة العثمانية) ، مخطوط ، مكتبة معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى ، مصورة عن مكتبة باريس رقم (٢٣)

- الوزير ، عبد الله بن علي بن محمد بن ابراهيم ت ١١٤٧

جامع المتون في أخبار اليمن الميمون ، الجزء الثاني ، مخطوط ، مكتبة معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى ، مصورة عن مكتبة كورسني بايطاليا . رقم (٢٢٧)

- يحيى ، عيسى بن لطف الله بن المطهر بن الامام شرف الدين ت ١٠٤٨

روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح ، مخطوط مصورة عن مكتبة الازهر . رقم (٢٨٧)

- يعقوب الامام ، أحمد بن محمد ت ١١٨٦هـ .

السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة " كتبت عام ١١٨٦هـ" مخطوط ، جامعة أم القرى ، المكتبة المركزية ، رقم ١١٢٦ .

ثالثا : المصادر :

- ابن اياس ، محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ

بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، الطبعة الثانية ، الناشر فرانــــر شتايز فيسبان .

- ابن بطوطه ، محمد بن ابراهيم اللواتي ، ابو عبد الله ت ٧٠٤ ، ٧٧٩

رحلة ابن بطوطة ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعــة والنشر ، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م ، بيروت.

- ابن تغرى بردى ، يوسف ، جمال الدين ابوالمحاسن ت ٨٧٤هـ.

× النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ١٦ تحقيق د . جمال الدين الشيال ، أ . فهيم محمد شلتوت ، الهيئة المصرية العامة للكتــــاب ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

× الدليل الشافــي على المنهل الصافى ، تحقيق وتقديم فهيم محمــــد شلتوت ، دار الفكر ، مركزالبحث العلمى ، جامعة أم القرى .

- ابن جبير ، محمد بن أحمد ، ابى الحسن ت٦١٤هـ.

رحلة ابن جبير (رسالة اعتبار الناسك فى ذكر الا ثار الكريمة والمناسك) دار مكة ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨١م.

- ابن خرذابه ، عبيد الله بن عبد اللهأبى القاسم (ت حدود سنة ٣٠٠)

المسالك والممالك ، يليه نبذة من كتاب الخراج وصنعه الكتابـــــة لأبى الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى ، مكتبة المثنى ببغداد

- ابن طولون ، محمد بن علي بن أحمد بن على بن خمارويه ، شمس الديــــن ت ٩٥٣هـ.

مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان (تاريخ مصر والشام) حققه وكتــب له المقدمة والحواشى والفهارس محمد مصطفى ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه ، القاهــــرة ، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

- ابن ظهيرة ، محمد جار الله بن محمد نور الدين بن أبي بكر علي ، جمال الدين ت ٩٨٦ .
الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، الطبعة الثانية ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف بمطبعة عيسى الحلبي وشركاه بمصر ، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .

- ابن ظهيرة ، محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي ت ٨٨٨هـ .
الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة ، مركز تحقيق التراث ، ١٩٦٩م .

- ابن علي ، يحيى بن الحسن بن القاسم
غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، مراجعة د . محمد مصطفى زيادة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

- ابن فهد المكي ، عبد العزيز بن عمر بن محمد ، عز الدين ت ٩٢٢ .
غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، عدد الاجزاء ٣ ، تحقيق أ . فهيم محمد شلتوت.
الاجزاء :
١ - الطبعة الاولى دار النشر مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
٢ - الطبعة الاولى دار النشر مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .
٣ - الطبعة الاولى دار النشر مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

- ابن فهد المكي ، عمر ، نجم الدين ت ٨٨٥هـ
معجم الشيوخ ، تحقيق وتقديم ، محمد الزهي ، مراجعة وقابله على أصله حمد الجاسر ، دار اليمامة ، المملكة العربية السعودية .

— ابن فهد المكى ، عمر ، نجم الدين ت ٨٨٥هـ.

اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، عدد الاجزاء ٤ ، ١ ، ٢ ، ٣ ، تحقيق وتقديم أ. فهيم شلتوت ، الطبعة الاولى ، معهد البحوث العلمية واحياء التراث الاسلامى جامعة أم القرى ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م. الجزء الرابع ، تحقيق د. عبد الكريم على باز ، " رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى" ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

— ابن فهد المكى ، محمد بن عبد العزيز بن عمر ، جار الله ت ٩٥٤

* تحفة اللطائف فى فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف ، تعليق ومراجعة محمد سعيد جمال ، محمد منصور الشقحاء ، نادى الطائف الأدبى .
* رسالة فى فضل جدة وشىء من خبرها ، دراسة د. عبد المحسن مدعج المدعج ، مستلة من مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد ٣١ الجزء الاول ، جمادى الاولى - شوال ١٤٠٧هـ/ يناير - يونيو ١٩٨٧م

— ابن ماجد ، احمد ملاح فاسكودى جاما .

ثلاثة أزهار فى معرفة البحار ، تحقيق ونشر . ثيودور شوموفسكى ، ترجمة وتعليق د. محمد منير مرسى ، عالم الكتب ، القاهرة .

— ابن المجاور ، يوسف بن يعقوب بن محمد ، جمال الدين أبى الفتح ت ٦٩٠هـ.

صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر ، صححه وضبطه اوسكر لوففرين ، الطبعة فى مدينة ليدن ، مطبعة بريل سنة ١٩٥١م

— ابن مخرمة ، عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد ، أبى محمد ت ٩٤٧ .

تاريخ ثغر عدن مع نخب من تواريخ ابن المجاور والجندى والاهدل ، مطبعة بريل فى مدينة ليدن المحروسة / أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد ، ١٩٢٦م.

— ابى الفداء ، اسماعيل بن محمد بن عمر ، عماد الدين ت ٧٣٢

تقويم البلدان ، طبع فى مدينة باريس المحروسة سنة ١٨٤٠م.

- الاسحاقي ، محمد عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد بن عبد الغني بن علي
أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول ، السنة ١٢٩٦هـ حسب تاريخ المؤرخ ، يشترك معه كتاب . تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين للمؤلف عبد الله الشرقاوي .
- البخاري ، ابي عبد الله محمد بن اسماعيل
صحيح البخاري ضبطه وشرح الفاظه د . مصطفى ديب البغا ، الطبعة الاولى ، دار القلم بدمشق ، بيروت ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- بكري ، حسين بن محمد بن الحسن الديار ت ٩٦٦
تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع بيروت ، ١٢٨٣هـ .
- البهكلي ، عبد الرحمن بن أحمد . تكلة ، الحسن بن أحمد عاكش .
نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود ، دراسة وتحقيق وتعليق محمد بن أحمد العقيلي ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .
- الجزيري ، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم ت ٩٤٤
درر الفوائد ، المنظمة من أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة ، ١٣٨٤هـ .
- الحربي ، ابراهيم بن اسحق بن ابراهيم بن بشير بن عبد الله بن ويسم ابواسحاق ت ٢٨٥
كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة
- الحسني ، الشريف عبد الحي بن فخر الدين .
نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، الطبعة الثانية ، مكان النشر مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن ، الهند ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م ، ج٣ في القرن ٩ .

— الحموى ، ياقوت بن عبد الله ، شهاب الدين أبى عبد الله ت ٦٢٦هـ.

معجم البلدان ،

جـ٢ ، ٥ ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ،

جـ ٣ ، دار صادر ، بيروت.

— الحميرى ، محمد بن عبد المنعم ت ٩٠٠

الروض المعطار فى خبر الاقطار (معجم جغرافى مع سرد عام) تحقيق

د . احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٥م.

— الحنبلى ، عبد الحى بن العماد ، أبى الفلاح ت ١٠٨٩هـ.

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، المكتب التجارى للطباعة والنشر

والتوزيع ، بيروت. بدون .

— الحوقلي ، محمد بن علي الموصلي ، ابن القاسم (القرن ٤هـ)

صورة الأرض

— دحلان ، أحمد زيني ت ١٣٠٤هـ.

خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة

والسلام الى وقتنا هذا بالتمام ، الطبعة الاولى ، المطبعة الخيرية

بمصر ، ١٣٠٥هـ.

— الرشيدى ، أحمد ت ١١٧٨هـ

حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي امارة الحاج ، تحقيق د . ليلى

عبد اللطيف أحمد ، مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٨٠م.

— السخاوى ، محمد بن عبد الرحمن ، شمس الدين ت ٩٠٢

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٣٥٤هـ

الطبعة تضم الاجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ والاجزاء من ٥ - ١٢ ، دار مكتبة

الحياة ، بيروت ، لبنان . بدون .

- السيوطى ، عبد الرحمن بن أبى بكر ، الحافظ جلال الدين ت ٩١١هـ.

تاريخ الخلفاء . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ، مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة ، ١٣٨٩/١٣٦٩هـ.

- حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة

تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، الطبعة الاولى ، الجزء الثانى ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة ، ١٩٦٨م/١٣٨٧هـ.

- شرقاوى ، عبد الله بن حجازى

تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين ، هذا الكتاب على هامش كتاب أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول .

- الشوكانى ، محمد بن علي (ت : ١٢٥٠)

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الطبعة الاولى ، دار النشر الشيخ معروف عبد الله باسندوه التاجر بالجمالية بمصر ، القاهرة ، ١٣٤٨هـ.

- الشيبانى، عبد الرحمن بن على بن محمد بن عمر الديبع ، وجيه الدين

الفضل المزيد على بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد .

تحقيق د . يوسف شلحد ، بيروت ، ١٩٨٣م.

- الصيرفي ، على بن داود الجوهرى ت . ٩٠

أنباء الهصر بأنباء العصر ، تحقيق وتقديم : د . حسن حبشي ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٠م.

- العرشي ، حسين بن أحمد ت ١٣٢٩هـ.

بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وامام نشره انستاس مارى الكرملي ، مكتبة لويس سركيس ، القاهرة ، مطبعة البرتيرى ، مصر ، ١٩٣٩م.

- العصامي المكى ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك ت ١١١١هـ.

سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة . بدون .

- الغزى العامرى ، نجم الدين محمد بن محمد بن أحمد ت ١٠٦١

الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، تحقيق د . جبرائيل سليمان جبور ، الناشر محمد امين دمج وشركاه ، بيروت ، بدون .

- الفاسي ، محمد بن أحمد بن على ، الحافظ ابن الطيب تقي الدين ت ٨٣٢

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة ، ١٩٥٦م.

- القلقشندى ، أبو العباس أحمد بن على

صبح الاعشى فى صناعة الانشاء ، دار النشر وزارة الثقافة والارشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢

أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

- الناصرى ، احمد بن خالد ، أبو العباس .

كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصرى ، محمد الناصرى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٥م.

ـ القطبي ، عبد الكريم بن محب الدين ت ١٠١٤ .

تاريخ البلد الحرام المعروف بأعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام ، عن كتاب المؤلف ، قطب الدين بن علاء الدين الحنفي : أعلام الاعلام بأخبار المسجد الحرام ، تعليق أحمد محمد جمال ، عبد العزيز الرفاعي ، الطبعة الاولى ، مكتبة الثقافة بباب السلام مكة ، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م .

ـ النهروالي ، قطب الدين محمد بن أحمد ت ٩٨٨

* كتاب الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ، القسم الثالث من تواريخ مكة .
* البرق اليماني في الفتح العثماني (تاريخ اليمن في القرن العاشر مع توسع في أخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين لذلك القطر) .

اشرف على طبعه : حمد الجاسر ، الطبعة الاولى ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

رابعا : الدوريات :ـ

ـ أحمد ، د . ابراهيم خليل

الامة العربية في مسارها التاريخي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٢٠ سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، مجلة تصدرها الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ـ العراق .

ـ البركاتي ، د . ناصر عبد الله سلطان .

التطور التاريخي لمكتبة الحرم المكي الشريف ، مجلة العصور ، المجلد الثاني ، الجزء الثاني ، ذو القعدة ١٤٠٧هـ / يوليو ١٩٨٧م .

ـ التهامي ، أ. محمد محمد

الاصلاحات المملوكية في الاراضي الحجازية ، الدارة ، العدد الاول ، السنة الحادية عشرة ، شوال ١٤٠٥هـ / يونيو ١٩٨٥م .

— الحميدان ، د . عبد اللطيف ناصر

مكانة السلطان أجود بن زامل الجبرى فى الجزيرة العربية

الدارة العدد الرابع ، السنة الرابعة ، رجب ١٤٠٢هـ/مايو ١٩٨٢م

— دراج ، د . أحمد السيد

جم سلطان الدبلوماسية الدولية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثانى ، ١٩٥٩م .

— دسوقى ، د . محمد كمال

أهمية الحجاز فى مطلع العصور الحديثة ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، مكة المكرمة ، الطبعة الثانية ، العدد الثانى ١٣٩٦/١٣٩٧هـ .

— ربيع ، د . حسنين

بحر الحجاز فى العصور الوسطى ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، العدد الاول ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

— زيادة ، د . نقولا .

النشاط الاقتصادى فى المغرب العربى فى القرن التاسع / الخامس عشر الى القرن الثامن عشر / الثانى عشر .

مجلة القافلة ، العدد الثانى ، المجلد الثالث والثلاثون ، شعبان ١٤٠٥هـ ابريل ١٩٨٥م .

— سعداوى ، د . نظير حسان .

دولة البربن والبحربن ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٣ ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

— صالح ، د . محمد أمين

تجارة البحر الاحمر فى عصر المماليك الجراكسة ، الدارة ، العدد الثانى للسنة السادسة ربيع الاول ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م .

- الصياد ، د . محمد محمود

الرحالة الاجانب فى الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر ،
مجلة المؤرخ العربي ، العدد الرابع عشر ، السنة ١٩٨٠
مجلة تصدرها الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، العراق

- عبد الجليل ، الشاطر بصيلى

الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال فى المحيط الهندى وشرق أفريقيا والبحر الاحمر ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٢ ١٩٦٤م - ١٩٦٥م .

- العرينى ، السيد الباز

الغارس المملوكي ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الخامس ، ١٩٥٦م .

- عبد الرحيم ، د . عبد الرحيم عبد الرحمن

الحجازيون فى مصر فى القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى الدارة ، العدد الأول ، السنة الحادية عشر شوال ١٤٠٥هـ / يوليو ١٩٨٥م .

- عبد ربه ، د . سعد زغلول

البرتغاليون والبحر الاحمر ، الدارة ، العدد الثانى للسنة السادسة ربيع أول ١٤٠١هـ / يناير ١٩٨١م .

- محمود ، د . حسن أحمد

التهديد البرتغالى لسواحل العرب ومصادر دراسته ، مجلة العرب ج ٧ - ٨ ، محرم وصفر ١٣٩٨هـ / يناير وفبراير ١٩٧٨م .

- الماوى ، فؤاد

العلاقات الاقتصادية والمالية بين مصر والحجاز من الفتح العثمانى حتى الاحتلال الفرنسى ١٥١٧ / ١٧٩٨م ، جامعة محمد بن عبد الله - فاس ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس ، العددان الرابع والخامس لسنتي ١٩٨٠ - ١٩٨١م .

— محمدين ، د . محمد محمود

تساؤلات حول قضية ارشاد ابن ماجد لفاسكودىجاما الى طريق الهند

مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، المجلد ٦ من سنة ١٩٧٩م ،

الناشر عمادة شؤون المكتبات ـ جامعة الرياض

خامسا : رسائل جامعية

— بابكور ، عمر سالم

حزام الأمن العثمانى حول الحرمين الشريفين فى القرن العاشر

الهجرى ، رسالة ماجستير ، ١٤٠٧هـ ، جامعة أم القرى .

— باقاسى ، عائشة عبد الله عمر

بلاد الحجاز فى العصر الايوبى ٥٦٧ - ٦٤٨هـ/ ١١٧١ - ١٢٥٠م ،

جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ، رسالة ماجستير ٩٩- ١٤٠٠هـ

٧٩- ١٩٨٠م .

— جلال ، آمنه حسين محمد على

طرق الحج ومرافقه فى الحجاز فى العصر المملوكى ٦٤٨ - ٩٢٣هـ ،

رسالة جامعية ، جامعة أم القرى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

— الحسن ، سعاد ابراهيم بن محمد

النشاط التجارى فى مكة المكرمة فى العصر المملوكى ٦٤٨ - ٩٢٣هـ /

١٢٥٠ - ١٥١٧م ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ١٤٠٥هـ /

١٩٨٥م .

— الشريف ، فريال

مكة المكرمة كما جاءت فى كتب الرحالة المسلمين منذ القرن السادس

الهجرى حتى نهاية القرن التاسع الهجرى ، رسالة جامعية ، جامعة

الملك عبد العزيز

ـــ المبيكان ، طرفه عبد العزيز

الحياة العلمية والاجتماعية فى مكة فى القرنين السابع والثامن للهجرة رسالة ماجستير ، جامعة الملك سعود ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

ـــ المدخلى ، محمد ربيع هادى عمر

الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية فى عصر السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهرى ، ٨٩٤ - ٩٢٣ / ١٤٨٨ - ١٥١٧م ، رسالة جامعية ، جامعة أم القرى

سادسا : المراجع العربية والمعربة :

ـــ أحمد ، أحمد يوسف :

الدور المصرى فى اليمن ١٩٦٢ - ١٩٦٧م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١م.

ـــ الاشيوبى ، أبو أحمد .

الاسلام الجريح فى الحبشة بلاد النجاشي أرض الهجرة الاولى

ـــ أرنولد ، توماس ، سير ، (أشراف)

تأليف جمهرة من المستشرقين ، تراث الاسلام ، عربه وعلق حواشيه جرجس فتح الله ، الطبعة الثالثة ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ، ١٩٧٨م.

ـــ أوليفر ، رواند ـ جون فيج

موجز تاريخ افريقيه ، ترجمة د . دولت أحمد صادق ، مراجعة د . محمد السيد غلاب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

ـــ أصاف ، عزتلو يوسف بك

تاريخ سلاطين آل عثمان من أول نشأتهم حتى الآن ، دار النشر طبع على نفقة ابراهيم فارس صاحب المكتبة الشرقية فى مصر / المطبعة العمومية ، مصر.

- الاسكندرى ، عمر و ا ٠ ج ٠ سفرج

تاريخ مصر الى الفتح العثمانى مع نبذة من أخبار الامم التى ارتبطت بمصر الى ذلك العهد ، مطبعة المعارف بمصر ، ١٣٣٣/١٩١٥

- الانصارى ، عبد القدوس

تاريخ مدينة جدة ، بلدية جدة .

- الانصارى ، محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر

تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء فى القديم والجديد ، اشرف على طبعه وعلق عليه بعض الحواشي / حمد الجاسر ، الطبعة الاولى ، السنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م .

- ايكاريوس ، يوحنا افندى .

قطف الزهور فى تاريخ الدهور ، الطبعة الثانية ، طبع بيروت ، ١٨٨٥م

- البرادعى ، أحمد بن محمد صالح الحسين الشريف

المدينة المنورة عبر التاريخ الاسلامى ، الطبعة الاولى ، ١٣٩١هـ

- بيرني ، جاكلين

اكتشاف جزيرة العرب خمسة قرون من المغامرة والعلم ، نقله الى العربية قدرى قلعجى ، قدم له الشيخ حمد الجاسر ، دار الكاتب العربى . القاهرة .

- ابن دهيش ، د . عبد اللطيف عبد الله

المكتبات الخاصة فى مكة المكرمة . الطبعة الاولى ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، مكة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

- البلادى ، عاتق بن غيث

معجم معالم الحجاز ، الطبعة الاولى ، دار مكة للنشر والتوزيع ، مكة ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

— بانيكار ، ك.م.

آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة أحمد خاكى ، دار المعارف بمصر ، بدون.

— البحراوى ، د . محمد عبد اللطيف.

فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولى من البر الى البحر ، الطبعة الاولى ، دار التراث ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

— البتنونى ، محمد لبيب.

الرحلة الحجازية ، الطبعة الثالثة ، مكتبة المعارف محمد سعيد كمال ، الطائف.

— الجاسر ، حمد .

* نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب.
* بلاد ينبع لمحات تاريخية ، جغرافية ، وانطباعات خاصة ، دار اليمامة ، الرياض.
* رسائل فى تاريخ المدينة : الطبعة الاولى ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

— جمعة ، د . بديع . د . أحمد الخولى .

تاريخ الصفويين وحضارتهم ، الطبعة الاولى ، دار الرائد العربى ، ١٩٧٦م

— الجوهرى ، د . يسرى .

الفكر الجغرافى والكشوف الجغرافية ، منشأة المعارف بالاسكندرية.

— حتى ، د . فيليب.

موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ترجمة د . أنيس فريحة ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥م.

- حجازى ، عبد الحميد (اشراف)

موسوعة العالم الاسلامى ، اعداد مركز الابحاث والدراسات الدولية فى دار الرأى العام ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م. الجزء الاول ، بمعنى المجلد الاول .

- حسن ، د . حسن ابراهيم

تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، الطبعة الاولى ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧م.

- حسن ، يوسف فضل .

الجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية مأخوذة عن العرب وافريقيا بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربى ، الطبعة الاولى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤م.

- حمادة ، د . محمد ماهر

سلسلة وثائق الاسلام (٦) الوثائق السياسية والادارية للعصر المملوكى ، ٦٥٦ - ٩٢٢هـ/ ١٢٥٨ - ١٥١٦م دراسة ونصوص ، الطبعة الاولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- خالدى ، د . مصطفى . د . عمر فروخ .

التبشير والاستعمار فى البلاد العربية عرض لجهود المبشرين التى ترمى الى اخضاع الشرق للاستعمار الغربى ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

- الخربوطلى ، د . على حسنى .

الاسلام فى حوض البحر المتوسط ، الطبعة الاولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٠م.

— دراج ، د . أحمد السيد .

ايضاحات جديدة عن التحول فى تجارة البحر الاحمر منذ مطلع القرن التاسع الهجرى ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المحاضرات العامة الموسم الثقافى ٦٧/١٩٦٨م ، مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٦٨م ، محاضرات ألقيت بدار الجمعية سنة ١٩٦٨م .

— دياب ، د . أحمد ابراهيم .

لمحات فى التاريخ الافريقى الحديث ، الطبعة الاولى ، دار المريخ ، الرياض ، ١٩٨١م / ١٤٠١هـ .

— رجب ، د . عمر الفاروق السيد

* المدينة المنورة اقتصاديات المكان ، السكان ، المورفولوجية ، الطبعة الاولى ، دار الشروق ، جدة ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* الحجاز المنطقة الغربية فى المملكة العربية السعودية أرضه وسكانه دراسات ايكولوجية ، الطبعة الاولى ، دار الشروق ، جدة ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

— الرمال ، غسان على محمد .

صراع المسلمين مع البرتغال فى البحر الاحمر خلال القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

— الرويثى ، د . محمد أحمد .

الموانىء السعودية على البحر الأحمر دراسة فى الجغرافيا الاقتصادية الطبعة الاولى ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

— الزركلى ، خير الدين .

الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م .

- الساداتى ، د . أحمد محمود

تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، مكتبة الادب ومطبعتها القاهرة.

- سالم ، أحمد عيضه

الجاليات العربية فى أفريقيا ، مأخوذة من العرب وافريقيا ومناقشات الندوة الفكرية التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربى ، الطبعة الاولى ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ، ١٩٨٤م.

- ساعاتى ، د . يحيى محمود .

الوقف بنية المكتبة العربية استبطان للموروث الثقافى ، الطبعة الاولى ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- سالم ، د . السيد مصطفى

الفتح العثمانى الاول لليمن ١٥٣٨ - ١٦٣٥ ، الطبعة الثانية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات الاسلامية ، ١٩٧٤م.

- السباعى ، احمد

تاريخ مكة دراسات فى السياسة والعلم والاجتماع والعمران ، الطبعة السادسة ، نادى مكة الثقافى ، ١٤٠٤هـ.

- سبيع ، عبد العظيم عبد العزيز

حاضر العالم الاسلامى ، الطبعة الاولى ، مكتبة السلام العالمية ، القاهرة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

- سعيد ، أمين

الخليج العربى فى تاريخه السياسى ونهضته الحديثة ، دار الكاتب العربى ، القاهرة.

- سرهنك ، اسماعيل الميرالاى .

حقائق الأخبار عن دول البحار ، الطبعة الاولى ، المطبعة الاميرية ، ببولاق ، مصر المحميه ، ١٣١٢هـ.

- السليمان ، على بن حسين

العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م

- سليم ، محمود رزق

عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى ، الطبعة الثانية ، مكتبة الاداب ومطبعتها ، القاهرة ، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

- سيديو ، ل .أ.

تاريخ العرب العام امبراطورية العرب حضارتهم مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية ، نقله الى العربية / عادل زعيتر ، الطبعة الثانية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

- شرف الدين ، أحمد حسين .

اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى القرن العشرين دراسة جغرافية تاريخية سياسية شاملة مزينة بالصور والخرائط ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

- شفشق ، د . محمود عبد الرازق / منير عطا الله سليمان

تاريخ التربية دراسة تاريخية ثقافية اجتماعية ، الطبعة الثانية ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٧٣م.

- شاكر ، محمود

* شبه جزيرة العرب نجد ، المكتب الاسلامى ، بيروت، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م
* المسلمون فى بوروندى ، الطبعة الاولى ، المكتب الاسلامى ، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

— ششه ، نوال سراج .

جدة فى مطلع القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى ، الطبعة الاولى ، مكتبة الطالب الجامعى ، مكة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

— شكرى ، د . محمد أنور .

لوحان أثريان للسلطان قايتباي والسلطان سليمان القانونى فى قسم التاريخ والحضارة الاسلامية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية جامعة الملك عبد العزيز كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، قسم التاريخ والحضارة الاسلامية ، مكة المكرمة ، مطابع دار الثقافة ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

— الشناوى ، د . عبد العزيز محمد .

* الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ، ١٩٨٠م .
* أوروبا فى مطلع العصور الحديثة ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٢م .

— الشهابى ، مصطفى الأمير .

محاضرات فى الاستعمار ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالمية ، ١٩٥٥م - ١٩٥٦م .

— الشيال ، د . جمال الدين .

دراسات فى التاريخ الاسلامى ، دار الثقافة ، بيروت .

— صقر ، نادية حسنى

الطائف فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام ، الطبعة الاولى ، ١٩٨١ / ١٤٠١هـ ، دار الشروق ، جدة

- الصيرفى ، نوال حمزة يوسف.

النفوذ البرتغالى فى الخليج العربى فى القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- طرخان ، د . ابراهيم على

مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ، ١٣٨٢هـ/ ١٥١٧م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.

- طلس ، محمد أسعد

عصر الانحدار يشمل على تاريخ العراق والشام ومصر والجزيرة العربية والمغرب العربى منذ سقوط بغداد سنة ٦٥٦ الى فجر عصر النهضة فى القرن الثالث عشر ، الطبعة الاولى ، دار الاندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٣م .

- عاشور ، د . سعيد عبد الفتاح .

الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢م

- عبد الكريم ، د . أحمد عزت.

ابن اياس محاضرات القيت فى الندوة التى نظمتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالاشتراك مع المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧م

- العبادى ، د . أحمد مختار / د . أحمد عزت.

تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر الابيض المتوسط ، البحرية الاسلامية فى المغرب والاندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية

- عبد السيد ، د . حكيم أمين

قيام دولة المماليك الثانية ، تقديم . محمد مصطفى زيادة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦م.

— عبود ، د . عبد الغنى

دراسة مقارنة لتاريخ التربية ، الطبعة الاولى ، دار الفكر العربـــى ، ١٩٧٨م.

— عبد التواب ، عبد الرحمن محمود

قايتباى المحمودى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨م.

— عبد الله ، عبد الرحمن صالح

تاريخ التعليم فى مكة المكرمة ، الطبعة الاولى ، دار الفكر ، ١٣٩٢هـ ١٩٧٣م.

— العقيلى ، محمد بن احمد

تاريخ المخلاف السليمانى ، الطبعة الثانية ، دار اليمامة ، الريـاض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

— عنان ، محمد عبد الله

مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، الطبعة الاولى ، مطبعـــة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.

— عيسى ، د . محمود خيرى (اشراف)

تأليف أساتذة باحثون

العلاقات العربية الافريقية دراسة تحليلية فى أبعادها المختلفـــة

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية .

— غيث ، فتحى

الاسلام والحبشة عبر التاريخ ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، القاهرة

— فهمى ، د . نعيم زكى

طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصـــور الوسطى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المكتبة العربية ، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

- قاسم ، د . أنيس

تأملات في الاحتلالين الصليبي والصهيوني ، الدار العربية للكتاب ليبيا ، تونس ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

- قلعجي ، قدري

الخليج العربي ، دار الكاتب العربي ، القاهرة.

- القثامي ، مناحي ضاوي حمود

تاريخ الطائف قديما وحديثا ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي

- كحالة ، عمر رضا

اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، مؤسسة الرسالة.

- لويس ، برنارد

استنبول وحضارة الامبراطورية العثمانية ، تعريب وتعليق د . سيد رضوان علي ، جامعة بنغازي

- المعمري ، احمد حمود

عمان وشرقي افريقيه ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة

- متولي ، د . أحمد فؤاد

الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له ، دار النهضة العربية ، القاهرة

- المشيقح ، ابراهيم بن حمود

تاريخ أم القرى ومكانية المرأة العلمية فيها من خلال " الدر الكمين" لابن فهد ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

- مؤنس ، حسين

الشرق الاسلامي في العصر الحديث ، الطبعة الثانية ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، مطبعة حجازي بالقاهرة ، ١٩٣٨م.

- ماهر ، د . سعاد .

البحرية فى مصر الاسلامية وأثارها الباقية ، أشرف على اخراج الكتاب عبد السلام الشريف ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر .

- ماجد ، د . عبد المنعم .

العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، مكتبة الجامعة العربية ، بيروت ، ١٩٦٦م .

- المطوى ، محمد العروسى

الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب ، الطبعة الاولى ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م .

- محمدين ، د . محمد محمود

الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٣م .

- مورتيل ، د . ريتشارد

الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة فى العصر المملوكى ، الطبعة الأولى ، عمادة شئون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

- النمر ، عبد المنعم .

الاسلام فى الهند ، الطبعة الاولى ، دار العهد الحديد لطباعة ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م .

- لاندو ، روم .

الاسلام والعرب ، نقله الى العربية / منير البعلبكى ، الطبعة الاولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٢م .

— اليوزبكى ، د . توفيق .

تاريخ تجارة مصر البحرية فى العصر المماليكى ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

— يونسكو

أثر العرب والاسلام فى النهضة الاوروبية ، اعداد واشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠م.

سابعا : المراجع غير العربيـــة

1 - Bailey W. Diffie And George D. Winius :
Foundations Of The Portuguese Empire 1415 - 1580.
London - 1977.

2 - CHARLES DAVIDLEY : Portuguese Voyages 1498 - 1663.
London 1972.-

3 - ANGELO PESCE : JIDDAH,
Italy 1974.

4 - Stanford J. Shaw : History Of The Otto Man Empire And,
Modern Turkey.
Cambridge University Press 1976.-

المحتويات

المحتويـــــات

الموضـــوع	الصفحـــة

الفصـل الثالـــث

الفصل الرابـع